



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مركز الدراسات العليا والتأهيل الحضاري

تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها

٣١٦ - ٥١٢ هـ - ٩٢٨ - ١١١٨ م

دراسة سياسية وحضارية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير
في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة:

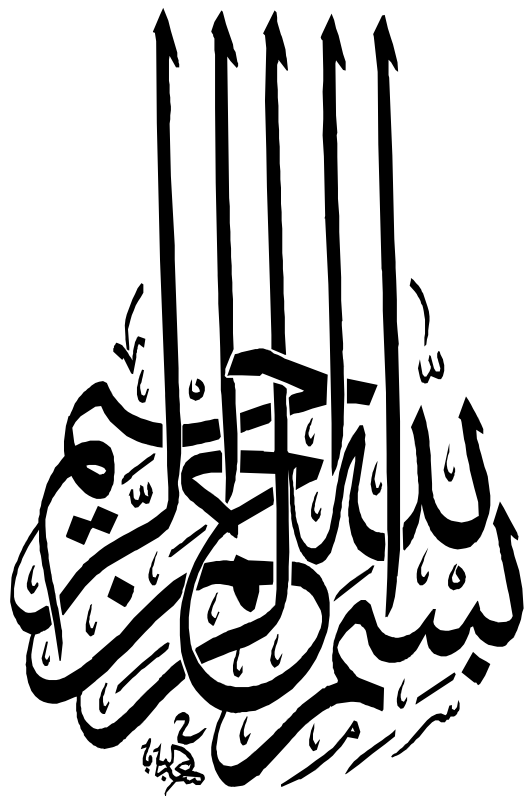
فايزة بنت عبدالله الحساني

إشراف:

أ.د/ سعد عبدالله البشري

العام الجامعي

١٤٢٩ - ١٤٣٠ هـ



ملخص الرسالة

ملخص رسالة ماجستير بعنوان [تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها (٣١٦-٥١٢هـ/ ٩٢٨-١١١٨م) دراسة سياسية وحضارية].

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد:

فهذا ملخص رسالة الماجستير المذكور عنوانها أعلاه يتكون من مقدمة وتمهيد وباين وخاتمة.

احتوت المقدمة على أهمية الموضوع وتكمن في أهمية مدينة سرقسطة التاريخية السياسية والحضارية، فقد كانت هذه المدينة منطلق الجيوش الإسلامية نحو فرنسا، كما أسهمت مدينة سرقسطة في ازدهار مناحي الحضارة الإسلامية المختلفة ويأتي في مقدمتها العلوم والآداب ومن أهمها العلوم التطبيقية كالطب والرياضيات والفلك، كذلك احتوت المقدمة على أسباب اختيار الموضوع ومن أهمها أن مدينة سرقسطة لم تحظ بالقدر الكافي من عناية الباحثين واهتمام الدارسين على الرغم من أهميتها التاريخية من الناحية السياسية والحضارية، وشملت المقدمة عرض لأهم مصادر ومراجع البحث .

وقد تناول التمهيد الموقع الجغرافي لمدينة سرقسطة وبيان أهميته كما تم الحديث عن تاريخ مدينة سرقسطة منذ الفتح الإسلامي حتى عصر الخلافة .

وتناول الباب الأول التاريخ السياسي لسرقسطة، وتم الحديث في الفصل الأول عن سرقسطة في عصر الخلافة حيث سعت الخلافة إلى العناية بشؤون الثغر الأعلى فوثقت صلتها بالتجيبين وأشركتهم في حملاتهم ضد نصارى الشمال، وقد أدى التجيبون دوراً بارزاً في ذلك كما تناول هذا الفصل الحديث عن سرقسطة في عهد بني تجيب .

أما الفصل الثاني فقد أفرد لدراسة سرقسطة في عصر ملوك الطوائف وعصر المرابطين وبدأ هذا الفصل بالحديث عن زوال الخلافة الأموية وقيام ممالك الطوائف التي تشكلت من العرب، والبربر، الفتيان العامريين، موالي الأمويين، ثم كان الحديث عن قيام مملكة بني هود بسرقسطة فكانت سرقسطة في ذلك العصر من أعظم ممالك الطوائف في الأندلس، ثم دخلت سرقسطة تحت نفوذ المرابطين عام ٥٠٣هـ واختتم الفصل بالحديث عن سقوط سرقسطة عام ٥١٢هـ-١١١٨م، بعد محاصرة الفونسو السادس لها .

واختص الباب الثاني بالحديث عن التاريخ الحضاري لمدينة سرقسطة، وقد احتوى الفصل الأول منه النواحي العمرانية بما في ذلك الدينية، والمدنية ويعتبر قصر الجعفرية من أبرز المنشآت المدنية فيها، أما الفصل الثاني فقد كان عن الحياة الاقتصادية المشتملة على الزراعة والصناعة والتجارة، أما الناحية الاجتماعية فقد تم الحديث فيها عن عناصر السكان وطبقات المجتمع وأهم مظاهر الحياة الاجتماعية، وتناول الفصل الثالث الحياة العلمية في سرقسطة الذي تضمن الاتصال العلمي بين سرقسطة والمدن الإسلامية وازدهار العلوم والآداب فيها كالعلوم الدينية وعلوم الأدب واللغة والعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية والبحتة .

واختتم البحث بالخاتمة التي تناولت أهم النتائج المتوصل إليها ومنها:

تميزت مدينة سرقسطة بموقع جغرافي هام، فكان لها أهمية بالغة في أحداث الأندلس الداخلية والخارجية .

بلغت سرقسطة ازدهارها السياسي والحضاري في عصر ملوك الطوائف حيث كانت مملكة بني هود من

أعظم ممالك الطوائف .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عميد كلية الشريعة

المشرف

الباحثة

د.سعود بن إبراهيم الشريم

أ.د سعد بن عبدالله البشري

فايزة بنت عبدالله الحساني

The research

A Master Thesis abstract entitled [The history of Saragossa city since the Caliph age till its downfall (٣١٦ – ٥١٢H / ٩٢٨ – ١١١٨) ;a political and Urban study.

Praise to Allah the lord of the worlds and peace be upon his prophet Muhammad

This Master thesis submitted by the researcher mentioned above consists of an introduction , a preface and two volumes and a conclusion.

First : the Introduction : It contained an illustration of the importance of the topic and the reasons for her selection to this topic and a display of the most important sources and references of the research.

Second : A preface including the geographical site of Saragossa city , an introduction to it since the Islamic Invasion till the Caliph age .

Third: Volume ١ : (The political history) It includes two chapters :

Chapter ١ : (Saragossa city at the Caliph Age) including Saragossa city at the age of the caliphs Alnasser , Al Hakkam , Almustanser , Almansoor Muhammed Ibn Abi Amer and Beni Tajeelb.

Chapter Two: (Saragossa city at the age of Altwaeef kings and Al Murabetenn age) including the downfall of the Amawi Caliph and the setting up of the Twaef kingdoms and the setting up of Beni Hood in Saragossa city that was governed by Al Murabeteen in ٥٠٣H and the downfall of Saragossa city in ٥١٢H – ١١١٨.

Volume ٢ : (the cultural history) that includes three chapters :

Chapter ١: (urbanized aspects) dealing with the religious and civil architecture in Saragossa city.

Chapter two: (Social and economic life) that includes industry , agriculture and trade . The social aspect contained the population sects , social classes and the most important features of the society .

Chapter three : included (The Scholastic life in Saragossa city and the Islamic cities , the prosperity of the Islamic sciences and arts in Saragossa city like literature , linguistics, sociology , applied sciences .

Fifth : A conclusion that contained the main results of the study

Peace be upon our prophet Muhammed , his family and his fellowmen , Amen

Reserarcher

Fayza Abdullah Alhassani

Supervisor

Prof. Dr. Saad Abdullah Albishri

Dean of College

Dr. Saud Abraheem Alshereem

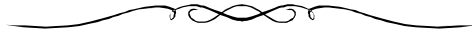
إهداء

إلى والديَّ الكريمين..

إلى زوجي العزيز..

إلى إخواني..

إلى ابنتي الغالية..



الشكر والتقدير

أشكر المولى ﷻ الذي أعانني على إنجاز هذا البحث كما أنتهز الفرصة لأقدم الشكر إلى كل من مدَّ لي يد العون والمساعدة وفي مقدمتهم أستاذي المشرف الدكتور سعد بن عبدالله البشري على ما قام به من جهد وما أسدى إلي من نصح.

كما أقدم وافر تقديري إلى جامعة أم القرى ممثلة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية وأخص بالذكر سعادة الدكتور عبدالله بن حسين الشنبري.

ولا يفوتني أن أقدم شكري وتقديري إلى المكتبة المركزية بجامعة أم القرى ومكتبة الحرم المكي الشريف، وجميع القائمين عليهما لما قدموه لي من مساعدة طوال فترة البحث.

كما أقدم شكري لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض لتزويدها ببعض المصادر والمراجع الهامة التي ساهمت في إعداد البحث.

المقدمة

وتحتوي على:

- أ - عرض عام لموضوع البحث.
- ب - عرض لأهم المصادر والمراجع.

أ- عرض عام لموضوع البحث:

يتناول موضوع البحث دراسة سياسية وحضارية لمدينة سرقسطة إحدى مدن الأندلس الكبرى، وذلك في الفترة من عصر الخلافة (٣١٦هـ-٩٢٨م) حتى سقوطها في أيدي النصارى (٥١٢هـ-١١١٨م).

وتعتبر هذه الفترة من أهم الفترات في التاريخ الأندلسي فكانت سرقسطة في عصر الخلافة الأموية تتمتع بنفوذ سياسي كبير تتولى الزعامة فيها تحت سيادة الخلافة الأموية أسرة بني تميم، كما تولت زعامة سرقسطة في عصر دول الطوائف أسرة بني هود وقد لعبت سرقسطة في ظل هذه الأسرة أعظم دور سياسي وكانت سرقسطة هي آخر القواعد التي سقطت في أيدي المرابطين، واستمرت في أيديهم إلى أن حاصرها النصارى، ومن ثم سقطت في أيديهم (٥١٢هـ-١١١٨م).

والكتابة في تاريخ المدن تعد من الحقول الخصبة التي شغلت المؤرخين والباحثين وألّوها جانباً كبيراً من عنايتهم، وهناك العديد من المدن الأندلسية التي اهتم بدراسة تاريخها بعض مؤرخي العرب المحدثين ومنها مدينة المرية وقرطبة للسيد عبدالعزيز سالم ومدينة بلنسية لكامل السيد أبو مصطفى، وغيرها الكثير من المدن الأندلسية وتابعت هذا الاتجاه في دراسة المدن الأندلسية، واخترت مدينة سرقسطة موضوعاً لرسالتي لما لهذه المدينة من أهمية تاريخية من الناحية السياسية والحضارية، فقد كانت هذه المدينة منطلق الجيوش الإسلامية نحو فرنسا كما كان لها دور في جهاد نصارى الشمال ومواجهة التحديات الخارجية القادمة من بلاد الفرنجة.

هذا بالنسبة للنواحي السياسية، أما النواحي الحضارية فقد أسهمت مدينة سرقسطة في ازدهار مناحي الحضارة الإسلامية المختلفة ويأتي في مقدمتها العلوم والآداب ومن أهمها العلوم التطبيقية كالطب والرياضيات والفلك خاصة في



عصر ملوك الطوائف حيث برز من ملوكها بني هود أشهر العلماء وهما المقدر بن هود وابنه المؤتمن كما كان لسرقسطة دور في التبادل الثقافي والحضاري بين الأندلس والدول الأسبانية المجاورة، فقد هيا لها موقعها بين الممالك الأسبانية أن تضطلع بهذا الدور الحضاري.

ومما هو جدير أن هناك بعض الدراسات التي تناولت مدينة سرقسطة ولكنها ركزت بحثها في النواحي السياسية والعسكرية، أو تناولت الموضوع في فترات تاريخية معينة لم تشمل فترة الدراسة ومنها:

-خليل إبراهيم السامرائي [الثغر الأعلى الأندلسي، دراسة في أحواله السياسية [٩٥-٣١٦هـ / ٧١٤-٩٢٨م].

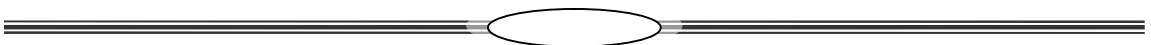
-محمد رضا [الثغر الأعلى الأندلسي في القرن الرابع الهجري].

-عفيف الترك [مملكة بني هود في سرقسطة].

-وفاء المزروع [جهاد المسلمين وراء جبال البرتات].

هذه أهم الدراسات المتعلقة بموضوع البحث في حدود ما أعلم ولكنها لم تغط كافة الجوانب لمدينة سرقسطة وخاصة الجانب الحضاري ، مما دفع الباحثة إلى إلقاء الضوء على هذا الجانب الحضاري لمدينة سرقسطة.

وقد جاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد وبابين تحتوي على عدد من الفصول، أما التمهيد فقد اختص بالحديث عن جغرافية مدينة سرقسطة ويتركز ذلك في موقعها وسطحها ومناخها، ونبذة تاريخية عن مدينة سرقسطة من الفتح الإسلامي حتى عصر الخلافة -أي قبل فترة الدراسة- وخصص الباب الأول لدراسة التاريخ السياسي وانقسم هذا الباب إلى فصلين، كان الحديث في الفصل الأول عن سرقسطة في عصر الخلافة، حيث سعت الخلافة خلال فترة حكم الناصر وابنه الحكم المستنصر بالله إلى العناية بشؤون الثغر الأعلى فوثقت صلتها بالتجيبين وأشركتهم في حملاتها العسكرية ضد نصارى الشمال، وقد أدى





التجيبون دوراً بارزاً في ذلك، وبعد وفاة الحكم بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الأندلس وهي الدولة العامرية المتمثلة في الحاجب المنصور بن أبي عامر وولديه المظفر وعبدالرحمن، وكان هناك بعض المعارضين لحكم المنصور والناقمين عليه ومنهم عبدالرحمن بن مطرف التجيبي حاكم سرقسطة الذي تأمر مع عبدالله بن المنصور، ولكن المنصور تمكن من إخماد تلك المؤامرة.

كما تناول هذا الفصل الحديث عن سرقسطة في عهد بني تجيب فقد كان حكام سرقسطة قلي دولة بني هود ثلاثة : وهم منذر بن يحيى، وخلفه ابنه يحيى بن منذر، ومنذر بن يحيى (الثاني)، وبمقتل الأخير انتهت رئاسة التجيبين لسرقسطة.

أما الفصل الثاني فقد أفرد لدراسة سرقسطة في عصر ملوك الطوائف وعصر المرابطين، وبدأ هذا الفصل بالحديث عن زوال الخلافة الأموية وقيام ممالك الطوائف حيث ينقسمون إلى العرب ، البربر، الفتيان العامريين، موالى الأمويين، ثم انتقل إلى الحديث عن قيام مملكة بني هود بسرقسطة فكانت سرقسطة في ذلك العصر من أعظم ممالك الطوائف في الأندلس، ومن أبرز ملوكها المقتدر بن هود الذي تميز عهده بسلسلة من الوقائع التي اضطرت بينه وبين الممالك الأسبانية المجاورة، ومن أهم الأحداث في عهده مأساة بربشتر، وكانت سرقسطة آخر دولة من دول الطوائف تسقط في أيدي المرابطين، وأختتم الفصل بالحديث عن سقوط سرقسطة في عام ٥١٢هـ - ١١١٨م بعد محاصرة الفونسو السادس لها كما أشار البحث إلى الرسالة المؤثرة التي كتبها أهل سرقسطة فُبيل سقوطها، وذكر شروط تسليم المدينة.

أما الباب الثاني فقد اختص بالبحث عن التاريخ الحضاري، وينقسم إلى ثلاثة فصول، وأفرد الفصل الأول للحديث عن النواحي العمرانية لمدينة سرقسطة، وتنقسم إلى العمارة الدينية والمدنية، ومن أبرز المنشآت المدنية في مدينة سرقسطة قصرة الجعفريّة

أما الفصل الثاني فقد اختص بالحديث عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فقد

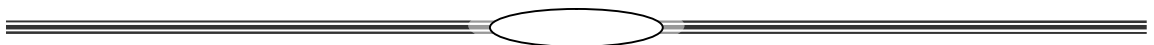




كانت سرقسطة مدينة زراعية، كما اشتهرت بصناعة المنسوجات ومن أشهرها الثياب المعروفة بالسرقسطية، ثم انتقل بالحديث عن الحياة الاجتماعية حيث بدأ بعرض موجز لأهم عناصر السكان وطبقات المجتمع بسرقسطة، وأوضح بعض مظاهر الحياة الاجتماعية.

أما الفصل الثالث فيتضمن الإنتاج العلمي والأدبي في سرقسطة خلال فترة البحث. كان استعراض شامل للعلوم الدينية واللغة العربية والأدب والعلوم الاجتماعية، كما خصص لاستعراض نتائج علماء سرقسطة في العلوم التطبيقية والبحث.

وأختم البحث بعرض أهم النتائج المتوصل إليها من خلال تلك الدراسة. ولا يسعني إلا أن أتقدم بخالص شكري وتقديري وعرفاني بالجميل إلى أستاذي المشرف سعادة الدكتور سعد بن عبدالله البشري، الذي رعى خطوات هذا البحث في جميع مراحلها كما أقدر له اهتمامه الدائم وتشجيعه المستمر حتى خرج هذا العمل العلمي إلى النور.



ب- عرض لأهم المصادر والمراجع:

لقد اعتمد البحث في هذه الدراسة على مجموعة كبيرة من المصادر العربية والمراجع الحديثة، وفيما يلي عرض سريع لأهم المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

-ابن الفرضي (أبو الوليد عبدالله بن محمد) ت ٤٠٣هـ / ١٠١٣م، كتاب «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» ويعد هذا الكتاب من أهم كتب التراجم الأندلسية
فقد حفظ لنا معلومات في غاية الأهمية عن العلماء ورحلاتهم ومؤلفاتهم، وتأتي أهمية هذا الكتاب بالنسبة لموضوع البحث بما حواه من معلومات عن العديد من العلماء والشخصيات الذين رحلوا من مختلف أنحاء الأندلس واستقروا بسرقسطة والذين رحلوا إلى المشرق للدراسة وعند عودتهم استقروا أيضاً بسرقسطة، فكان لهم دور بارز في ازدهار الحياة العلمية بسرقسطة.

-الحميدي (محمد بن أبي نصر) ت ٤٤٨هـ / ١٠٩٥م، كتاب «جنوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» وهو من أهم ما ألف في تاريخ الأندلس، فقد حفل بتراجم العلماء الذين برزوا في العلوم الدينية والأدبية، فاستفاد منه البحث في تراجم علماء سرقسطة في العلوم الدينية والأدبية، كما استشهد المؤلف ببعض القطع الشعرية، وهذا يدل على اهتمامه بالجانب الأدبي، وأيضاً أفرد المؤلف فصلاً عن ولاية الأندلس مما ألقى الضوء على بعض جوانب البحث وخاصة الجانب السياسي.

-ابن بشكوال (خطا بن عبدالمك) ت ٥٧٧هـ / ١١٨٢م، كتاب «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم» ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة التي اعتمد عليها البحث خاصة فيما يتعلق بالحياة العلمية، فهو يتضمن سير طائفة من الأئمة والمحدثين والفقهاء وأهل الأدب الأندلسيين ومن

بين سير هذه الطائفة تراجم لعدد من علماء سرقسطة وأدبائها ، فقد ساعد ذلك على تغطية جانبٍ مهمٍ من الحياة العلمية وخاصة ما يتعلق منها بالعلوم الدينية والأدبية.

-ابن الآبار (محمد بن أبي عبدالله) ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، كتاب «الحلة السبراء» ويعتبر هذا الكتاب من الكتب الهامة في تاريخ الأندلس، وتأتي أهميته بالنسبة لموضوع البحث فيما حواه من تراجم لعدد من أمراء الطوائف الذين تولوا سرقسطة وكل لهم دورٌ مهمٌ في تاريخها السياسي خلال عصر الطوائف، وقد خص ابن الآبار أسرة بني هود دون غيرها من ملوك الطوائف بغلبة الشجاعة، والشهامة.

ولابن الآبار مصنف آخر لا يقل أهمية عن كتابه السابق وهو كتاب «التكملة» ويتضمن تراجم لعلماء الأندلس مع ذكر كل ما يتعلق بحياتهم وسيرتهم وذكر شيوخهم وقد استفاد البحث من هذه المعلومات الهامة خاصة فيما يتعلق بتراجم علماء سرقسطة.

- ابن صاعد الأندلسي (صاعد بن أحمد) ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م، كتاب «طبقات الأمم» ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة في تاريخ علماء الأندلس، فلقد دون لنا أبرز العلماء في كل من العلوم الرياضية والتجريبية في الأندلس بصفة خاصة، وقد اعتمد عليه البحث في الحياة العلمية حيث ألقى الضوء على تراجم عدد من علماء سرقسطة ومؤلفاتهم في العلوم التطبيقية والبحثية.

- ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٩م، كتاب «المقتبس» ويأتي هذا المصدر في طليعة المصادر الأندلسية التي اعتمد عليها البحث خاصة الجزء الخامس حيث يتناول معظم عهد الخليفة الناصر وعلاقاته بأسر الثغر الأعلى المختلفة وعلاقات هذه الأسر بنصارى الشمال، كما اعتمد البحث أيضاً على الجزء الذي حققه عبدالرحمن الحجي وتناول فيه خمس سنوات من عصر الحكم المستنصر، وقد ساعدت كتابات ابن حيان السابقة على تغطية

جانب مهم من جوانب البحث، وخاصة ما يتعلق بالنواحي السياسية.

ومما هو جدير بالذكر أن ابن حيان يعتبر من أعظم مؤرخي الأندلس وتمتاز روايته بالدقة، فقد حفظ لنا نصوصاً في غاية الأهمية عن من سبقوه كالرازي وابن وراق.

-ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد) كان حياً سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م كتاب «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب». ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب في تاريخ الأندلس التي اهتمت بالتاريخ السياسي والعسكري بالإضافة إلى إشارات إلى بعض الحوادث الاجتماعية والأدبية، وعلى الرغم من أن مؤلفه من المؤرخين المتأخرين إلا أن مصنفه حفل بالكثير من المعلومات الهامة عن الثغر الأعلى، وخاصة الجزين الثاني والثالث، فغطى بذلك كثيراً من الجوانب المهمة في البحث.

-لسان الدين ابن الخطيب (أبو عبدالله محمد) ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م، كتاب «أعمال الإعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام»، ويهمننا من هذا المصدر القسم الثاني الذي يتعلق بتاريخ أسبانيا الإسلامية، ويتضمن هذا الكتاب معلومات قيمة تتعلق بقيام دويلات الطوائف بالأندلس، وفي جملتها أخبار مفصلة عن أحوال سرقسطة السياسية في عهد بني هود.

-ابن بسام (أبو الحسن علي) ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، كتاب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» ويعتبر هذا المصدر موسوعة أدبية تاريخية، فقد جمع ما بين عصري الخلافة وملوك الطوائف. وقد استفاد البحث من القسم الثالث المتعلق بشرق الأندلس إذ يحتوي على معلومات قيمة عن أحوال سرقسطة السياسية والاجتماعية في عصر ملوك الطوائف، كذلك ترجم لعدد من شعراء وأدباء سرقسطة، وذكر نماذج من أشعارهم ومما هو جدير بالذكر أن ابن بسام أديبٌ وليس مؤرخاً ولذلك نلاحظ أنه اعتمد في الجزء التاريخي من كتابه على ما كتبه ابن حيان وحفظ لنا الشيء الكثير ومن ذلك ما يتعلق بموضوع الدراسة وهو عند

حديثه عن حادثة بربشتر في عهد المقتدر بن هود.

-ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى) ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م، كتاب «المغرب في حلى المغرب» يتضمن هذا الكتاب معلومات قيمة عن جوانب متعددة تاريخية وجغرافية وأدبية، وقد استفاد البحث من الجزء الثاني الذي يتناول منطقة شرق الأندلس وقد أفرد فيه المؤلف فصلاً عن الثغر الأعلى وأطلق عليه عنوان «كتاب ابتسام الثغر في حلى جهات الثغر» ويبدأ فيه بذكر جغرافية مدينة سرقسطة ووصف الشعراء لها، ثم يشير بإيجاز إلى حكمها وأهم الوزراء والكتاب والعلماء فيها، ويذكر بعد ذلك الشعراء والأدباء وأهم إنتاجهم الأدبي.

-المقري (أحمد بن محمد) ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م، كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب» يعتبر هذا الكتاب مصدراً أساسياً لجميع الباحثين في تاريخ الأندلس والمغرب، فقد حفظ لنا المؤلف في كتابه معلومات مهمة عن تاريخ الأندلس من مصادر ضاعت ولم تصل إلينا، واستفاد البحث من هذا الكتاب فيما يتضمنه من معلومات جغرافية وتاريخية مهمة عن مدينة سرقسطة بالإضافة إلى حديثه عن سرقسطة في عصر ملوك الطوائف وذكر أشهر ملوكهم، إلى جانب ترجمته لبعض علماء وأدباء سرقسطة، وإشاراته المتعددة لنواحي العمران والجوانب الاقتصادية والاجتماعية في مدينة سرقسطة.

-ديوان ابن دراج القسطلي (أبي عمر أحمد) ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م، تنقل ابن دراج بين عدد من الحواضر الأندلسية ومن بينها مدينة سرقسطة، التي قضى فيها ابن دراج حياة مليئة بالهدوء والاستقرار في ظل أمرائها من بني تجيب وهم منذر بن يحيى التجيبي وابنه يحيى من بعده، كان المنذر له نصيب من الأدب حمله على العناية بالشعراء ويأتي في مقدمتهم ابن دراج الذي وجه شطراً كبيراً من إنتاجه الشعري إلى المنذر وولده فأصبح من شعراء عصرهم المرموقين.

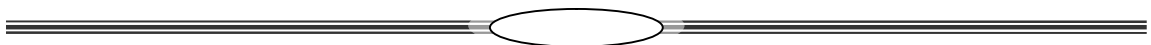
-العذري (أحمد بن عمر بن أنس) ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، كتاب «ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع المسالك»



يعتبر هذا الكتاب مصدراً جغرافياً وتاريخياً في آن واحد، وتكمن أهميته بالنسبة لموضوع البحث في أنه قد جمع بين أدق المعلومات التاريخية والجغرافية عن منطقة الثغر الأعلى فأورد تفاصيل مهمة عن جغرافية سرقسطة وأعمالها، ثم يسرد الحوادث التاريخية فيها وخاصة الأسر الحاكمة في الثغر الأعلى، وأيضاً يذكر حركات تمرد هذه الأسر وعلاقتها مع حكومة قرطبة ثم علاقاتها مع نصارى الشمال الأندلسي.

-ابن غالب (محمد بن أيوب) عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، كتاب « فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس » قد نُشرت قطعة منه حققها الدكتور لطفي عبدالبديع، وتمتاز هذه القطعة بإيراد تفاصيل مهمة عن جغرافية أهم المدن الأندلسية التي كانت بيد المسلمين بعد سنة الأربعمئة، وبالنسبة لموضوع البحث فقد أفرد المؤلف معلومات جيدة عن مدينة سرقسطة، وبعض ما تشتهر به سرقسطة من محاصيل زراعية.

-الحميري (أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم) ت في أواخر القرن التاسع الهجري كتاب « الروض المعطار في خبر الأقطار » ويعتبر هذا الكتاب من أهم المعاجم الجغرافية التي تناولت مدن الأندلس ، مرتبة ترتيباً أبجدياً، حيث يبدأ المؤلف بوصف المدينة وذكر موقعها، ثم يهتم بذكر الأخبار والوقائع المتصلة بها، ولا ينسى ذكر الحوادث البارزة التي اقترنت بها، وقد استفاد البحث منه في حديثه عن جغرافية سرقسطة، والأخبار التاريخية المتعلقة بها، ولا يخلو حديثه من إشارات اقتصادية وعمرانية خاصة بموضوع البحث.



ثانياً : المراجع العربية:

-« دولة الإسلام في الأندلس » لمحمد عبدالله عنان، يعتبر هذا الكتاب موسوعة علمية قيمة عن تاريخ دولة الإسلام في الأندلس، ولقد اعتمد عليه البحث في غطية الكثير من الجوانب المهمة خاصة فيما يتعلق بالنواحي السياسية في عهد الخليفة الناصر وما قام به تجاه الثوار بمدينة سرقسطة من أسرة بني تاجيب، كما أفرد المؤلف جزءاً خاصاً للحديث عن ملوك الطوائف، فتناول كل دولة على حده منذ قيامها حتى سقوطها في أيدي المرابطين، ونجد ذلك واضحاً عند حديثه عن مملكة سرقسطة.

-« فجر الأندلس » لحسين مؤنس، ويعتبر هذا الكتاب من أوسع الكتب في التاريخ الأندلسي، واستفاد البحث من هذا الكتاب بما حواه من معلومات قيمة عن عناصر سكان الأندلس، فغطى بذلك جانباً مهماً من جوانب البحث المهمة.

-« في تاريخ المغرب والأندلس » لأحمد مختار العبادي، ويعد هذا الكتاب من المراجع المهمة في تاريخ الأندلس بما حواه من معلومات قيمة عن تاريخ دولة الإسلام في الأندلس سواء في عصر الإمارة أو فترة الخلافة، ونهاية هذه الدولة وسقوطها وتفككها إلى دويلات ضعيفة، مما أفاد البحث في تغطية بعض الجوانب المهمة وخاصة الجانب السياسي.

-« الإسلام في أسبانيا » للطفي عبدالبديع، ويعتبر هذا الكتاب من الكتب المهمة في تاريخ الأندلس وخاصة فيما يتعلق بالحياة العلمية، حيث استفاد البحث منه في هذه الناحية وهو الفصل الأخير الذي يختص بالحياة العلمية في سرقسطة، وازدهار العلوم والآداب فيها. فاهتم هذا الكتاب بالحديث عن كل العلوم في الأندلس وتطويرها كما حرص على ذكر أهم العلماء الذين برعوا في كل علم من العلوم.

وقد أستفاد البحث أيضاً من بعض المقالات والبحوث التي أحتوتها عدد من
المجلات والدوريات العلمية ويأتي في مقدمتها:

-الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، لحسين مؤنس، مجلة كلية
الآداب، المجلد الحادي عشر، ج ٢، ١٩٥١م.

-المسجد في الإسلام، لمحمد توفيق بلبع، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر،
العدد الثاني، ١٩٧٩م.

-صور من المجتمع الأندلسي، للسيد عبدالعزيز سالم، مجلة المعهد المصري
للدراسات الإسلامية، المجلد التاسع عشر، ١٩٧٦م.

-التخطيط ومظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى، عبدالعزيز
سالم، العدد التاسع، ١٩٥٧م.

التمهيد

ويحتوي على:

- أ - الموقع الجغرافي لمدينة سرقسطة.
- ب - مقدمة تاريخية عن مدينة سرقسطة منذ الفتح الإسلامي حتى عصر الخلافة.

أ - الموقع الجغرافي لمدينة سرقسطة:

تعد مدينة سرقسطة من كبريات مدن الأندلس وأعظمها^(١) وقد اتخذها المسلمون قاعدة لهم.

وسرقسطه تعريب للإسم الروماني قيصر أجستا «Caesar Augusta» لأن أغسطس قيصر هو الذي أسسها سنة ٢٣ ق.م على أطلال المدينة الايبيرية القديمة التي كانت تعرف عند الايبيرين بإسم سلدوبا (Salduba)^(٢).

وقد عرف المسلمون المدينة باسم سَرَقِسطَه (Saragosa-zaragoza) بفتح السين والراء المهملتين وضم القاف وسكون السين وفتح الطاء المهملة وفي آخرها هاء^(٣) والنسبة إليها سرقسطي^(١).

(١) الأخطري: إبراهيم محمد الفارسي: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، دار الثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، ص(٣٥)، ابن رسته: أحمد بن عمر: الأعلام النفيسة، مطبعة برييل، ليدن، ١٨٩١م، ص(٣٥٥/٧).

(٢) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٩م، ص(١٠٠) الهامش رقم (٤) ويذكر لنا العذري أن تفسير سرقسطه باللغة اللاتينية (جاجر أغشت) وهو مشتق من اسم قيصر أغسطس وهو الذي بناها .

نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق عبد العزيز الاهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥هـ، ص(٢١) .

(٣) أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن محمد: تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود، البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م، ص(١٨٠-١٨١)، البغدادي: صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق: مرصد الإطلاع على الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ص(٧٠٨/٢)، ياقوت: شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص(٢١٢/٣).

ولمدينة سرقسطة عدة مسميات منها (أم الثغر الأعلى)^(٢) و(المدينة البيضاء)^(٣) و(عروس الإبرو)^(٤).

وتقع مدينة سرقسطة في أواخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة^(٥).
أما بالنسبة للأندلس فهي تقع في شمال شرقها على الضفة اليمنى من وادي نهر الإبرو (Ebro) على ارتفاع ١٨٤ متراً^(٦).

(*) شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٣٥٥هـ، ص(١٢١/٢).

(٢) المقرئ: أحمد بن محمد: نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص(١٦٦/١).

(٣) ابن الشباط: محمد بن علي: قطعة من وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسممة المرط، تحقيق أحمد العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، المجلد (١٤)، مدريد، ١٩٦٧-١٩٦٨م، ص(١٢٢)، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص(١٨١)، الحميري: محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، ص(٣١٧)، وسميت بالبيضاء لكثرة جصها وجيارها وقيل لأن أسوارها القديمة كانت من حجر الرخام الأبيض. انظر: الحميري: المصدر نفسه، ص(٣١٧) ويذكر الزهري سبباً آخر لهذه التسمية فيقول (وتسمى بالبيضاء لأنها تَبْيَضُّ وعليها نور أبيض لا يخفى على أحد في ليل ولا نهار). انظر: الزهري: محمد بن أبي بكر: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ص(٨١).

(٤) ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد: طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق صلاح الدين القاسمي، دار أبوسلامة، تونس ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص(٥٤) الهامش (٢) ويرجع ذلك إلى وقوعها على نهر الإبرو.

(٥) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص(١٨٠)، القلقشندي: أحمد بن عبدالله: صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٣هـ-١٩١٥م، ص(٢٣٢/٥).

(٦) ابن حزم: طوق الحمامة، ص(٥٤)، الهامش (٢)، ابن الشباط: وصف الأندلس، ص(١٢٢)، المراكشي: عبدالواحد بن علي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد العربي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م، ص(١٢٤)، الهامش (٥)، الحميري: الروض

وتقدر المسافة من قرطبة^(١) (Cordoba) إلى سرقسطة بعشرة أيام^(٢).

وكان موقعها الجغرافي سبباً في تسميتها بالثغر الأعلى في الأندلس. حيث كان في الأندلس ثلاثة ثغور^(٣) وهي:

١- الثغر الأعلى: ويشمل سرقسطة (Zaragoza) التي كانت عاصمة هذا الثغر ولا رده (Larida) وتطيله (Tudela) ووشقة (Huesca) وطرطوشة (Tartosa) وغيرها^(٤).

فكان الثغر الأعلى^(٥) يمثل ولاية الحدود الشمالية وهي سرقسطة وأعمالها،

= المعطار، ص(٣١٧)، أرسلان: الحل السندسية، ص(١١٦/٢)، بطرس البستاني: دائرة المعارف، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، تهران، ص(٥٧٨/٩).

(١) قرطبة: قاعدة بلاد الأندلس وأم مدائنها واشتهرت قرطبة بمسجدها الجامع، وظلت حاضرة بني أمية في الأندلس حتى سقوط الخلافة سنة ٤٢٢هـ-١٠٣١م، الحميري: الروض المعطار، ص(٤٥٦-٤٥٨).

(٢) الاصطخري: المسالك والممالك، ص(٣٨).

(٣) الثغور مفردتها ثغر وهو كل موضع قريب من أرض العدو، أو مواجه للعدو، مشتق من الثغر، وهو الفرجة في الحائط، وكان لفظ الثغور يطلق على منطقة الحصون التي بنيت على حدود الشام، والجزيرة لصد غارات الروم واستعمل الأندلسيون اصطلاح الثغور للدلالة على حدودهم المجاورة لأسبانيا النصرانية. انظر: ياقوت: معجم البلدان، ص(٧٩/٢)، البكري: أبو عبدالله بن عبدالعزيز: جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبدالرحمن الحجي، دار الرشد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨، ص(٩٤-٩٥) الهامش (٤) محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧، العصر الأول، القسم الأول، ص(٢٣١) الهامش (١).

(٤) ابن حيان: حيان بن خلف: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبدالرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت ١٣٨٤/١٩٦٥، ص(٦٨)، البكري جغرافية الأندلس، ص(٩٤-٩٥)، الهامش (٤)، عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص(٢٣١)، الهامش (١)، أرسلان: الحل السندسية، ص(٢٠٦/١)، ص(١١٤/٢).

(٥) هناك عدة مسميات للثغر الأعلى، ومنها الثغر الأقصى، الكورة الثغرية، الثغر الأكبر. انظر: ابن

وهو يمثل اليوم منطقة أرغون (Aragon)^(١) بعد سقوط سرقسطة في أيدي النصارى عام ٥١٢هـ-١١١٨م.

٢- الثغر الأوسط: وكان يواجه مملكتي قشتالة (Castilla)^(٢) وليون (Leon)^(٣).

وكانت قاعدة هذا الثغر في أول الأمر مدينة سالم^(٤) (Medina celi) ثم

= الفرضي: عبدالله بن محمد: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، صححه عزت العطار الحسيني، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م، ص(٣٤١/١)، ابن الأبار: محمد بن أبي عبدالله: الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص(٢٤٦/٢)، الهامش (٢)، مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، مدريد، ١٨٦٧م، ص(٦١).

(١) عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص(٢٣١) الهامش(١).

(٢) قشتالة: اصطلاح العرب على تسميتها ألبه (Alba) والقلاع، وهما علمان جغرافيان يستعملان معا في النصوص العربية وكان المسلمون في غزواتهم لمملكة ليون يسيرون إلى سرقسطة ومنها إلى ألبه والقلاع على طول نهر الأبرو، وكانت ألبه والقلاع في العصور الوسطى تشمل جميع المنطقة الواقعة بين نهر دويرة جنوباً، وبين نافار وأرجوان شرقاً ومملكة ليون غرباً. انظر: ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(١٣٥/١-١٣٦)، عنان: دولة الإسلام العصر الأول، القسم الأول، ص(٢١٦) الهامش (٢).

(٣) ليون: إحدى الممالك النصرانية في شمال الأندلس وقاعدتها مدينة ليون، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص(١٨٥).

(٤) مدينة سالم: تقع شمالي مدريد في الطريق الذي بين مدريد وسرقسطة، وهي مدينة قديمة البناء وجدد بناءها أحد القادة البربر الذين دخلوا الأندلس مع الفتح الإسلامي وهو سالم بن ورعمال المصمودي، لذا نسبت المدينة إليه، وقد عرفت هذه المدينة في العصر الروماني باسم (Ociclis) وقد أعاد بناء هذه المدينة الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة ٣٣٥هـ-٩٤٦م. انظر: ياقوت: معجم البلدان، ص(١٧٢/٣)، ابن الكردبوس: أبو مروان عبدالملك التوزي: تاريخ الأندلس، ووصفه، نسان جديان، تحقيق أحمد مختار العبادي، فصله من صحيفة مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد (١٣) ١٩٦٥م، ص(٦٠)، ابن عذاري: أحمد بن محمد المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س كولان، ليفي بروفنسال،

استبدلت بمدينة طليطلة (Toledo)^(١).

٣- الثغر الأدنى: ويشمل المنطقة الواقعة بين نهري دويرة (Douro) ونهر التاجه (Tajo)^(٢). وقاعدته مدينة قورية (Coria) ومن مدنه قلمرية (Coimbra)^(٣). وشنترين (Shntaren) وما رده (Marida)^(٤).

١- السطح:

يتمثل سطح الثغر الأعلى في حوض نهر الإبرو فهو عبارة عن منخفض تفصله عن سواحل البحر المتوسط تلال قطلونية (Catalogne) وبين هذه التلال وساحل البحر المتوسط شريط ساحلي تقع عليه بعض المدن، كما يفصل هذا المنخفض عن بلاد فرنسا جبال البرتات^(٥)، ويفصله عن بقية أنحاء أسبانيا سلسلة جبلية قليلة الارتفاع، أما من ناحية الغرب تمتد جبال قشتالة والقلاع التي تتكون

= الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣، ص(٢/٢١٣-٢١٤)، أرسلان: الحلل السندسية، ص(٢/٨٠) وما بعدها.

(١) طليطلة: مدينة بالأندلس عظيمة القطر كثيرة البشر، وتقع على نهر التاجو وكانت قاعدة القوط، ودار مملكتهم، وتتميز بحصانتها ومناعتها. الحميري: الروض المعطار، ص(٣٩٣).

(٢) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص(٦٩)، الهامش (ج).

(٣) قورية وقلمرية وشنترين من مدن البرتغال الآن. خليل إبراهيم السامرائي: الثغر الأعلى الأندلسي دراسة في أحواله السياسية، رسالة دكتوراه منشورة، بغداد، مطبعة أسعد، ١٩٧٦، ص(٤٠)، عنان: الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ص(٣٢٥) وما بعدها.

(٤) ماردة: مدينة بغرب الأندلس، تقع شرقي بطليوس، على الضفة الشمالية لنهر وادي يانة. الحميري: الروض المعطار، ص(٥١٨-٥١٩)، عنان: الآثار الأندلسية، ص(٣٨١) وما بعدها.

(٥) البرتات: مفردها (البرت) وهي كلمة لاتينية (Portus) وتعني الممر أو الميناء وهي ذات صلة بكلمة (Porta) التي تعني الباب أو المدخل. انظر: السامرائي: الثغر الأعلى، ص(١١٧).

منها منابع نهر الإبرو^(١).

نستنتج مما سبق أن أكثر أراضي سرقسطة جبلية، يجري نهر إبرو في جنوبي شرقيها^(٢).

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن طبيعة البلاد الجبلية كانت من العوامل التي ساعدت على ظهور حركات التمرد والعصيان التي سوف نتحدث عنها فيما بعد.

٢- المناخ:

ينتمي مناخ حوض الإبرو إلى مناخ البحر المتوسط إلا أن فيه شيئاً من القارية لإحاطة المرتفعات بحوض الإبرو فأدى ذلك إلى عزله عن التأثيرات البحرية فهو من بين أجف مناطق أسبانيا، ويتميز مناخ البحر المتوسط بسقوط أمطاره في نصف السنة الشتوي، كما يتميز شتاؤه بالاعتدال وبالسماة المشمسة الساطعة^(٣).

(١) السامرائي: الثغر الأعلى، ص(٤٤-٤٥-٤٦).

(٢) البستاني: دائرة المعارف، ص(٥٧٨/٩).

(٣) السامرائي: الثغر الأعلى، ص(٤٧-٤٨) هامش (٢).

ب - مقدمة تاريخية عن مدينة سرقسطة منذ الفتح الإسلامي حتى عصر الخلافة:

بعد أن اطمأن موسى بن نصير على الأوضاع في الأندلس وخاصة بعد أن تمكن من إتمام الفتوحات الإسلامية في وسط الأندلس وجنوبه، أخذ يستعد للسير نحو الشمال لإكمال فتح الأندلس، فقد واصلت الجيوش الإسلامية السير لفتح شمال الأندلس ففتحت مدينة وادي الحجارة (Guadalajara)^(١) ثم المائدة^(٢) ثم مدينة سالم، واتجهت صوب مدينة سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى، ولم تكد طلائع المسلمين تشرف على مدينة سرقسطة حتى رعب أسقفها بنيسو (Bencio) ومن معه من الرهبان فجمعوا كتبهم المقدسة وذخائرهم الموروثة وقرروا الهجرة ولفرار بهذه الذخيرة، فلما علم موسى بأمرهم أرسل إليهم رسولا يؤمنهم ويعطيهم عهده فسكنت مخاوفهم واستقروا في المدينة^(٣).

وهذا الأمان ينافي ما ذكر من أن فتح شمال الأندلس صحبته موجة عاتية من التدمير والتخريب، وبث الرعب في نفوس سكانها^(٤) وفي هذا الصدد يقول أحد المؤرخين « وقد ألقى الله الرعب في قلوب الكفرة فلم يعارضهما أحد إلا بطلب الصلح وموسى يجيء على أثر طارق في ذلك كله ويكمل ابتداءه، ويوثق للناس ما

(١) وادي الحجارة: تقع في شمال شرق مدريد، وكانت تعرف بمدينة الفرج، وهي مدينة كثيرة الأرزاق ولها أسوار حصينة وبينها وبين مدينة سالم خمسون ميلا. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص(٧٢) الهامش(١)، الحميري: الروض المعطار، ص(٦٠٦).

(٢) المائدة: وهي التي تعرف اليوم بقلعة هنارس (Henares)، وكانت تعرف بقلعة عبدالسلام. السامرائي: الثغر الأعلى، ص(٦٧)، الهامش (٥).

(٣) حسين مؤنس: فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، دار المناهل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص(١٦٣).

(٤) سالم: تاريخ المسلمين، ص(١٠٠).

عاهدوه عليه»^(١).

ودخل الجيش الإسلامي مدينة سرقسطة في سنة ٩٤ هـ - ٧١٢ م دون قتال^(٢).
وبعد أن استقر المسلمون في مدينة سرقسطة قام حنش الصنعاني^(٣) ببناء
مسجد للمسلمين فيها^(٤) وقد قدر لهذا المسجد أن يتسع حتى أصبح مسجداً جامعاً
وظل قروناً متوالية مناراً للإسلام وأهله في مدينة سرقسطة^(٥).

وبعد فتح مدينة سرقسطة اتخذها موسى بن نصير قاعدة لفتح بقية مدن الثغر
الأعلى، وأخذ يرسل منها السرايا والحمالات لفتح المدن المجاورة^(٦).

وقد لعبت مدينة سرقسطة دوراً هاماً إبان عصر الولاة^(٧) حيث اتخذها الولاة

(١) المقرئ: نفع الطيب، ص (٢٧٣/١)، نقلاً عن ابن حيان.

(٢) مؤنس: فجر الأندلس، ص (١٦٣)، سالم: تاريخ المسلمين، ص (١٠١).

(٣) حنش بن عبدالله السبأى الصنعاني ت (١٠٠ هـ - ٧٢٠ م) تابعي جليل، عاصر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة، وقدم مصر بعد مقتله وشارك في فتح الأندلس. الحميدي: محمد بن أبي نصر: جذوة المقتبس، صححه محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٧٢ هـ، ص (١٨٩-١٩١)، المالكي: عبدالله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م، ص (١٢١/١)، المقرئ: نفع الطيب، ص (٢٧٨/١).

(٤) الحميري: الروض المعطار، ص (٣١٧).

(٥) مؤنس: فجر الأندلس، ص (١٦٣).

(٦) السامرائي: الثغر الأعلى، ص (٧٤).

(٧) يمتد عصر الولاة من الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الأموية في الأندلس (٩١-١٣٨ هـ) (٧١١-٧٥٦ م) وكانت الأندلس خلال ذلك العصر ولاية تابعة لدار الخلافة الأموية بدمشق، ويحكمها وال يعرف بالأمير يتبع أمير إفريقية من الناحية الإدارية، واشتهرت هذه الفترة بالغزوات الخارجية التي شنّها ولاة الأندلس على جنوب فرنسا. انظر: أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ص (٨١) وعن هؤلاء الولاة. انظر: مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص (٢٩)، وما بعدها، ابن عذاري: البيان، ص (٢٣/٢)، وما بعدها، =

قاعدة عسكرية لتجميع القوات الإسلامية الذاهبة إلى فرنسا وإلى شمال غربي أسبانيا وأيضاً كان لها دور في جهاد نصارى الشمال واستمرت سرقسطة قاعدة لانطلاق الحملات العسكرية حتى عصر الإمارة^(١).

ونستنتج من ذلك أن الموقع الجغرافي لمدينة سرقسطة ومجاورتها لدول أسبانيا النصرانية قد فرض عليها أن تكون قاعدة للجهاد، فحمل أهلها أعباء الدفاع والتصدي لحملات النصارى وغاراتهم المتكررة على المناطق الإسلامية في شمال شرق الأندلس.

وتجدر الإشارة إلى أن العرب الذين استوطنوا سرقسطة كان معظمهم من القبائل اليمانية، فكان الولاة متعصبين ضدهم، فعندما تولى أمر الأندلس الوالي يوسف بن عبدالرحمن الفهري^(٢) سنة ١٢٩ هـ-٧٤٦ م، وهو آخر ولاة الأندلس وخاتمة عصرهم أصيبت الأندلس في عهده بأزمة اقتصادية نتج عنها انتشار المجاعة من سنة ١٣١-١٣٦ هـ-٧٤٨-٧٥٣ م، وتعرف هذه السنوات الخمس «

= ابن الخطيب: لسان الدين محمد التلمساني: أعمال الإعلام فيمن بويغ قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٥٦ م، ص(٦-٧)، المقرئ: فنج الطيب، ص(٢٣٠/١) وما بعدها، عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص(٦٢) وما بعدها.

(١) ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(١٣٥/١-١٣٦) الهامش (١) ويمتد عصر الإمارة الأموية من سنة ١٣٨ حتى سنة ٣١٦ هـ-٩٢٩ م، وفيه كانت الأندلس إمارة مستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق وعن قيام الدولة الأموية بالأندلس. انظر: ابن القوطية: محمد بن عمر: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م، ص(٥٠-٥٥)، مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص(٨٥) وما بعدها، ابن عذارى: البيان، ص(٤٨/٢)، العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص(٩٧) وما بعدها.

(٢) يوسف بن عبدالرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة ابن عقبة بن نافع الفهري، أي من نسل عقبة بن نافع فاتح شمالي إفريقيا. انظر: ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص(٤٤)، ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٣٤٧/٢)، عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص(١٢٩).

بسني الرباط»^(١).

وقد شملت المجاعة جميع أنحاء الأندلس - عدا مدينة سرقسطة - لكثرة خيراتها واهتمام أهلها بالزراعة^(٢) حيث كان معظم سكانها من القبائل اليمينية التي اعتزلت الفتنة^(٣) فأراد الوالي يوسف أن يذلهم بوال قيسي مشهور بعصبيته على اليمينية^(٤) فبعث إليهم الصميل بن حاتم بن شمر الذي يلقب بذي الجوشن وذلك سنة ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م^(٥) وأراد الوالي في نفس الوقت إبعاد الصميل عن قرطبة للتخلص من نفوذه ولكن الصميل أدرك خطة الوالي، فلم يتعصب ضدهم، وإنما كسب محبتهم « ولم يأتته صديق ولا عدو فحرمه فازداد سودداً وأقام بها أعوام الشدائد التي تتابعت »^(٦).

وكان للموقع الجغرافي لمدينة سرقسطة تأثير سلبي على المدينة، فقد دُي عُـها عن حكومة قرطبة إلى ظهور حركات التمرد والعصيان ومنها: تمرد سليمان الأعرابي والحسين بن يحيى الأنصاري، ففي سنة ١٥٧ هـ - ٧٧٤ م أعلن سليمان بن يقظان الكلبي المعروف بالأعرابي والي برشلونة وجيرونة عصيانه على حكومة عبدالرحمن الداخل بمساعدة الحسين بن يحيى الأنصاري والي سرقسطة^(٧) وتحالفا على قتال عبدالرحمن الداخل وخلعه والذي كان منشغلاً بقمع

(١) نسبه إلى نهر برباط الذي لجأ إليه أهل الأندلس أثناء المجاعة، العذري: نصوص عن الأندلس، ص(١١٨)، سالم: تاريخ المسلمين، ص(٦٤).

(٢) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص(٦٢).

(٣) ويقصد بها الحرب التي قامت بين العصبيتين اليمينية والقيسية، حيث التقى الفريقان في موقعه شقندة وذلك عام ١٣٠ هـ، لمزيد من التفاصيل انظر: مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص(٥٨) - ٥٩، ابن عذاري: البيان، ص(٣٦/٢).

(٤) سالم: تاريخ المسلمين، ص(١٦٥).

(٥) ابن عذاري: البيان، ص(٣٧/٢).

(٦) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص(٦٣).

(٧) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٢٥)، عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، =

الفتن في الجنوب^(١).

فأرسل الداخل إليهم جيشاً بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي وذلك سنة ١٥٨ هـ- ٧٧٥م، فانهزم هذا الجيش وأسر قائدة بخدعة^(٢) ولكن سليمان الأعرابي لم يكتف بهذا النصر المؤقت لما كان يعلمه من عزم عبدالرحمن الداخل وأنه سيعده له العدة للانتقام منه ففكر سليمان الأعرابي بالاستعانة بملك الإفرنج حيث كان على اتصال قديم مع الفرنجة^(٣). وقد استدعى سليمان الأعرابي شارلمان ملك فرنسة لغزو الأندلس ووعدته بتسليم الولايات الشمالية ولاسيما سرقسطة والأسير ثعلبة بن عبيد^(٤).

ولكن شيئاً من هذا لم يتم حيث أعلن الحسين بن يحيى الأنصاري انشقاقه عن حلفائه وسيطر على مدينة سرقسطة وتحصن بها^(٥).

ويمكن تفسير ذلك بأن الحسين نقم على سليمان الأعرابي بسبب كسب الزعامة والصدارة أو أنه خشي عاقبة التورط في مثل هذه المؤامرة^(٦).

= ص (١٦٨).

(١) قامت هذه الثورة بزعامة رجل من البربر سمي نفسه بالفاطمي، ابن عذاري: البيان، ص (٥٤/٢) - (٥٥).

(٢) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص (١١٢-١١٣).

(٣) عنان: دول الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص (١٦٩-١٧٠).

(٤) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص (١١٣)، ابن الأثير: علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥، ص (٦/١٤-٦٤)، ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ص (٤/١٢٤)، عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص (١٦٩).

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص (٦/١٤).

(٦) عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص (١٧٤).

وانتهى الأمر برجوع شارلمان ملك فرنسة بعد فشله في السيطرة على سرقسطة ولم يجد أمامه سوى سليمان الأعرابي فأخذه أسيراً معه^(١).

كما ظهرت أيضاً في مدينة سرقسطة أسر استغلت أوضاع الأندلس المضطربة خاصة في عصر الإمارة ومنها أسرة بني قسي، وهم من المولدين^(٢)، استمرت هذه الأسرة في ولائها لحكومة قرطبة حتى عهد الأمير الحكم بن هشام المعرف بالربض روف بالربض
(١٨٠-٢٠٦هـ) (٧٩٦-٨٢٢م) وفي هذا الصدد يقول أحد المؤرخين «أذعنت الأندلس كلها بالطاعة للحكم ولم يختلف عليه فيها مختلف حاشى بني قسي في الثغر، فإنهم بقوا على عنادهم»^(٣).

وقد تزعم الثورة من بني قسي فرتون بن موسى حيث أعلن الثورة والعصيان في مدينة سرقسطة سنة ١٨٦هـ - ٨٠٣م، ولكن ثورته انتهت بالفشل حيث قتل في نفس العام^(٤).

ويعتبر فرتون بن موسى أول نائر من بني قسي على الدولة الأموية.

وفي عهد الأمير محمد الأول ٢٣٨ - ٢٧٣هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦م، تمكن موسى الثاني زعيم أسرة بني قسي من توسيع أراضيه فشملت مدينة سرقسطة وتطيلة^(٥). وعزله الأمير محمد عن ولاية الثغر الأعلى في عام ٢٤٦هـ - ٨٦٠م^(٦).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص(٦/١٤).

(٢) المولدين: هم القوط والأسبان الذين أسلموا منذ الفتح ويعرف هؤلاء المولدون في الإسبانية بالخوارج أو المرتدين (Renegados) أي الذين ارتدوا عن دينهم القديم. عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الأول، ص(٢٠٦).

(٣) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص(٧٠).

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٢٧).

(٥) العذري: المصدر نفسه، ص(٢٧).

(٦) العذري: المصدر السابق، ص(٣٠).

وفي عام ٢٤٨هـ - ٨٦٢م، توفي موسى الثاني، وبوفاته فقدت أسرة بني قسي زعيماً كبيراً^(١)، وخلف موسى من بعده أربعة من الأبناء^(٢) وبدأ أمر أسرة بني قسي يضعف شيئاً فشيئاً بسبب الخلافات العائلية وبسبب ظهور أسر أخرى.

وجدير بالذكر أن نشير إلى أسرة بني تجيب^(٣) ودورها في إضعاف نفوذ أسرة بني قسي فقد ظهرت أسرة بني تجيب في عام ٢٤٨هـ - ٨٦٢م، عندما استعان بها الأمير محمد للحد من تمرد أسرة بني قسي «لما ثار بنو قسي على الإمام محمد بنغر سرقسطة نوّه بأولاد عبدالعزيز التجيبي، وبنى لهم قلعة أيوب، وأدخل فيها عبدالرحمن بن عبدالعزيز، وبنى شميظ ودورقة وفرتش ونصبهم لمحاربة بني قسي، وعقد لهم على قومهم، وأجرى عليهم من المعارف لكل واحد عند كل غزاة مائة دينار»^(٤).

ونجحت أسرة بني تجيب في مقاومة أسرة بني قسي بشدة «فلم يزل عبدالرحمن فيها مغاوراً لبني قسي، ومحارباً لهم منها، إلى أن توفي سنة سبع وسبعين ومائتين، في أيام الإمام عبدالله»^(٥).

ومما سبق يتضح لنا أن عبدالرحمن بن عبدالعزيز زعيم أسرة بني تجيب. وأخذت الخلافات العائلية لأسرة بني قسي تزداد حيث تطورت إلى نزاع

(١) ابن عذاري: البيان، ص(٩٧/٢).

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٣١) وما بعدها، والأبناء هم لب وإسماعيل ومطرف وفرتون.

(٣) بنو تجيب: تعود نسبتها إلى تجيب بن ثوبان من قبيلة مذحج العربية، وكان أول من دخل منهم الأندلس عميره بن المهاجر. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٣٨٣هـ-١٩٦٢م، ص(٤٢٩)، ابن الأبار: الحله السيرة، ص(٧٩/٢-٨٠).

(٤) العذري: المصدر السابق، ص(٤١).

(٥) العذري: المصدر نفسه، ص(٤٩).



داخلي خطير في عام ٢٧٠هـ - ٨٨٣م أدى إلى إضعاف شأن أسرة بني قسي^(١).
واستغلت حكومة قرطبة هذه الفرصة وأرسلت جيشاً بقيادة هاشم بن
عبدالعزیز وذلك سنة ٢٧١هـ - ٨٨٤م^(٢) حيث نجح في شراء مدينة سرقسطة^(٣)
من محمد بن لب بمبلغ خمسة عشر ألفاً من الدنانير على يد حوشب بن القاضي^(٤).
وبذلك أصبحت مدينة سرقسطة -أي بعد عملية الشراء- تدار من قبل عمال
يعينون من قبل حكومة قرطبة^(٥) وكان من أشهرهم أحمد بن البراء بن مالك الذي
عينه الأمير المنذر سنة ٢٧٣ - ٢٧٥هـ، والياً على سرقسطة من أجل محاربة بني
قسي^(٦) بزعامة محمد بن لب الذي عاد إلى التمرد من جديد، وقد استمر أحمد بن
البراء عاملاً لولاية سرقسطة إلى بداية عهد الأمير عبدالله ٢٧٥ - ٣٠٠هـ، حيث
كان والده البراء بن أحمد من وزراء الأمير عبدالله في قرطبة، وأصبح لهذه
العائلة نفوذ كبير^(٧).

وقد خاف الأمير عبدالله من خطر هذه العائلة، فقرر التخلص منها، فاستعان
بأسرة بني تجيب للقضاء على نفوذها، وقد تمكن عبدالرحمن التجيبي وابنه محمد

(١) العذري: المصدر نفسه، ص(٣٤).

(٢) ابن الأثير: الكامل التاريخ، ص(٤١٦/٧).

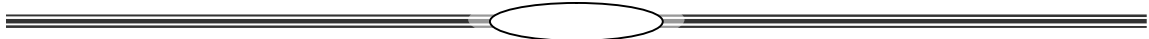
(٣) المقصود بشراء المدينة هذا هو الالتزام بدفع الجزية.

(٤) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص(١٥١/١)، العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٣٥)، ويشير
العذري أن عملية الشراء تمت سنة ٢٦١هـ، ولكن رواية ابن الأثير تشير إلى أن البيع تم في عام
٢٧١هـ، وهو الأصح، حيث يذكر ابن الفرضي أن «الأمير محمد استنقى حوشبا على مدينة
تظيلة في عام ٢٧١هـ» ومعنى ذلك أن القاضي كان موجوداً في تلك السنة أي أن عملية الشراء
كانت في نفس السنة.

(٥) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٣٥).

(٦) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص(١٢٣).

(٧) العذري: نصوص عن الأندلس (٤٣).



من ذلك، حيث وضعا خطة محكمة لقتل أحمد بن البراء، ونفذت هذه الخطة في رمضان ٢٧٦هـ / ٨٨٨م^(١).

وبعد مقتل أحمد بن البراء عزل الأمير عبدالله والده البراء بن مالك من الوزارة^(٢) وبذلك دخلت سرقسطة تحت سيطرة بني تجيب وتوارثوا حكمها.

وبقيت أسرة بني تجيب في ولائها لحكومة قرطبة حتى بداية عهد عبدالرحمن الناصر ٣٠٠ - ٣١٦هـ أي قبل إعلان الخلافة، كما كان لهم مشاركة فعالة مع الأمير عبدالرحمن الناصر في حركة الجهاد، فعندما هاجم ملك النافار شانجه غرسية الأول مدينة تطيلة سنة ٣٠٣هـ - ٩١٦م^(٣) سار الناصر إلى تطيلة وعند ما وصل إلى أحوازها شارك معه من أسرة بني تجيب عامل سرقسطة محمد بن عبدالرحمن التجيبي والمنذر بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز التجيبي^(٤) عامل قلعة أيوب (Calatayud)^(٥).

وفي عام ٣١٢هـ توفي عامل سرقسطة محمد بن عبدالرحمن التجيبي وخلفه ابنه هاشم بن محمد بن عبدالرحمن التجيبي، الذي خلف والده على حكم مدينة سرقسطة^(٦) واستمرت أسرة بني تجيب في سرقسطة وسيكون لها أحداث مهمة بعد سنة ٣١٦هـ مع الأمير عبدالرحمن الناصر، وسنفصل ذلك فيما بعد.

(١) العذري: المصدر نفسه، ص(٤١)، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص(١٢٤)، السامرائي: الثغر الأعلى، ص(٣٢٨).

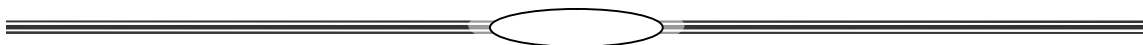
(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص(١٢٤).

(٣) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٣٨).

(٤) المصدر السابق، ص(٤٢-٤٩).

(٥) قلعة أيوب: تقع جنوب غرب سرقسطة، رائعة البقعة، حصينة شديدة المنعة كثيرة الأشجار والثمار، رخيصة الأسعار، الحميري: الروض المعطار، ص(٤٦٩).

(٦) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٣).



الباب الأول التاريخ السياسي

ويحتوي على فصلين:

- ❖ الفصل الأول: سرقسطة في عصر الخلافة
- ❖ الفصل الثاني: سرقسطة في عصر ملوك الطوائف وعصر المرابطين.

الفصل الأول

سرقسطة في عصر الخلافة

وفيه أربعة مباحث : -

✧ المبحث الأول: سرقسطة في عصر الخليفة الناصر.

✧ المبحث الثاني: سرقسطة في عصر الحكم المستنصر.

✧ المبحث الثالث: سرقسطة في ظل المنصور محمد بن أبي عامر.

✧ المبحث الرابع: سرقسطة تحت حكم بني تميم.

* * * * *

المبحث الأول: سرقسطة في عصر الخليفة الناصر

بدأ عصر الخلافة الأموية في الأندلس بإنهاء "عبدالرحمن الثالث" الإمارة وإعلان الخلافة، وذلك في أواخر سنة ٣١٦هـ/أوائل ٩٢٩م^(١). وإعلان "عبدالرحمن الثالث" الخلافة يأتي تلبية لما تملية المصالح الداخلية والخارجية ومن أهمها تأكيد قوة الأندلس وضعف مكانة الأمير الأموي في قرطبة نتيجة للثورات والفتن الداخلية فأصبحت الحاجة ماسة إلى رفع مكانته السياسية والدينية والاستجابة لرغبة الأندلسيين في أن يكون خليفة للمسلمين. هذه من أهم المصالح الداخلية، أما المصالح الخارجية ضعف الخلافة العباسية في المشرق وقيام الخلافة الفاطمية في المغرب^(٢).

و"عبدالرحمن الثالث" هو أول من تسمى من بني أمية بالأندلس بالخلافة وإمرة أمير المؤمنين الناصر واستمر لقب خليفة في ذرية عبدالرحمن الناصر بعده^(٣) حتى سقوط الدولة الأموية ٤٢٢هـ - ١٠٣٠م. وعلى الرغم من أن

(١) في هذه السنة رأى الناصر أن تكون الدعوة له في مخاطبته والمخاطبات له في جميع ما يجري ذكره فيه، بأمر المؤمنين، فعهد إلى القاضي أحمد بن بقی، صاحب الصلاة بقرطبة بأن تكون الخطبة يوم الجمعة مستهل ذي الحجة بذلك.. فيقول: [الحمد لله ولي النعمة والإنعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه! وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمر المؤمنين، وخروج الكتب عنا ووردها علينا بذلك، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له، ودخيل فيه، وقسم بما لا يستحقه وعلّمنا أن التماذي على ترك الواجب لنا من ذلك أضعفناه، واسم ثابت أسقطناه فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطبتك لنا عليه، إن شاء الله والله المستعان!] انظر: ابن عذاري: البيان، ص(١٩٨/٢-١٩٩).

(٢) العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧، ص(٦٠).

(٣) ابن حيان: المقتبس، اعتنى بنشره ب.شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف.كورنيطي وم.صبح وغيرهما، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م، الجزء الخامس، ص(٢٤١-٢٤٢)، ابن عذاري: البيان المغرب، ص(١٥٧/٢)، ابن حزم الأندلسي: نقط العروس في تواريخ الخلفاء، =



الناصر أعلن نفسه خليفة على الأندلس إلا أن هناك بعض حركات التمرد والعصيان خاصة في الولايات الشمالية ومنها سرقسطة التي تولت الزعامة فيها في عصر الخلافة الأموية أسرة بني تجيب، فلم يكونوا على وفاق دائم مع حكومة قرطبة، وكانت تحدهم أطماع كثيرة وكانوا يخشون عواقب السياسة التي كان يتبعها الناصر في إخضاع الولاة المحليين وسحق الأسر القديمة، وكان وجودهم في الشمال بين الممالك النصرانية يفسح لهم مجال التآمر والخروج.^(١)

وفي عام ٣١٨ هـ-٩٣٠ م توفي عامل سرقسطة^(٢) من قبل حكومة قرطبة وهو هاشم بن محمد بن عبدالرحمن التجيبي^(٣) فطلب ولده محمد بن هاشم التجيبي إلى الناصر أن يقره على ولاية سرقسطة، فلم يجبه الناصر إلى ذلك، فسار محمد بن هاشم إلى قرطبة مؤكداً لولائه^(٤) فصدر الأمر بتوليته في رجب سنة ٣١٩ هـ-٩٣١ م والتزم بدفع الجباية، ودام هذا الولاء نحو ثلاث سنوات^(٥) وأراد الناصر أن يختبر ولاء أهل سرقسطة وذلك بدعوتهم للمشاركة في غزواته ضد نصارى أسبانيا، ففي عام ٣٢٢ هـ-٩٣٣ م قرر الناصر أن يغزو

= تحقيق شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب، القاهرة، ١٩٥١م، ص(٥٠-٥١).

(١) عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٤٠٥).

(٢) ابن حيان: المقتبس، ص(٢/٥)، ابن عذاري: البيان، ص(٢٠٤/٢).

(٣) بعد وفاة محمد بن عبدالرحمن التجيبي عام ٣١٢ هـ-٩٢٤ م خلفه ولده هاشم على أمر سرقسطة حينما طلب هاشم ذلك من الناصر فنفذ ذلك له، والتزم هاشم الطاعة، كما أشترك في الغزو مع الناصر فكانت ولاية هاشم لسرقسطة أيمن ولاية ومقامه أفضل مقام. انظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٣).

(٤) العذري: المصدر نفسه، ص(٤٤).

(٥) ابن حيان: المقتبس، ص(٣١٥/٥)، العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٤).



أراضي النصارى^(١)، فبعث إلى أهل الثغور لموافاته فخرج إليه التجيبون في رجالهم وتخلف محمد بن هاشم عنه^(٢) وتعرف هذه الغزوة بغزوة "وخشمه" (Osma) وكان محمد بن هاشم زعيم بني هاشم في سرقسطة يخفي أطماعاً كثيرة ويضمر الخروج على حكومة قرطبة، ونجد أنه لم يشارك مع الناصر في غزوته للنصارى حتى يتمكن من تحقيق مشاريعه وأطماعه .

فخرج الناصر بالطائفة من قرطبة في منتصف جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م في جيش كثيف، ورفعت قوات الناصر في هذه الغزوة أعلام العقاب المصورة فكانت من اختراع الناصر ولم يسبقه أحدٌ إليها، وكان معه ابنه الأكبر وولي عهده الحكم، كما استخلف الناصر في القصر ابنه عبيد الله^(٣) .

وقد اعتزم الناصر دخول أراضي النصارى عن طريق وادي الحجاره، وليضع حداً لما أبداه صاحب سرقسطة محمد بن هاشم التجيبي من تردد عن المشاركة مع الناصر في غزوته فاحتل الناصر "حصن ملونده"^(٤) وهو من حصون محمد بن هاشم بعد مبادرة أهل هذا الحصن بالطاعة ثم تقدم إلى "حصن روطه" (Ruede) وهو من حصونه أيضاً وكان فيه أخوه يحيى بن هاشم فافتتحه قسراً^(٥) ثم سار الناصر إلى سرقسطة وطوقها ببعض قواته

(١) في عام ٣٢١هـ/٩٣٣م سار ملك ليون إلى مدينة أوسمة (وخشمة) التي كان يهددها المسلمون، فردم عنها وأحتلها، وكانت أوسمة حيث تقع شرقي شنت أشتين على مقربة من دويرة وعلى خط الحصون الفاصل بين الأراضي الإسلامية وقشتالة القديمة، من القواعد الدفاعية المهمة: انظر: عنان دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٤٠١).

(٢) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٣٣/٥)، العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٤)، ابن خلدون: العبر، ص(١٤٢/٤).

(٣) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٣٣/٥).

(٤) حصن ملونده: حصن من حصون سرقسطة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ص(١٩٥/٥).

(٥) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٣٤-٣٣٥)، العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٤).

ونصب المكاييد حولها، كما بعث قوات أخرى إلى تطيله (Tudela) وطرسونة^(١) للتضييق على أهل سرقسطة، وبعد أن تمكن الناصر من حصار سرقسطة رأى أن يتحول بقواته إلى غزو أراضي النصارى بداية بأراضي بنبلونة (Pamplona) عاصمة نبره (نافار) وهي أقرب الجهات إليه، وهنا وفدت عليه رسل الملكة (طوطة ابنة ايشيز ملكة نافار) تسأله عقد الصداقة والسلم^(٢)، فلم يرفض الناصر طلبها بل رحب به فوفدت إليه ومعها وجوه من رجالها وقواميسها وأساقفها فاستقبلها الناصر وهو بمدينة "قلهره"^(٣) (Calahorra) وتحيط به جيوشه الكثيفة فأحسن الناصر استقبالها وأكرم منزلتها^(٤).

وقد تعهدت الملكة (طوطة) للناصر بما يلي:

- ١- الالتزام بالطاعة .
- ٢- الابتعاد ع محالفة أي ملك أو أمير نصراني.
- ٣- كف الأذى عن المسلمين.
- ٤- معاونة قواد الثغر الأعلى في محاربة كل من خرج عن الطاعة.
- ٥- أن تخلي سبيل وجوه بني ذي النون الذين في اعتقالها.

(١) تطيله: مدينة بالأندلس في جوفي وشقه، وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة، ومن بنات تطيله مدينة طرسونة. الحميري: الروض المعطار، ص(١٣٣).

(٢) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٣٥/٥).

(٣) قلهره: مدينة أيبيرية قديمة كان اسمها في القديم (Calagurrissnassica) وهي من المدن الشديدة المنعة والحصانة، وكانت تؤخذ وتسترد دائما في الصراع بين المسلمين ونصارى مملكة نبره، ويصنفها البكري ضمن إقليم طركونة في الجزء الثالث من قسمة قسطنطين. انظر البكري: جغرافية الأندلس، ص(٦٢)، أرسلان: الطل، ص(١٧٦/٢).

(٤) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٣٦/٥)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٦٥).

فسجل الناصر ما تعهدت به وأشهد الشهود على ذلك، كما أقر الناصر
ابنها غرسية على بنبلونه وأعمالها ثم رجعت الملكة ورجالها إلى البلاد
،محملين بالهدايا القيمة^(١).

ومما يؤكد هذه العلاقات السلمية بين الناصر والملكة (طوطة) أن ابنها
الذي أصيب بالسمنة المفرطة قصد عاصمة الخلافة لكي يتولى أطباء قرطبة
علاجه^(٢).

وفي العام التالي سنة ٣٢٣هـ-٩٣٤م قام الناصر بغزو سرقسطة، وينقل
لنا ابن حيان ما قاله عيسى الرازي عن غزوة سرقسطة، قال عيسى بن أحمد
الرازي (فيها أي: في سنة ٣٢٣هـ-٩٣٤م كانت غزاة أمير المؤمنين
عبدالرحمن الناصر لدين الله إلى سرقسطة أم الثغر الأعلى على مناجزة محمد
بن هاشم التجيبي المنتزي بها، آخر من بقي من أهل الخلاف بأرض الأندلس،
وقد كان قواده الذين خلفهم مقيمين حولها متظاهرين على التضييق عليها،
ملازمين لمراتبهم من حصرها، مجاهدين في حرب أهلها فاستعد لغزوها
بنفسه في هذه السنة وتأهب وحشد وبرز بعسكره قبل قفوله بمدة طويلة على
عادته)^(٣).

وقد أكثر الشعراء في مدح الناصر لخروجه في هذه الغزوة وكان من
بينهم أحمد بن عبد ربه:-

فصول نظير اليمن والموكب وبالناصر والتأييد في القرب
.....
.....

(١) ابن حيان: المصدر نفسه، ص(٣٣٦)، عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني،
ص(٤٠٢).

(٢) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ص(٣٦٧).

(٣) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٥٧/٥-٣٦٠).

وحزم به ينضم منصدع الدجى وعزم كحد السيف يفري بلا حد

قصد الناصر مدينة سرقسطة وتمادى في حصارها وذلك أنه أمر بتشديد المباني العالية والرفيعة في خارج المدينة ليكون مطلقا على من داخلها، ولا يمشي ماش في أزقتها، ولا يخرج خارج من أبوابها إلا والعين تأخذه، واللسان يصف هيئته، كما شدد الناصر أيضا الحصار على أهل سرقسطة، وذلك عندما قطع عنها المرافق فبالغ في ذلك واشرف عليه بنفسه، فما كان من أهل سرقسطة إلا أنهم صبروا صبراً عظيماً كذلك استطاع قواده أن يفتحوا بعض حصون سرقسطة^(١) ومنها (حصن ورشه) الذي كان فيه أخو محمد بن هاشم وهو إبراهيم بن هاشم، فنازله القائد محمد بن سعيد بن منذر القرشي، ضيق عليه واستطاع هذا القائد أن يفتح حصن ورشة عنوة.^(٢)

واستمر الحصار والتضييق على سرقسطة أربعة أشهر، بعدها رجع الناصر إلى قرطبة تاركاً لحصارها القائد أحمد بن إسحاق القرشي ثم أرفهه بالوزير عبدالحميد بن بسيل ترافقهم بعض قوات الناصر.^(٣)

وفي نفس العام ٣٢٣هـ-٩٣٤م عقد الناصر السلم مع راميرو الثاني أو رذمير كما تسميه الرواية العربية وكان هذا الملك واسع النشاط والطموح.^(٤)

وبعد تردد رسل رذمير ملك ليون إلى الناصر في التماس الصلح على أثر ما قام به المسلمون في أراضي رذمير^(٥) أرسل الناصر إليه الوزير يحيى بن

(١) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٥٩/٥) وما بعدها.

(٢) ابن حيان: المصدر السابق، ص(٣٦٠-٣٦١).

(٣) ابن حيان: المصدر السابق، ص(٣٦٥/٥)، العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٥).

(٤) عنان: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبته الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ص(١٧٥)، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص(٣٦٠).

(٥) لتفاصيل أكثر انظر: ابن حيان: المقتبس، ص(٣٣٧/٥-٣٤٢).

يحي بن إسحاق سفيراً فاجتمع معه وعقدوا شروط الصلح ووقع الناصر هذه المعاهدة في منتصف ربيع الآخر من نفس السنة وكان يوماً مشهوداً بقرطبة^(١) وكان الناصر يرمي من وراء هذا الصلح إلى إبعاد رزمير عن التفاهم مع محمد بن هاشم صاحب سرقسطة ومعاونته^(٢)، فلم يدم هذا الصلح طويلاً فسرعان ما نكث رزمير الصلح وعاد للتحالف مع محمد بن هاشم صاحب سرقسطة ضد حكومة قرطبة.^(٣)

وعلى الرغم من أن رزمير ارتبط بعهد السلم مع الناصر إلا أنه كان يرقب الفرصة لنقض الصلح، فما كان منه إلا أن نكث عقد السلم الذي كان بينه وبين الناصر في شهر رمضان من عام ٣٢٤هـ-٩٣٥م وذلك عندما استجاش به محمد بن هاشم على المسلمين رأى أن الفرصة سانحة لنكث الصلح والتحالف مع محمد بن هاشم التجيبي.^(٤)

وتعهد محمد بن هاشم لرزمير أن يعترف بطاعته نظير معاونته إياه في الخروج على عبدالرحمن الناصر ومحاربتة^(٥).

ثم عقد محمد ورزمير محالفة مع "طوطة" ملكة نبرة (ناقار) وبذلك يكون الشمال كله قد تحالف ضد الناصر.^(٦)

(١) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٦٥/٥)، العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٥).

(٢) ابن حيان: نفس المصدر، ص(٣٦٦/٥).

(٣) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٦٦/٥).

(٤) ابن حيان: المصدر نفسه، ص(٣٧٩/٥).

(٥) ابن حيان: المصدر السابق، ص(٣٧٩/٥)، ويقال إن هذا الحلف كان قد عقد قبل ذلك سراً وإن آثاره ظهرت سنة ٣٢٤هـ-٩٣٥م، انظر عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٤٠٦).

(٦) عنان: نفس المرجع والصفحة.

ونستنتج هنا من النواحي السلبية لموقع سرقسطة وقوعها في الشمال وبعدها عن مركز الخلافة ومجاورتها للنصارى، أدى ذلك إلى انطلاق حركات المعارضة فكان منها هذا التحالف الخطير ضد الناصر الذي تمكن من تمزيق هذا الحلف فيما بعد .

وفي نفس العام ٣٢٤هـ-٩٣٥م بعث الناصر الوزير القائد عبدالحميد بن بسيل في جيش كثيف إلى سرقسطة للتضييق على سرقسطة وبني تجيب، ولیدعم القوى المرابطة المجاورة لسرقسطة^(١) ريثما يستطيع السير بنفسه إلى الشمال ثم أتبعه بجيش آخر بقيادة الوزير سعيد بن المنذر القرشي ليقوم بالمعاونة في التضييق على سرقسطة.^(٢)

وفي عام ٣٢٥هـ-٩٣٦م غزا الناصر غزوته الشهيرة لسرقسطة^(٣) ففي منتصف شهر رجب من نفس السنة خرج الناصر من قرطبة^(٤) إلى مقاتلة أعدائه في جيش ضخم، وكان بروزه لهذه الغزوة يوماً مشهوداً وفي ذلك يقول أحمد بن حم بن بدره:

يوم من العز مجموع له يختال في عقوتيه الجود
الناس والبأس

وعلم الناصر أثناء سيره أن النصارى في الوقت الذي يحتشدون فيه بأطراف الثغر الأعلى لمناصرة حليفهم محمد بن هاشم التجيبي صاحب سرقسطة الذي استجاش بهم يحاولون في نفس الوقت الزحف نحو طليطلة

(١) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٨١/٥).

(٢) ابن حيان: مصدر سابق، ص(٣٨١/٥)، عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٤٠٧).

(٣) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٩٣/٥).

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٥).

لإثارة الثورة فيها، فسار الناصر إلى طليطلة ونزلها ليأمن أهلها، ويرهب النصارى، فلما علم النصارى بذلك رجعوا مذعورين إلى الشمال.^(١) وبعد أن أحكم الناصر جميع شؤونه في الثغر الأدنى حيث أبقى قوة من جيشه في منطقة طليطلة بقيادة مولاة دُرِّيَّ َ ي^(٢) قصد الثغر الأعلى.^(٣) ومما يجدر بالإشارة هنا أن الناصر جعل من مدينة طليطلة مركزاً وقاعدة انطلاق في غزوته لسرقسطة . وقد سلك الناصر طريقه إلى الثغر الأعلى عبر وادي الحجارة وقد رأى أن يبدأ أولاً بقلعة أيوب، حيث كان فيها الثائر مطرف بن منذر التجيبي المعروف بأبي شويرب صاحب قلعة أيوب، فقد استجاش مطرف بالنصارى فبعث له رذمير فرقة من فرسان ألبه والقلاع لإنجاده فبلغ الناصر ذلك فزاد غضبه على مطرف وحاصر القلعة، وبعث يدعو إلى الطاعة، ويؤكد له الأمان بخطه، ولكن مطرف أصر على معصيته واغتر بمن معه من النصارى ورفض هذه الدعوة.^(٤) فما كان من الناصر إلا أن هاجم القلعة وبرز إليه مطرف وحلفاؤه النصارى فوقعت بين الطرفين معركة شديدة كان النصر فيها حليفاً للناصر وقتل فيها مطرف.^(٥)

ونجا من هذه المعركة أخو مطرف وهو حكم بن منذر، فلجأ حكم بن منذر وجميع رجال بني تجيب ومن معه من فرسان ألبه والقلاع إلى القصبية^(٦)، وامتنعوا بها فاستمر الهجوم عليهم وكثر القتل في المدافعين حتى اضطر حكم

(١) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٩٤/٥-٣٩٥).

(٢) دُرِّيَّ بن عبدالرحمن الصقلبي، مولى أمير المؤمنين الناصر. ابن عذري: البيان، ص(٢٠٧/٢).

(٣) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٩٥/٥).

(٤) ابن حيان: المصدر نفسه، ص(٣٩٦/٥).

(٥) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٩٧/٥).

(٦) القصبية (الحصن أو القصر) عنان: الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية باللغتين الأسبانية والعربية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧٦، ص(٨).

بن منذر أن يطلب الأمان له ولحلفائه النصارى ليعودوا إلى بلادهم، وإحاقه هو وأهله بالحضرة، فقبل الناصر ذلك ونزل الحكم ومن معه من القسبة و فُي عن النصارى المستأمنين وقُدِل الباكون^(١) وتم فتح قلعة أيوب في التاسع عشر من شهر رمضان من عام ٣٢٥هـ-٩٣٦م وكان فتح قلعة أيوب أول صدع خطير في ثورة بني تجيب، وكان بها فضلا عن مناعتها الطبيعية عدة كبيرة من فرسان سرقسطة والأكابرة وخمسائة من الفرسان النصارى لم ينج منهم سوى الخمسين الذين أمّنوا.^(٢) وقد أفاض الشعراء في تهنئة الناصر بهذا الفتح ومن ذلك قصيدة لابن عبد ربه :-

يا ابن الخلايف والصيد أَلقت إليك الرعايا بالمقاليد
الصناديد

وقبل أن يسير الناصر إلى سرقسطة رأى أن يقوم بجولة في أراضي النصارى فاتجه إلى ألبه والقلاع وفتح ثلاثين حصناً من حصونهم^(٣) وسار الناصر بعد ذلك إلى تطيلة ثم سار منها إلى سرقسطة فنزل عليها في الثاني عشر من شهر شوال في سنة ٣٢٥هـ-٩٣٦م وابتنى حولها المنازل والدور بمحلته^(٤). كما عهد الناصر إلى قريبه أحمد بن إسحاق القرشي^(٥) قائد الفرسان

(٤) ابن حيان: المقتبس، ص(٣٩٨/٥-٣٩٩).

(٢) ابن حيان: المصدر السابق، ص(٣٩٩/٥)، عنان: دولة الإسلام العصر الأول، القسم الثاني، ص(٤٠٨).

(٣) ابن خلدون: العبر، ص(١٤٠/٤)، ولمزيد من التفاصيل انظر: ابن حيان: المقتبس، ص(٤٠٠/٥-٤٠١).

(٤) ابن حيان: المصدر السابق، ص(٤٠١/٥-٤٠٢).

(٥) كان أحمد يتطلع إلى ولاية العهد بل أنه لم يتورع عن إثارة حفيظة الخليفة بأن أنفذ إليه كتاباً يفصح له فيه عن قصده، وفي الوقت ذاته لم يكن صادق العزم في نيته تجاه سرقسطة فاستشاط الخليفة غضباً منه وكتب إليه وهو حانق عليه، انظر: رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٤م، ص(٣٢/٢-٣٣). نص ما كتبه الناصر =

بحصار سرقسطة وعينه حاكماً للثغر ولكنه تهاون في الحصار لأطماع كانت
تجيش بها نفسه فانبه الناصر وعزله، فاتفق مع أخيه أمية على التآمر
والخروج، فوقف الناصر على أمرهما واكتفى بنفيهما من الأندلس^(١).

واستمر حصار سرقسطة عدة أشهر والناصر يضيق الحصار بشكل أقوى
حتى اضطر محمد بن هاشم أن يبعث رسالة في طلب الأمان والصلح، ويروي
لنا ابن حيان في كتابه المقتبس ذلك فيقول: «لما مس آل تجيب الضّر واشتد
عليهم الأمر ورأوا من مساكنة السلطان عليهم في عقر دارهم وإشرافه عليهم
في أفنيتهم، ما ضاقوا به ذرعاً وخانهم صبرهم، واستفتحوا باب المراسلة
وطلبوا الأمان» فأبدى الناصر قبوله وتسامحه وطلب أن يخرج إليه إخوة
محمد بن هاشم وكبار الشخصيات في سرقسطة لعقد الصلح، فخرج إليه رجال
سرقسطة ومن بينهم إخوة محمد يحيى وعبدالرحمن وهذيل، فقبض الناصر على
تلك الصفوة المختارة من سرقسطة وتم إيداعهم السجن^(٢). فلما علم محمد بن
هاشم بتلك الضربة القاسية التي حرمته من كبار معاونيه ظل ممتنعاً ورسّل
الناصر تترده إليه بالإعذار والإنذار، وأخيراً بعث الناصر إليه بوزيره ومولاه

= إلى أحمد بن إسحاق (أم بع فلّا كنا نرى الأستحماد إليك استصلاحاً لـ فأبى الطبع الغريزي إلا
ما استحکم منه فيك إلا أن أستحوذ عليك فالفقر يصلحك والغناء يطيعك إذا لم تكن عرفته ولا
تعودته أو ليس كان أبوك فارساً من فرسان ابن حجاج أخسهم حاءً عنده وأنت يومئذ نحاس
الحمير بإشبيلية فأقبلتم إلينا فإينكم ونصرناكم وشرفناكم ومولنا واستوزرنا إياك وقلدناك عدته
أجمع وفوضنا إليك أمر ثغرنا الأعظم فتهاونت بالتنفيذ لنا وقلّة المبالاة بنا....». انظر: مؤلف
مجهول: أخبار مجموعة، ص (١٥٦) وما بعدها.

(١) سار أمية إلى مدينة شنترين ناحية الغرب وتحالف مع ملك ليون، أما أحمد فحاول الاتصال
بالفاطميين فأمر الناصر بإعدامه. انظر: ابن خلدون: العبر، ص (١٣٩/٤)، ابن الأثير: الكامل،
ص (٣٥٧/٨).

(٢) ابن حيان: المقتبس، ص (٤٠٣/٥).

مدد بن عبد الملك بن أبي عبده، فاطمأن محمد بن هاشم إليه وأذعن إلى التوبة وطلب الأمان والصلح وكان ذلك خلال عيد الأضحى سنة ٣٢٥هـ-٩٣٦م^(١). فاستجاب الناصر لطلب محمد بن هاشم وعقد له الأمان^(٢). بأوثق عقد وشهد على ذلك اليهود من أهل العسكر أهل الثغور وكان ذلك في شهر محرم سنة ٣٢٦هـ-٩٣٧م^(٣) ودخل الناصر سرقسطة بعد أن أسلمها إليه محمد بن هاشم هاشم وكان ذلك في ١٤ محرم سنة ٣٢٦هـ-٩٣٧م^(٤).

وتجول الناصر داخل سرقسطة ورأى حصانة أسوارها وإتقانها فأمر بهدم الأسوار حتى لا تشجع الخارجين على الثورة^(٥). ودعم الحصون برجالها ونظر في مصالحها، وأمن الناصر أهلها فسكنت نفوسهم، وأثناء مقام الناصر في سرقسطة أحب أن يختم غزوته هذه بجهاد نصارى بنبلونة فبعث حملة قوامها أربعة آلاف من الفرسان المختارين بقيادة نجدة بن حسين مولاها، وأمر محمد بن هاشم أن يرافقه في أصحابه حتى يبرهنوا على حسن ولائهم، ويثبتوا قطع صلتهم بالنصارى، فسار نجدة بن حسين في اليوم السابع والعشرين من محرم سنة ٣٢٦هـ-٩٣٧م وانضم إليه في اليوم التالي محمد بن هاشم في تطيله واتجها صوب « شنت أشتين » و« ذي شره » وكان النصر فيها حليفاً للمسلمين وعادوا مثقلين بالغنائم إلى سرقسطة^(٦) وبعد أن استتم الناصر النظر في شؤون الثغر، وحفظ أطرافه وتزويده بالمدافعين وكل ما يضمن سلامته غادر سرقسطة

(١) ابن حيان: المصدر السابق، ص(٤٠٤/٥).

(٢) انظر نص الأمان أو وثيقة سرقسطة في ملاحق الرسالة.

(٣) ابن حيان: المصدر السابق، ص(٤٠٤/٥).

(٤) ابن حيان: المصدر السابق، ص(٤١٩/٥)، العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٥).

(٥) ابن حيان: المقتبس، ص(٤١٩/٥).

(٦) ابن حيان: المقتبس، ص(٤٢٠/٥-٤٢١).

في الرابع عشر من شهر صفر فكان وصوله لقرطبة في الثالث عشر من ربيع الأول من سنة ٣٢٦ هـ-٩٣٧ م، بعد غياب دام عنها ثمانية أشهر^(١).

ووفد محمد بن هاشم التجيبي بعد ذلك على قرطبة فأكرمه الناصر تكريماً عظيماً وأقام في كنفه مدة في رغد وإيثار وكان يحضر مجالس الخليفة^(٢) ثم غادر قرطبة في شهر رجب من نفس عام ٣٢٦ هـ-٩٣٧ م بعد أن ولاه الناصر سرقسطة وعقد له عليها وعلى الجهات التابعة لها، وولاه في نفس الوقت القيادة وبذلك رجع إلى مكانته السابقة^(٣) وهكذا أصبحت سرقسطة ولاية تابعة للخليفة حتى سقطت الخلافة وبذلك انهارت ثورة التجيبيين في الشمال وكانت من أخطر الثورات التي واجهها الناصر لأنها أضحت مركزاً لتجمع القوى المعادية لخلافة قرطبة. وبانتهاء ثورة سرقسطة انتهت تلك الثورات التي اجتاحت الأندلس في مطلع القرن الرابع الهجري-العاشر الميلادي وكان للناصر الدور الأساسي في توحيد الأندلس والقضاء على تفرقها^(٤).

وبعد أن تمكن الناصر من إخضاع الشمال الشرقي من شبه الجزيرة كله لسلطانه لم يبق أمامه سوى رذمير ملك ليون^(٥)، ففي عام ٣٢٧ هـ-٩٣٨ م، قام

(١) ابن حيان: المصدر نفسه، ص(٤٢٢/٥-٤٢٣)، العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٦)، عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٤١٣).

(٢) ابن حيان: المقتبس، ص(٤٢٣/٥-٤٢٤)، ويخالف العذري قول ابن حيان حيث يذكر أن محمد بن هاشم التجيبي قدم مع الخليفة الناصر إلى قرطبة. العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٦).

(٣) ابن حيان: المقتبس، ص(٤٢٤/٥)، العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٦).

(٤) ويقول ابن حيان في ذلك [إن الناصر صير الأندلس جميعاً في قبضته، واقتلع أمر النفاق بأسره، فلم يبق له بعد محمد بن هاشم ناكب عن الطاعة، فأصبح يزود أهلها طرداً بعصاه، ويمضي فيهم حكمه، ووجب عند ذلك قفوله إلى حضرته واستواه على أريكته، لما استوى له ملك الأندلس معاً] ابن حيان: المقتبس، ص(٤٢٢/٥).

(٥) ابن حيان: المصدر السابق، ص(٤٣٢)، العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٦).

الناصر بحملته المعروفة بغزوة الخندق (Al handiga) ولأهمية هذه الغزوة أطلق عليها "غزاة القدرة"^(١) وينقل لنا ابن حيان في كتابه المقتبس ما رواه عن الرازي عيسى بن أحمد عن غزوة الخندق وملخصها، لما عزم الناصر على غزو أهل جليقة (مملكة ليون) وأخذ يستعد لهذه الغزوة، فحشد جيشاً ضخماً، وبعث كتبه إلى الثغور واستكثر من الآلات والسلاح، وخرج الناصر في قواته إلى الغزو في شهر شعبان من نفس السنة، ووصل الناصر بقواته إلى طليطلة في رمضان وأقام بها ستة أيام ثم خرج منها إلى أرض العدو في شوال فجال فيها أياماً وأخلى النصارى هذه المنطقة وكانت كثيرة النعم والأقوات، فاستولى المسلمون عليها ثم تقدم المسلمون بعد ذلك إلى عدد من حصون النصارى، فنزلوا أهلها وذلك في ١٣ شوال من نفس العام^(٢). وكان لمحمد بن هاشم التجيبي دور كبير في هذه الغزوة حيث تمكن من إظهار قوته وصدق طاعته حيث تقدم في نفس الوقت الذي بدأت فيه المعركة بقواته فعبر نهر شنت مانكش المعروف بشورقة "Pisuerga" والتقى بالعدو وراء النهر حيث اشتدت بينهم الحرب، ونجح محمد في الضغط على قوات العدو، فانسحبت إلى المدينة ولجأت إلى قصبة المدينة، واقتحم محمد بن هاشم مدينتهم، وعاد النصارى فاجتمعوا وخرجوا من القصبة ودارت بينهم حرب صعبة، سقط خلالها محمد بن هاشم عن فرسه ووقع أسيراً عند النصارى في شوال من نفس العام^(٣).

وهُزم المسلمون في هذه المعركة هزيمة شديدة على باب شنت مانكش، وقتل منهم كثير وارتدوا في تراجعهم إلى خندق عميق وهو الذي تنسب إليه الموقعة وتقدم الناصر بقواته واحتل بهم أعلى نهر بشورقة وعجز النصارى

(١) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص(١٥٦).

(٢) ابن حيان: المقتبس، ص(٤٣٤/٥).

(٣) ابن حيان: مصدر سابق، ص(٤٣٥-٤٣٤/٥).

عن اتباعه ولبت هناك يومه وقد ساد الخلل في الجيش وأيقن الناصر بتمحيص الله للمسلمين ثم رحل قافلاً حتى وصل مدينة وادي الحجاره ثم سار إلى قرطبة^(١). وهناك العديد من المصادر العربية^(٢) التي أشارت إلى غزوة الخندق وخاصة المصادر الأندلسية ومن أهمها ما رواه ابن حيان عن الرازي التي ذكرناها سابقاً، وأيضاً رواية ابن الخطيب في كتابه "أعمال الأعلام" حيث يصفها بالوقعة الشهيرة التي ابتلى الله بها عبدالرحمن ومحصه والتي أوقعه بها عدو الله رذمير ابن أردون ويحدد ابن الخطيب تاريخ ومكان الموقعة في يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ٣٢٧هـ-٩٣٨م ووقعت على باب مدينة شنت ما نكش^(٣) من بلاد الروم بعد قتال أيام جالت فيه المغالبة بين الفريقين بأشد ما يكون وأصعبه، ثم كانت للعدو كرة فانكشف المسلمون انكشافاً لم يسمع بمثله وألجا العدو المسلمين إلى خندق بعيد المهوى، وهو الذي تنسب إليه الموقعة فتساقط فيه المسلمون حتى ساروا بين حافتيه، وانكشف الناصر وأسلم فيها محلاته فاستولى عليها العدو بما فيها من عدة وغير ذلك، وضاع فيها مصحفه ودرعه^(٤). وتمتاز رواية ابن حيان وابن الخطيب بالدقة والوضوح

(١) ويزيد ابن حيان على رواية الرازي كما ينقل الينا رواية ابن مسعود عن غزوة الخندق. انظر: ابن حيان: المقتبس، ص(٤٣٦-٤٣٧، ٤٤٦-٤٤٧).

(٢) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص(١٥٦)، ابن خلدون، العبر، ص(٤/١٤٠)، ابن الأبار: الحلة السیراء، ص(١/٢٧٢-٢٧٣) هامش(١)، المسعودي: علي بن الحسين: مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، الطبعة الخامسة ١٣٩٣-١٩٧٣م، ص(١/١٦٢)، ونقلها عن المسعودي المقري: نفع الطيب، ص(٨/٣٥٧).

(٣) شنت م نكش: هي بالإسبانية (Simancas) سيمانقة وتقع على مقربة من نهر دويره شرقي مدينة سمورة وجنوب غربي بلد الوليد. انظر عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٤١٩) هامش(٢).

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(٣٦-٣٧).

(١) ويمكن حصر أسباب الهزيمة وعوامل الانكسار التي حلت بالمسلمين إلى عاملين :

افقدان الوحدة بين صفوف هذا الجيش الكبير الذي حشر حشراً مكرهاً غير مخير^(٢). بالإضافة إلى تعيين نجدة بن حسين الصقلبي قائداً أعلى له، فقد ولد ذلك نوعاً من التذمر وأثر تأثيراً سلبياً على معنويات بعض فرقته وإلى هذا يشير ابن حيان بقوله: "وبدا من قوم من وجوه الجند في هذا اليوم النفاق لأضغان احتملوها على السلطان، ففتقوا الصفوف، وشرعوا في الهرب وجروا على المسلمين الهزيمة"^(٣).

٢- أن ميدان المعركة لم يكن في صالح القوات العربية ولم يسمح لها بالمناورة الكافية عند الضرورة لذا حسمت المعركة مع أول ارتداد أصاب بعض فرق هذه القوات، ولم يتمكن الناصر من معالجة الموقف بعد مقتل نجدة الصقلبي وإبعاد قواته المتراجعة بدون نظام إلى الخندق الذي أصبح مقبرة حقيقية لمعظم قواته المرتدة^(٤). وكان لهزيمة المسلمين في غزوة الخندق نتائج خطيرة بالنسبة للخلافة الأموية بقرطبة وبالنسبة لإمارة الثغر الأعلى بسرقسطة تمثلت فيما يلي: ١- كانت موقعة الخندق خاتمة أعمال الناصر الحربية فلم يغز بعدها أي غزوة بنفسه، واهتم بالبناء والتعمير^(٥). وفي ذلك يقول ابن حيان « إنه

(١) عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٤١٥).

(٢) ابن حيان: المقتبس، ص(٤٣٣/٥).

(٣) ابن حيان: المصدر السابق، ص(٤٣٦-٤٣٧)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(٣٧)، السامري وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص(١٦٩).

(٤) السامري وآخرون: نفس المرجع والصفحة.

(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(٣٧-٣٨)، ابن خلدون: العبر، ص(١٤٢/٤).



قد اشتدت على الناصر نكبته في غزوته هذه، فاتهم سعدة واعتكر بكرهه، حتى خاف على نفسه، فأثير عليه بعكس همه، فالتفت إلى البنيان يعالج به همه وأساها، فأنشأ مدينة الزهراء^(١). وأقصر من ذلك الوقت عن الغزو بنفسه». ٢- اتبع الناصر سياسة جديدة نحو أمراء الثغر الأعلى وهو أنه أسند إلى ولاية الثغر والأسر المستقرة به والتي كانت تتمتع بالعصبية القوية مثل آل تجيب وآل ذي النون وآل الطويل وآل رزين محاربة النصارى وتزويدهم كل عام بالعدد والسلاح^(٢).

٣- اعتماد الناصر في حملته على (غلمانه وأحشامه خاصة) لما هم عليه من تكامل العدة وعدم استعانتهم بأحد من أجناس المطوعة^(٣). ٤- كان وقع هذه الهزيمة شديداً على الناصر فقد حاول تسويقها بمنشور عام فصل فيه الظروف التي أحاطت بقواته والأسباب التي أدت إلى هذه النتيجة^(٤). وبقي محمد بن هاشم أسيراً لدى النصارى أكثر من عامين، حيث وقع في أسر رزمير ملك ليون، وكان ذلك في غزوة الخندق وبذل الخليفة الناصر جهده لفك أسر محمد بن هاشم، ففي عام ٣٢٩هـ- ٩٤٠م لجأ الناصر إلى إبرام السلم مع رزمير لفك أسر محمد بن هاشم وتولى إبرام السلم حسداي بن إسحاق الإسرائيلي الكاتب^(٥). وفي شهر صفر من عام ٣٣٠هـ- ٩٤١م وصل محمد بن هاشم التجيبي إلى قرطبة بعد إطلاق سراحه حيث مكث في الأسر عامين وثلاثة أشهر^(٦). فسر الناصر

(١) الزهراء: تقع في غربي قرطبة، بناها الخليفة عبدالرحمن الناصر، وهي مدينة عظيمة. الحميري: الروض المعطار، ص(٢٩٥).

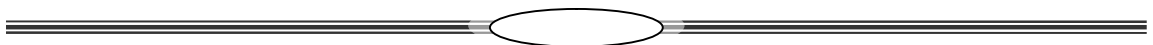
(٢) ابن حيان: المقتبس، ص(٤٣٨/٥).

(٣) ابن حيان: مصدر سابق، ص(٤٣٦-٤٤٩).

(٤) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص(١٦٩).

(٥) ابن حيان: المقتبس، ص(٤٦٦-٤٦٧).

(٦) ابن حيان: مصدر سابق، ص(٤٧٤/٥)، ابن خلدون: العبر، ص(١٤٠/٤).



بخلاصه كثيراً، ورفع منزلته وولاه الوزارة، وأخرجه قائداً على الثغر الأعلى كله^(١). وبعد عودة محمد بن هاشم قام بدور كبير في التصدي لنصارى الشمال، عدا نقض غرسية بن شانجة صاحب بنبلونه معاهدة السلام^(٢).

واستمر محمد بن هاشم التجيبي والياً وقائداً بالثغر الأعلى إلى أن توفي شهر محرم سنة ٣٣٨ هـ-٩٤٩ م، فخلفه ابنه يحيى بن محمد بن هاشم على سرقسطة وأعمالها^(٣) وفي عام ٣٤٠ هـ-٩٥١ م كانت للمسلمين فتوحات في أراضي النصارى وشارك التجيبيون في ذلك، وكان منها فتح على يدي يحيى بن هاشم التجيبي^(٤). ومنذ أواخر فترة حكم الناصر التي انتهت في سنة ٣٥٠ هـ-٩٦١ م، وخلال فترة حكم ابنه الحكم المستنصر بالله "٣٥٠-٣٦٣ هـ-٩٦١-٩٧٦ م" سعت الخلافة إلى العناية أكثر بشؤون الثغر الأعلى، فوثقت صلتها بالتجيبيين وأشركتهم في حملاتها العسكرية ضد نصارى الشمال، وقد أدى التجيبيون دوراً بارزاً في ذلك، فقام يحيى بن محمد التجيبي والي سرقسطة بمهاجمة أراضي النصارى، واشترك مع القائد أحمد بن علي في حملة قرطبة إلى ثغر برشلونة، كما سار مع القائد غالب إلى ألبه والقلاع^(٥). حيث تمكن من احتلال حصن غرماج (Gormaz)^(٦).

(١) ابن حيان: المقتبس، ص(٤٧٤/٥).

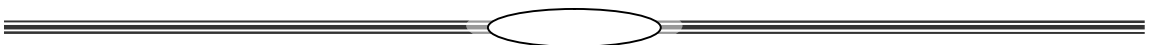
(٢) ابن حيان ١: المصدر السابق، ص(٤٨٠/٥-١٨١).

(٣) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٧).

(٤) ابن عذاري: البيان، ص(٢١٧/٢).

(٥) كان ذلك في سنة ٣٥٤ هـ-٩٦٥ م، انظر: ابن خلدون: العبر، ص(١٤٥/٤)، المقري: نفع الطيب، ص(٣٧٣/١).

(٦) غرماج: تقع قاعدة غرماج الحصينة على نهر دويرة على مقربة من شنت إشتين، وكان الناصر قد انتزعها من النصارى سنة ٣٢٩ هـ-٩٤٠ م. عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٤٨٧).



المبحث الثاني: سرقسطة في عصر الحكم المستنصر

بعد وفاة الناصر تولى الخلافة ابنه الأكبر وولي عهده الحكم المستنصر بالله بعهد منه، وكان الناصر قد آثره على سائر إخوته وولاه عهده، ويقول ابن خلدون في ذلك (كان الناصر قد رشح ابنه الحكم وجعله ولي عهده وآثره على جميع ولده)^(١) وبويع الحكم بعد وفاة أبيه تجديداً لعهدده في الثالث من رمضان سنة ٣٥٠هـ-٩٦١م، وكان الحكم يومئذ في نحو الثامنة والأربعين من عمره^(٢) وقد ذكرنا سابقاً عناية الخلافة الأموية بشؤون الثغر الأعلى منذ عهد الخليفة الناصر وخلال فترة حكم ابنه الحكم المستنصر، ونتج عن ذلك، مشاركة بني تجيب مع جيش الخلافة في الحملات تجاه النصارى، فكان للتجيبين دورٌ بارزٌ في ذلك. كما شارك أيضاً زعماء بني تجيب في احتفالات الخلافة بقرطبة في كل من عيدي الفطر والأضحى السنوية، فيذكر ابن حيان ذلك في كتابه المقتبس وهو يتحدث عن خمس سنوات من عصر الخليفة الحكم المستنصر من عام ٣٦٠-٣٦٤هـ-٩٧٠-٩٧٤م^(٣). ويشير ابن حيان أن هذا الاشتراك والرضى عن بني هاشم التجيبين قد تم بعد جفوة جهلت أسبابها وتاريخها.

ففي سنة ٣٦٠هـ-٩٧٠م شارك زعيم بني تجيب يحيى بن محمد بن هاشم في الاحتفال بعيد الفطر وقلد سيفاً من سيوف الخاصة تكريماً له وكان جالساً بين كلِّ من الوزير عبدالرحمن بن موسى بن حدير والوزير صاحب المدينة

-
- (١) ابن خلدون: العبر، ص(٤/١٤٣)، وقيل إن الناصر أخذ بيعة العهد لابنه الحكم وهو طفل لم يجاوز الثامنة من عمره. انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعمال، ص(٤١).
 - (٢) ابن عذاري: البيان، ص(٢/٢٣٣)، ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(١/٢٠٠).
 - (٣) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص(٢٨-١٥).
-

بقرطبة جعفر بن عثمان وصاحب المدينة بالزهراء محمد بن أفلح^(١) كما شارك أيضاً من بني تجيب كلُّ من عبدالرحمن بن محمد بن هاشم، وهاشم بن محمد وجلسوا في مكان أقل من مكانة أخيهم يحيى بن محمد بن هاشم، حيث جلسوا بين أصحاب الشرطة وقلدوا سيفين من سيوف الخاصة تشريفاً لهما وشارك أيضاً في هذا الاحتفال كل طبقات أهل الخدمة على حسب مراتبهم^(٢). وبعد انقضاء صلاة العيد جلس الخليفة المستنصر بالله في محراب المجلس الشرقي من قصر الزهراء لتلقي تهنئة الجند وتسليمهم عليه^(٣). ويستنتج من روايات ابن حيان وابن عذاري أن الخليفة الحكم المستنصر بالله استقدم زعماء بني تجيب من الثغر الأعلى إلى قرطبة في سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، وولى مدينة سرقسطة بني يعلي، أما أسباب نقلهم فهي غامضة، ولكن ابن عذاري يذكر في أحداث ٣٥٦هـ/٩٦٦م أن الخليفة الحكم المستنصر بالله قد خاطب عمال الكور يحذرهم من إساءة معاملة رعيّتهم، كما كتب إلى القواد والعمال بإنكار ما اتصل به من أن بعضهم يسفك دماء بعض بلا عهد ولا مشورة وأن ذلك عظم عنده وتبرأ إلى الله ممن أقدم عليه^(٤).

فهل هذه الأحداث لها علاقة بتولية بني يعلي أمور سرقسطة وإبعاد زعماء بني تجيب عنها، ولكن استمر التجيبون يشاركون في احتفالات القصر بقرطبة. بنفس الطريقة في السنوات التالية حتى استعاد يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي ثقة الحكومة المركزية أثناء الاحتفالات بعيد الفطر، وذلك هو السبب في حضور هؤلاء التجيبين إلى قرطبة بعد أن أبعادوا عن سلطاتهم في كل من

(١) ابن حيان: المصدر السابق، ص(٢٨-٢٩-٣٠).

(٢) ابن حيان: مصدر سابق، ص(٣٠).

(٣) ابن حيان: مصدر سابق، ص(٢٨).

(٤) ابن عذاري: البيان، ص(٢٣٩/٢-٢٤٠).

سرقسطة وتطيله ولاردة (lerid)^(١) فحكم سرقسطة ولاردة الوزير أحمد بن يعلي^(٢). وفي عام ٣٦١هـ / ٩٧١م توفي أحمد بن يعلي فحل محله صاحب الشرطة العليا أحمد بن محمد بن عباس حيث كان أخوه عباس حاكماً على لاردة^(٣). وقد استغل الخليفة الحكم المستنصر بالله خبرة التجيبين في حرب نصارى الشمال للمساهمة في فتوحاته في بلاد المغرب وذلك عندما اصطدمت قوات قرطبة بأدارسة المغرب الأقصى وقتل قائد الخليفة بالعودة محمد بن قاسم بن طملس على يد حسن بن قنون في معركة عرفت باسم فحص مهران في سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م^(٤). مما دفع الحكم المستنصر إلى إرسال قائده غالب بن عبدالرحمن وأمره أن يشتد في قتال الأدارسة^(٥).

وأمدته بالقواد وكان من بينهم القائد الوزير يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي حاكم سرقسطة وأمره الحكم بالتوجه إلى الغرب بعسكر مدداً للقائد غالب، وجامعاً اليد معه على حسن بن قنون وأمره بالتأهب لذلك اجلاً^(٦). فخرجت هذه الإمدادات الجديدة إلى القائد غالب بقيادة الوزير يحيى بن محمد التجيبي وإخوته يوسف ومحمد وهاشم وهذيل وبنو عمه التجييون في عسكر ضخم يضم الأجناد والرماة الأحرار والعبيد وغيرهم ومعهم جملة من

(١) لاردة: مدينة في ثغر الأندلس الشرقي، وهي مدينة قديمة ابتليت على نهر يخرج من أرض جليقة يعرف (بشيقر) الحميري: الروض المعطار، ص(٥٠٧).

(٢) أحمد بن يعلي: كان من قادة الجيش الكبار منذ أيام الناصر، انظر: ابن عذاري: البيان، ص(٢١٧/٢-٢١٨).

(٣) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص(٦٩).

(٤) ابن حيان: مصدر سابق، ص(٩٦)، ابن عذاري: البيان، ص(٢٤٦/٢).

(٥) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص(١٠٢).

(٦) ابن حيان: المصدر نفسه، ص(١٢٨)، ابن عذاري: البيان، ص(٢٤٧/٢).

المال والكسى الفخمة والسيوف لمن يستأمن ويدخل في الطاعة من زعماء البربر^(١). وفي سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م افتتح القائد غالب مدينة البصرة^(٢). التي كان انتزى فيها "محمد بن قنون الحسني" وذلك أن أهل البلد قاموا عليه وقتلوا نائبه وخليفته عليهم وابتدروا لمخاطبة القائد غالب يستجلبونه إليهم فوصلهم وملك المدينة وخاطب الخليفة بخبرها^(٣). بينما أبقى القائد يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي في "حصن الكرم" المحاصر لحصر النسر وذلك للتضييق على حسن بن نون في الحصن حتى استسلم في جمادى الآخرة من نفس سنة ٣٦٣هـ- ٩٧٣م^(٤).

وفي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م عاد القائد غالب منتصراً من بلاد المغرب إلى قرطبة ومعه حسن بن قنون واتباعه بنو إدريس الحسنيون ملوك المغرب والمستنزلين من معاقلهم إلى الأندلس، وواصل يحيى بن هاشم التجيبي قيادة الجيش القرطبي في المغرب^(٥). وبادر الخليفة الحكم المستنصر بإمداد القائد التجيبي بالأموال اللازمة للصرف على جنده، وأمر الحكم "محمد بن حسين الطبني"^(٦) بالانصراف إلى بلاد المغرب مرافقاً للقائد التجيبي لمعرفة أخبار المغرب وأهله وحسن رأيه، واستمرت قوات قرطبة بالمغرب الأقصى في الفترة التالية بقيادة يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي^(٧). وفي حين انشغال

(١) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص(١٢٩).

(٢) البصرة: تقع فيما بين طنجة وفاس وهي مدينة كبيرة، وأوسع تلك النواحي مرعى وأكثرها زرعاً. الحميري: الروض المعطار، ص(١٠٨).

(٣) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص(١٤١)، ابن عذري: البيان، ص(٢٤٧/٢).

(٤) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص(١٢٤-١٥٠).

(٥) ابن حيان: مصدر سابق، ص(١٩٤)، ابن عذاري: البيان، ص(٢٤٧/٢-٢٤٨).

(٦) نسبة إلى مدينة طنبنة شرقي الجزائر.

(٧) ابن حيان: المقتبس ت الحجي، ص(١٧٧).

الجيش الأندلسية وقوادها الأكبر بحوادث العدة انتهز النصارى هذه الفرصة حيث نكث صاحب قشتالة العهد والهدنة وهاجم حصن غرماج متحالفاً مع ملك بنبلونة وملك ليون ضد خلافة قرطبة^(١). ويلاحظ هنا، أن من أهم الدوافع التي شجعت النصارى على مهاجمة حصن غرماج هو ذهاب الجزء الأكبر من قوات التجيبين إلى بلاد المغرب .

وفي نفس العام ٣٦٤هـ/٩٧٤م عين الخليفة الحكم المستنصر عبدالرحمن بن يحيى بن محمد التجيبى المقيم بقرطبة قائداً لمدينة سرقسطة ومطرباً لنصارى الشمال فغزاهم عبدالرحمن بحملة ضخمة هاجمت قوات النصارى في حصن شوس بجوار تطيلة وانتصر عليهم وتبعته قواته المنهزمين وأرسل إلى قرطبة ثلاثة وثلاثين (٣٣) من القتلى النصارى، وبندا رفيع القدر، وقرنا بفخ مخضض وسبعة وأربعين فرسا، وقرىء هذا الفتح في الجامعين بقرطبة والزهاء^(٢).

وبذلك أثبت التجيبون مقدرتهم في الدفاع عن الثغر الأعلى، وقد استمرت قوات قرطبة بالمغرب الأقصى تحت قيادة القائد يحيى بن محمد التجيبى حتى سنة ٣٦٥هـ-٩٧٥م، حيث أرسل الخليفة الحكم كلاً من جعفر ويحيى ابني علي بن حمدون الأندلسي قائدين للقوات الأندلسية بدلاً من القائد يحيى بن محمد التجيبى، الذي كافأه الخليفة لحسن بلائه وإخلاصه في أداء مهمته في المغرب الأقصى فأعاده قائداً والياً إلى الثغر الأعلى وبين يديه الطبول والبنود^(٣). وهكذا عاد التجيبون منتصرين إلى مناطق نفوذهم بالثغر الأعلى اعتباراً من سنة

(١) ابن حيان: مصدر سابق، ص(١٨٨-٢١٨-٢١٩).

(٢) ابن حيان: مصدر سابق، ص(٢٣٧-٢٣٨).

(٣) ابن عذاري: البيان، ص(٢٤٩/٢-٢٥٠).

١

٣٦٤هـ-٩٧٤م. وفي عام ٣٦٦هـ-٩٧٦م توفي الخليفة الحكم المستنصر بالله^(١) تاركاً ولاية العهد لابنه هشام، حيث أخذت له البيعة في حياة والده سنة ٣٦٥هـ-٩٧٥م^(٢). وبوفاة الحكم ينتهي عصره الذي يمتاز بالسلام والأمن والرخاء، كما يمتاز بظاهرة من ألمع الظواهر في تاريخ الدولة الأندلسية هي ازدهار العلوم والآداب أعظم ازدهار، وهو خاتمة العظماء من بني أمية.

(١) يتفق كلاً من، ابن الأبار: الحلة السیراء، ص(٢٠٠/١)، المقرئ: نفع الطیب، ص(٣٩٦/١)، ابن الخطیب: أعمال الأعلام، ص(٤٣)، أن وفاة الحكم في ٢ صفر من عام ٣٦٦هـ-٩٧٦م وينفرد عنهم ابن عذاري: في كتابه البيان حيث يجعل وفاة الحكم في ٣ رمضان من سنة ٣٦٦هـ-٩٧٦م.

(٢) ابن عذاري: البيان، ص(٢٤٩/٢).

المبحث الثالث: سرقسطة في ظل (المنصور) محمد بن أبي عامر

وفي اليوم التالي لوفاة الحكم المستنصر بالله، وهو يوم الاثنين ٣/ص من سنة ٣٦٦هـ-٩٧٦م تربع هشام المؤيد على كرسي الخلافة ولم يعترض أحد على توليته^(١). ويصف لنا ابن الخطيب حالة الخلافة الأندلسية وأحوال الأندلس عند ولاية هشام المؤيد فيما يأتي « بويع ولي عهده (أي الحكم) هشام الملقب بالمؤيد بالله، والخلافة قد بلغت المنتهى، وأدركت الجنى، وبلغ طورها، وانتهى دورها، فكانت كمامة، ثم زهرة بسامة، ثم ثمرة بهيئة، ثم فاكهه شهيه، وكان بكرسي العامرية مجلاها، ثم تلاها ما تلاها، وأرخص الحطوط من أعلاها، فكان المال قد ضاقت عنه خزائنه، والمصر قد عظمت مزاياه ومزائنه، والملك تعود بالله أن لا يصيبه عائنه الذي يعاينه، والمباني قد بلغت السماء سمواً، وزاحمت الكواكب علواً، والبلاد قد بلغ فيها إلى قاصي الاهتمام وفرغت بناتها من لبنات التمام، والآثار الصالحة قد تخلدت، والمآثر الواضحة قد تعددت، والأذهان في بسطة الإسلام قد تبلدت، ورسم الخلف قد أمحى، والدولة المروانية قد بركت وسط المرعى، والدعوة قد انتشرت في المغرب الأقصى». (٢)

وبعد تولي هشام خلافة الأندلس، ظهر على المسرح السياسي للدولة ثلاث شخصيات لها مكانتها في الدولة وهي، الحاجب جعفر بن عثمان

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(٤٨)، كما ينقل إلينا ابن الخطيب عن ابن حيان أسماء الذين أخذوا البيعة لهشام من مختلف الطبقات، انظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص(٤٨) وما بعدها.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص(٤٣-٤٤).

المصحفي^(١) .ومحمد بن أبي عامر، وصبح البشكنسية والدة هشام المؤيد^(٢) . إضافة إلى القائد غالب مولى الحكم وصاحب مدينة سالم ولكن إحدى هذه الشخصيات استطاعت أن تستبد بالحكم وتصرف شؤونه تصرفاً تاماً وهي شخصية محمد بن أبي عامر الذي لقب بالمنصور فيما بعد. وتعتبر هذه الفترة من سنة ٣٦٦-٣٩٩هـ-٩٧٦-١٠٠٨م بداية مرحله جديدة في تاريخ دولة الإسلام في الأندلس ويمكن أن نطلق على هذه الحقبة أيام العامريين أو الدولة العامرية الممثلة في الحاجب المنصور بن أبي عامر وولديه المظفر وعبدالرحمن .

✦ محمد أبو عامر (نسبه ونشأته) :

نسبه / هو أبو عامر محمد بن عبدالله بن محمد بن الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن عامر المعافري^(٣) . نسبة إلى (معاقر اليمينية) إحدى قبائل حمير - مولده / ولد سنة ٣٢٧هـ-٩٤٨م، توفي سنة ٣٩٢هـ-١٠٠١م^(٤) . وكان جده

(١) هو جعفر بن عثمان بن نصر، من بربر بلنسية، وينتمي إلى قيس بالمحافة، وكان والده عثمان يتولى تأديب الخليفة الحكم في صغره، وتمتع بمنزلة كبيرة عند الخليفة عبدالرحمن الناصر انظر(ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة، ص(٣٤٨/١-٣٤٩)، الحميدي: جذوة المقتبس، ص(١٧٥)، ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٢٥٧/١-٢٥٨).

(٢) كانت في الأصل جارية بشكنسية من نبرة واسمها صبح (Auroa) معناها (الفجر) وكان سيدها الحكم يسميها (جعفر) وكانت مغنية حظية عنده، ثم أنجب منها ولده هشام فصارت أم ولد واستطاعت بذكائها وحب الخليفة لها ان تتمتع بنفوذ واسع في قصر الخلافة. ابن عذاري: البيان، ص(٣٥٣/٢)، عنان: تراجم إسلامية، ص(٢٠٠)، العبادي: دراسات في المغرب والأندلس، ص(٢٢٤).

(٣) المراكشي: المعجب، ص(٧٢)، ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٢٦٨/١)، ابن عذاري: البيان، ص(٢٧٢-٢٧٣).

(٤) ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٢٧٢-٢٧٣).

عبدالملك من أوائل الداخلين إلى الأندلس مع طارق بن زياد حيث نزل معه الجزيرة الخضراء^(١). في بداية الفتح العربي للأندلس، وأظهر شجاعة وبسالة في المعارك الحربية كوفئ عليها بإقطاعات في بلدة طرش (Torrox) التي تقع على وادي أره (Guadiro) في شمال شرقي الجزيرة الخضراء واستمر أبناؤه من بعده وعظمت في بني عامر النباهة والوجاهة، وجاور بعضهم الخلفاء في قرطبة وبرز منهم الولاة والقضاة والعلماء^(٢) وكان والده عبدالله المكنى بأبي حفص من رجال العلم والدين، سمع الحديث وأدى فريضة الحج، ومات في مدينة طرابلس المغرب، أما والدته فهي بريهة بنت يحيى تنتمي إلى بني تميم المعروفين بقرطبة ببني برطال^(٣).

نشأته:

نشد محمد بن أبي عامر نشأة حسنة، تجلت فيه ملامح الذكاء والفتنة، فنشذ منذ صغره طالباً للعلم، حيث ورد على قرطبة فطلب العلم والأدب وسمع

(١) الجزيرة الخضراء: ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهي جارية طارق بن زياد، ومدينة الجزيرة الخضراء تتوسط مدن الساحل وأقرب مدن الأندلس مجازاً إلى العدو. انظر الحميري: الروض المعطار، ص(٢٢٣).

(٢) ابن خلدون: العبر، ص(١٤٧/٤)، ابن عذاري: البيان، ص(٢٥٧/٢)، العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص(٢٢٦).

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ص(٢٥٧/٢)، ذكرنا سابقاً أن المنصور محمد بن أبي عامر معافري النسب من حمير، وأمة تميمية لذلك قال فيه الشاعر أبو عمر أحمد بن دراج المعروف بالقسطلي قصيده فيها: -

تلاقت عليه من تميم ويعرب شمس تلالاً في العلا وبدور
من الحميرين الذين أكفهم سحائب تهمي بالندى وبحور

انظر ديوان ابن دراج: أحمد بن محمد: تحقيق محمود علي مكي، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م، ص(٣٠١).

الحديث وتميز في ذلك، وتلقى العلم على يد عدد من الأساتذة، وهم أبو علي القالي البغدادي حيث أخذ عنه الأدب واللغة ودرس على يد ابن القوطية النحو، كما درس الحديث على يد أبي بكر بن معاوية القرشي^(١). وكان محمد بن أبي عارم من حلفته طموحاً ويتوقع لنفسه مستقبلاً باهراً، وفي هذا الصدد يروي لنا ابن الخطيب ما قاله موسى بن عزرون قال: «اجتمعنا يوماً في منتزه لنا بجهة الناعورة بقرطبة، ومعنا ابن أبي عامر، وهو في حديثه، وابن عمه بن عسقلان، والكاتب ابن المار عزى ورجل يعرف بابن الحسن من جهة مالقة، وكانت معنا سفرة فيها طعام، فقال المنصور: «لابد لي أن أملك الأندلس، وأقود العسكر، وينفذ حكمي فيها!» ونحن نضحك منه، ونهزأ به، وقال «تمنوا عليّ» فقال ابن عمه «نتمنى أن نتولى المدينة» وقال ابن المار عزى: «نتمنى أن نتولى السوق» وقال ابن الحسن: «نتمنى أن توليني القضاء بجهتي، فإني أحب التين حتى أتشفى من أكل التين» قال موسى بن عزرون: وقال «تمن أنت» فأسمعتة كلاماً قبيحاً. فلم يك إلا أن صار الملك إليه، فولى ابن عمه المدينة وبلغه أمله، وولى ابن المار عزى السوق، وكتب لابن الحسن بالقضاء عساه يشبع من التين، قال وأغرمني أنا مالاً عظيماً أجهفني وأفرني لقبيح ما كنت جنّته به»^(٢).

(١) ابن عذاري: البيان، ص(٢٥٧/٢).

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(٧٨).

✎ اتصال محمد بن أبي عامر بخدمة الحكم المستنصر:

كان اتصاله بخدمة الحكم المستنصر يرجع إلى سنة ٣٥٦هـ-٩٦٦م^(١). عندما أراد الحكم أن يعين وكيلاً لولده الصغير عبدالرحمن فذكر له الحاجب جعفر المصحفي محمد بن أبي عامر ووصفه لأم عبدالرحمن السيدة صبح ضمن جماعة مرشحين لذلك المنصب، فاخترت محمد بن أبي عامر لخدمتها وخدمة ابنها عبدالرحمن وبعد موت عبدالرحمن بقي في خدمة والدته السيدة صبح، كما عين مشرفاً لإدارة أملاك أخيه هشام وذلك في عام ٣٥٩هـ-٩٦٩م^(٢).

وكما ذكرنا سابقاً فإن كل منصب كان يتدرج إليه محمد بن أبي عامر كان بمساعدة السيدة صبح فكانت أولى هذه المناصب عندما عينه الحكم لخدمة زوجته صبح وخدمة ابنها عبدالرحمن وذلك في عام ٣٥٦هـ-٩٦٦م، وقد ذكرنا ذلك سابقاً وكان يعمل في هذه الخدمة براتب شهري وقدره خمسة عشر ديناراً، وبعد موت عبدالرحمن بقي ابن أبي عامر في خدمة السيدة صبح للنظر في أموالها وضياعها، ثم ترقى إلى النظر على الخزانة العامة، وفي سنة ٣٥٨هـ-٩٦٨م تولى خطة الموارد وبعدها قضاء كورة ريه (جنوب الأندلس) وفي

(١) وينقل لنا المقري صاحب كتاب نفح الطيب رواية أخرى عن اتصال ابن أبي عامر بخدمة الحكم وهي «أن ابن أبي عامر كان يجلس في دكان عند باب القصر ليكتب للخدم والمترافعين للسلطان إلى أن طلبت صبح من يكتب عنها، وعرفها به من كان يأنس الجلوس إليه من فتيان القصر فاستحسن كتابته وعينه أميناً لبعض شؤونها». المقري نفح الطيب، ص(٣٩/١). وجدير بالذكر أن هذه الوظيفة التي أثبت فيها محمد بن أبي عامر كفاءة عالية كانت هي المنطلق لتدرجه في المناصب العالية في الدولة وذلك عندما شيدت السيدة صبح إعجابها به دفعها ذلك إلى مساعدته ليترقى في مناصب الدولة.

(٢) ابن عذاري: البيان، ص(٢٥١/٢).

نفس العام أيضاً عين قاضياً لكورة إشبيلية (Sevilla)^(١) ولبله (Niebla)^(٢) وأعمالها، ثم عين في سنة ٣٥٩هـ - ٩٦٩م وكيلاً لهشام بن الحكم، ثم أصبح صاحب الشرطة الوسطى^(٣) سنة ٣٦١هـ-٩٧١م^(٤)، ثم قاضي القضاة بالمغرب من العودة وذلك في عام ٣٦٢هـ-٩٧٢م، كما عهد إليه الحكم بأخذ البيعة لابنه هشام المؤيد وكان ذلك في عام ٣٦٥هـ-٩٧٥م، وقبل موت الحكم عين للنظر في الحشم « الخاص »^(٥).

وبعد أن تمت البيعة لهشام المؤيد سنة ٣٦٦هـ-٩٧٦م عين حاجب أبيه جعفر المصحفي صاحباً له، ورقى محمد بن أبي عامر إلى منصب الوزارة وبذلك جعل معاوناً لجعفر في تدبير أمور دولته وبذلك جعل ابن أبي عامر

(١) إشبيلية: مدينة تقع جنوب غرب الأندلس على نهر الوادي الكبير وهي قديمة أزلية ويذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن أصل تسميتها أشبالي ومعناه (المدينة المنبسطة) وإشبيلية لها أسوار حصينة وسوقها عامرة وأهلها كثير. الحميري: الروض المعطار، ص(٥٨-٦٠).

(٢) لبله: تقع في غرب الأندلس، وهي مدينة حسنة، لها سور منيع، وبها أسواق، وتجارات. الحميري: الروض المعطار، ص(٥٠٧-٥٠٨).

(٣) يرجع الفضل للأمير عبدالرحمن الأوسط في إدخاله خطة الشرطة في نطاق النظام القضائي كخطة مستقلة ذات سلطات خاصة وكذلك بفصلها عن ولاية السوق، وقد جعل الشرطة قسمين، شرطة كبرى فقد كانت ولايتها على الخاصة والشرطة الصغرى كانت ولايتها على العامة. انظر: ابن حيان: المقتبس من انباء أهل الأندلس، تحقيق محمود مكي، لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م، ص(٢٨٥)، ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، الطبعة الحادية عشر ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص(١٨٥) وما بعدها، وفي عهد عبدالرحمن الناصر ظهرت شرطة ثالثة أطلق عليها اسم الشرطة الوسطى وكان أول من تقلدها سعيد بن سعيد بن حدير وذلك في عام ٣١٧هـ. (انظر: ابن عذاري: البيان)، ص(٢٠٢/٢).

(٤) ابن عذاري: المصدر السابق، ص(٢٥١/٢)، عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص(٣٢٦).

(٥) ابن عذاري: البيان، ص(٢٥١/٢)، عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص(٣٢٦)، عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٤٩٦-٤٩٧).

شريفاً للمصطفى حفي
في تولي السلطة المباشر، وكان المصطفى معترضاً على ذلك، لأنه كان يرى
في ابن أبي عامر منافساً يخشى بأسه، وبعد عودة ابن أبي عامر منتصراً من
غزوة الثالثة

سنة ٣٦٧هـ-٩٧٧م^(١). رفعه الخليفة هشام المؤيد على خطة الوزارة أسوة
بصهره غالب^(٢) ورفع راتبه إلى ثمانين ديناراً في الشهر وهو راتب الحجابة في
ذلك العصر^(٣). وهكذا استطاع ابن أبي عامر يرتقي في سلم الوظائف بسرعة
وساعده في ذلك مواهبه وكفائاته الباهرة ومساندة صبح والدة هشام المؤيد
وحماتها له. واستمر ابن أبي عامر يتمتع بنفوذه وسلطانه إلا أنه وجد أمامه
طريقاً شاقاً ومليئاً بالخصوم والأعداء في داخل البلاد وخارجها، وكان عليه أن
يسحق كل سلطة أخرى تعترض سبيله، وذلك للوصول إلى السلطة العليا،
وبالفعل تمكن ابن أبي عامر من التغلب عليهم وذلك بعزيمته الجبارة ومكره
ودهائه، فنجد أنه يوقع بين خصومه ويضرب بعضهم ببعض ثم يصرعهم

(١) في غرة صفر من سنة ٣٦٧هـ-٩٧٧م خرج ابن أبي عامر إلى طليطلة فالتقى هناك بصهره
غالب وفتتحاً معاً حصن رنيق واستوليا على ارباض سلمنقة وعاد ابن أبي عامر إلى قرطبة فنال
إعجاب ورضى الخليفة وقلده منصب ذي الوزارتين. انظر: ابن عذاري، البيان، ص(٢٦٧/٢).

(٢) انتهب ابن أبي عامر فرصة العدا بين الحاجب المصطفى وأبي تمام غالب فاستمال غالب جانبه
وتزوج ابنته أسماء في حفل بهيج أقيم في قصر الخليفة في قرطبة بإشراف السيدة صبح والدة
الخليفة هشام وتم العقد في سنة ٣٦٧هـ-٩٧٧م وكان لزوجته ابن أبي عامر أسماء بنت غالب
مكانه عنده لما تميزت به من الجمال والأدب. انظر: ابن بسام: أبي الحسن علي الشنتيري:
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة
الأولى ٢٠٠٠م ق ٤، ص(٤٩/٧)، ابن عذاري: البيان، ص(٢٦٧/٢)، المقرئ: نفح الطيب،
ص(٤٠٠/١).

(٣) ابن عذاري: البيان، ص(٢٥٣-٢٥٤، ٢٦٧)، عنان دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني،
ص(٥٢٤-٥٢٩).

واحداً بعد الآخر^(١).

وكان أول خصومه السياسيين الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، حيث انتهز ابن أبي عامر فرصة العداء الذي نشأ بين المصحفي وبين رؤساء الصقالبة^(٢) عقب مقتل المغيرة بن عبدالرحمن، وأخذ يوقع بين الفريقين، واستطاع المنصور بهذه الطريقة أن يشتت قوات الصقالبة ويخرجهم من القصر^(٣). أيضاً من الحوادث التاريخية التي استغلها ابن أبي عامر لإسقاط جعفر هي غارة القشتاليين على قلعة رباح^(٤) بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر بزمن قصير حيث استغاث أهل الثغور وجاء صراخهم إلى قرطبة فلم يجدوا عند جعفر غناء ولانصرة، بل خذلهم ولم يقاتل القشتاليين رغم وجود جيش في قرطبة مع المال الوفير، فقام ابن أبي عامر بتهيئة الجيش للجهاد وإعداد السلاح والعدة، وقاد ابن أبي عامر هذه القوات فخرج في أول رجب من سنة ٣٦٦هـ-٩٧٧م قاصداً الثغر الجوفي إلى جليقية، فاجتاز وادي أنه ثم عبر نهر تاجو وحصن الحامية وافتتح ضواحيه، وحصل على غنائم كثيرة ثم رجع إلى قرطبة بالغنائم

(١) العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص(٢٢٧-٢٢٨). البنتوني: محمد بن لبيب: رحلة الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ص(٩١).

(٢) الصقالبة: أطلق الجغرافيون العرب هذا الاسم على الشعوب السلافية (سكان البلاد الممتدة من بحر قزوين شرقاً إلى البحر الأدرياتي غرباً) وهي البلاد التي كانت تسمى في العصور الوسطى باسم بلغاريا العظمى، ولقد دأبت بعض القبائل الجرمانية على سبي تلك الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها إلى عرب أسبانيا، ولذا أطلق عليهم العرب اسم الصقالبة، ثم توسع العرب في استعمال هذا الاسم فأطلقوه على أرقائهم الذين جلبوهم من أية أمة مسيحية واستخدموهم في القصر الخلفي. العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص(١٩٧-١٩٨).

(٣) لمزيد من التفاصيل في قتل المغيرة بن بن عبدالرحمن (أخو الخليفة الحكم المستنصر) انظر: ابن بسام: الذخيرة، ق٤، ص(٤٤/٧-٤٥)، ابن عذاري: البيان، ص(٢٦٠/٢) وما بعدها.

(٤) قلعة رباح: مدينة محدثة أيام بني أمية، تقع بين قرطبة وطليلطة، وهي مدينة حسنة لها حصن حصين على نهر أنه. الحميري: الروض المعطار، ص(٤٦٩).

والسبي واستقبل بالحفاوة والتكريم وحظي بثقة الجند فالتفوا حوله^(١).

ونتيجة لهذا الحدث أخذ نجم جعفر يضعف شيئاً فشيئاً، فرأى ابن أبي عامر أن يستغل نجاحه في حملته الأولى للقضاء على جعفر والتخلص منه هو وغيره ممن يقفون عقبة في سبيل انفراده بشؤون الدولة. وكان ابن أبي عامر يطمع في الوصول إلى أرفع مناصب الدولة، وحتى يتمكن من تحقيق ذلك لابد أن يتخلص من منافسيه وأولهم جعفر المصحفي فانتهاز ابن أبي عامر فرصة العداء التي كانت بين جعفر وغالب (فارس الأندلس)^(٢). فاستمال غالباً إلى جانبه وتزوج ابنته وأصبح الجيش بيده وأخذ في مناصبة جعفر العداء، ونسب إليه تهماً عديدة وأوعز صدر الخليفة عليه فأمر بعزله عن الحجابة والقبض عليه وزجه في السجن وكان ذلك في عام ٣٦٧هـ-٧٧م واستمر سجيناً حتى توفي عام ٣٧٢هـ-٩٨٢م، وقيل إنه قتل خنقاً، وقيل دست إليه شربة مسمومة كانت سبب وفاته^(٣).

وبعد أن تمكن ابن أبي عامر من التخلص من منافسه الأول جعفر المصحفي تحول إلى شخصية قوية كانت تعوقه عن بلوغ السلطة العليا في البلاد وهي شخصية صهره القائد غالب أمير الثغور وحاكم مدينة سالم، وكان قائداً شجاعاً محنكاً، ولهذا لم يقدم ابن أبي عامر على مواجهة صهره غالب بل استعان بفارس مثله وهو القائد جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق ٤، ص (٤٧/٧)، ابن عذاري: البيان المغرب، ص (٢٦/٢)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص (٦٠).

(٢) يُضاً كان يعرف غالب (ذي السيفين) وسيف الدولة الحكيمة والناصرية. انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص (٦١).

(٣) لمزيد من التفاصيل في محنة المصحفي أنظر: ابن بسام: الذخيرة، ق ٤، ص (٤٨/٧)، ابن عذاري: البيان، ص (٢٦٨/٢) وما بعدها، ابن الأبار: الحلة السراء، ص (٢٥٩/١).



الأندلسي^(١) فاستدعى ابن أبي عامر جعفر بن حمدون من المغرب فعبر بجنوده البربر إلى الأندلس بعد أن ترك الأمر لأخيه يحيى في المغرب، وأطلق ابن أبي عامر على هذه القوة المغربية اسم "جند الحضرة" أي جيش العاصمة وأخذ يغدق عليهم الأموال، حتى صاروا طوعاً لإرادته، وهكذا صار الجيش مقسماً إلى قسمين :

أ- الجيش المرابط في الثغور بقيادة غالب .

ب- الجيش المرابط في العاصمة بقيادة ابن أبي عامر .

و غضب غالب من هذه السياسة التي يتبعها ابن أبي عامر للإستبداد بكل شؤون الدولة العسكرية والإدارية، ولاسيما أن منصب الحجابة كان مشتركاً بينهما وساءه أن يحجر على الخليفة، ويسيء معاملة المصحفي، ولهذا توترت العلاقة بينهما^(٢) .

و عمد غالب إلى مصانعة ابن أبي عامر ودعاه أثناء غزوة بالصائفة إلى أرض قشتالة إلى وليمة أقامها بمدينة أنتيسة إحدى مدن الثغر، حيث يقيم غالب للإجتماع به، وجاء ابن أبي عامر فافرد به غالب، وشرع في عتابه ثم اشتد

(١) جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي، جده الأكبر عبد الحميد الداخل إلى الأندلس من الشام وسكن البيره قرب غرناطة ثم انتقل حمدون حفيد عبد الحميد إلى بجاية بالجزائر فمال إلى الدعوة الفاطمية، وكان ابنه علي هو الذي بنى مدينة المسيلة بالجزائر، وكانت تعرف بالمحمدية وتولى حكمها. ولما توفي ابنه جعفر حكمها، وحين قتل زيري بن مناد الصنهاجي محمد بن الخير بن خزر الزناتي القائم بالدعوة الأموية في المغرب خاف جعفر من زيري فرحل مع أخيه يحيى وكافة العلماء أهلها إلى بني خزر وقاتل هؤلاء جميعاً زيري في حرب طاحنة حيث قتل زيري مع مجموعة من أصحابه، وتبنى جعفر وأخوه الدعوة لبني أمية الأندلسيين، ثم ذهبوا إلى حيث أكرمهما الحكم المستنصر واستقبلهما أروع استقبال انظر (ابن عذاري: البيان، ص ٢٤٢/٢- ٢٤٣)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص (٤٢)، ابن الأبار: الحلة السيرة، ص (٣٠٥/١).

(٢) ابن عذاري: البيان، ص (٢٧٨-٢٧٩).





بينهما النقاش فما كان من غالب إلا أن أخرج سيفه وضرب ابن أبي عامر فأصابه في بعض أنامله، ولكن ابن أبي عامر استطاع أن يفر ناجيا بنفسه وأيقن غالب أن ابن أبي عامر لا بد أن يعود بجيشه للانتقام فأخذ يستعد للقاء ابن أبي عامر فستجاش بملوك النصارى، وفي عام ٣٧١هـ-٩٨١م نشبت بينهما معركة شديدة أبلت فيها غالب وقواته بلاء حسناً وانتهى الأمر بمقتله^(١). وبموت غالب أزاح ابن أبي عامر أكبر عقبة كانت تقع في طريقه للانفراد الكامل في السلطة .

وفي نفس العام ٣٧١هـ-٩٨١م تسمى ابن أبي عامر بلقب المنصور^(٢). ودعي له على المنابر استيفاء لرسوم الملوك، فكانت الكتب تنفذ عنه: من الحاجب المنصور أبي عامر محمد بن ابن أبي عامر إلى فلان وأخذ الوزراء بتقيل يده ثم تابعهم على ذلك وجوه بني أمية، فساوى محمد بن أبي عامر الخليفة في هذه المراتب ولم يجعل فرقا بينه وبين الخليفة إلا في الأسم في تصدير الكتب عنه، حتى تنامت حالة في الجلالة، وبلغ غاية من العز والقدرة^(٣) كما نقش اسمه في السكة^(٤).

ولم ينس المنصور من أن يتخلص من قائده الأندلسي جعفر بن علي بن حمدون ففي عام ٣٧٢هـ-٩٨٢م دعاه المنصور إلى وليمة وقدم له الشراب فأفرط فيه وبعد انصرافه إلى منزله أرسل له من يقتله في الطريق وقد تظاهر المنصور بالحزن عليه^(٥).

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(٦٢) وما بعدها.

(٢) من الآن وصاعداً سوف نطلق على ابن أبي عامر اسمه الملكي (المنصور)

(٣) ابن عذاري: البيان، ص(٢٧٩/٢-٢٨٠).

(٤) ابن خلدون: العبر، ص(١٤٨/٤).

(٥) ابن عذاري: البيان، ص(٢٨٠/٢-٢٨١)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(٦٥). وحينما علم

أخوه يحيى بن علي بن حمدون بخبر مقتله فرّ من المغرب إلى مصر والتحق بخدمة الخليفة

=



وقد وصف ابن الخطيب سياسة المنصور التي اتسمت بالمكر والدهاء وصولاً إلى السلطة العليا بقوله [كان المنصور آية من آيات الله في الدهاء والمكر والسياسة، عدا بالمصاحفة (أي أعوان الحاجب جعفر المصحفي) على الصقالبة حتى قتلهم ثم عدا بغالب على المصاحفة حتى قتلهم، ثم عدا بجعفر الأندلسي على غالب حتى استراح منه، ثم عدا بنفسه على جعفر حتى أهلكه. ثم انفراد بنفسه ينادي صروف الدهر: هل من مبارز؟ فلما لم يجده، حمل الدهر على حكمه، فانقاد له وساعده واستقام له أمره منفرداً بسابقة لا يشاركه فيها غيره) (١) والحق فإن ابن الخطيب قد أوجز ببلاغة عالية سيرة المنصور التي قطعها محارباً لمنافسيه في السلطة حتى بلوغه ذروة المجد على رأس الدولة العامرية، بعد أن أنهى سلطة الخليفة حتى الشكلية. وبعد أن تمكن المنصور من القضاء على الزعماء الكبار في الأندلس كان هناك أيضاً بعض الحركات التي كانت تهدف أو تخطط لإسقاط المنصور وخاصة في سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى، وكان حاكم سرقسطة في ذلك الوقت عبدالرحمن بن مطرف التجيبي فكان يراقب سياسة المنصور في القضاء على سلطان الحكام المحليين بتوجس وحذر، وأدرك أن دوره سيأتي لا محالة، ولذلك أخذ يلتمس السبل لحماية سلطانه ولكن هذه المرة تحول التجيبيون عن التحالف مع جيرانهم النصارى (٢) إلى التآمر مع عبدالله بن المنصور.

وذلك في عام ٣٧٩هـ-٩٨٩م كان عبدالله بن المنصور مقيماً بسرقسطة عند صاحبها عبدالرحمن، فكان ناقماً على والده لأنه يؤثر أخاه عبدالملك في حين كان يرى أنه أشجع وأفهم وأفرس من أخيه عبدالملك عليه فاستغل عبدالرحمن

= الفاطمي العزيز بالله.

(١) ابن الخطيب: مصدر سابق، ص (٧٧).

(٢) ونقصد بذلك عندما تحالف محمد بن هاشم التجيبي مع النصارى ضد الناصر.

بن مطرف فرصة وجود عبدالله عنده وأخذ يسعى لتشجيع وتوسيع الخلاف الموجود بين المنصور وابنه، فاستمال عبدالرحمن إلى جانبه عبدالله، وأذكى حقه على أبيه وانتصر الاثنان على الوثب بالمنصور في أول فرصة والقضاء عليه على أن يقسما ملك الأندلس، فيستولي عبدالله على قرطبة وما والاها ويستولي عبدالرحمن على الثغر وشمال الأندلس وانضم إليهما في تلك المؤامرة بعض أكابر الجند ورجال الدولة المعارضين لحكم المنصور والناقمين عليه وفي مقدمتهم عبدالله بن عبدالعزيز المرواني حاكم طليطلة^(١). وترامت أخبار هذه المؤامرة إلى المنصور قبل نضجها، وذلك بسبب تعدد من اشترك فيها فكان من الصعب أن يظل أمرها مكتوماً لمدة طويلة فما كان من المنصور إلا أن قضى على هذا التآمر حيث خرج بالصائفة غازياً إلى أراضي قشتالة واستدعى إمداد الثغور فتوافدت إلى لقائه وفيهم عبدالرحمن بن مطرف ورجاله واجتمعت الحشود بقوات قرطبة في مدينة وادي الحجارة، وهنا أجمع أهل الثغور بالشكوى إلى المنصور - بتحريض منه - من عبدالرحمن بن مطرف التجيبي وذكروا أنه يحتبس أرزاقهم ويحتجن لنفسه، وهنا وجد المنصور المبرر الكافي لعزله عن ولاية سرقسطة والثغر الأعلى وذلك في شهر صفر من عام ٣٧٩هـ - ٩٨٩م، وعين مكانه في الحكم ابن أخيه عبدالرحمن بن يحيى الملقب بسماجة، إطماعاً لقومه التجيبيين في المحافظة واستمر عبدالرحمن بن مطرف ضمن المعسكر إلى أن قبض عليه في ١٢ ربيع الأول من نفس العام وسخط عليه المنصور وأمر بحسابه ثم قتل بعد ذلك بالزاهرة^(٢) بين يدي المنصور^(٣). أما عبدالله بن المنصور فقد حاول المنصور استصلاحه حيث

(١) ابن عذاري: البيان، ص(٢٨٣/٢).

(٢) الزاهرة: مدينة متصلة بقرطبة، بناها المنصور بن أبي عامر لما استولى على دولة خليفته هشام، الحميري: الروض المعطار، ص(٢٨٣-٢٨٤).

(٣) ابن عذاري: البيان، ص(٢٨٣/٢).

أسرع في استدعائه وأبدى له الكثير من الرفق والعطف وانتهاز عبدالله فرصة انشغال والده بحصار مدينة شنت أستين وهرب إلى "غرسية بن فرلند" صاحب ألبه فوعده بحمايته وتأييده، فغزا المنصور غرسية وأقسم أنه لن يقلع عن حربه حتى يسلمه ابنه، فأبى غرسية واضطرم القتال بين الفريقين وتوالت الهزائم على غرسية حتى اضطر أخيراً إلى تسليم عبدالله لأبيه وفي الطريق نحو والده قتله فارساه المعنيان لاستلامه بأمر من والده فكان ذلك في جمادى الآخرة من سنة ٣٨٠هـ-٩٩٠م^(١). أما ثالث المتآمرين عبدالله بن عبدالعزيز المرواني فقد عزله المنصور عن طليطلة وحوله إلى الوزارة ثم أقاله منها واعتقله بداره.^(٢)

بذلك تمكن المنصور من توطيد حكمه داخل الأندلس، فقد تمتعت الأندلس في عهده بفيض من الأمن والطمأنينة والرخاء. ولقد دام حكمه سبعة وعشرين عاماً وتوفي في ٢٧ رمضان ٣٩٢هـ-١٠٠١م عن عمر يناهز الخامسة والستين عاماً، ودفن في قصره بمدينة سالم.^(٣) وبعد وفاة المنصور تولى الحجابة ابنه عبدالملك الملقب بالمظفر وسيف الدولة وكانت السلطة المطلقة بيده كأبيه، وكان عصره خيراً وسلاماً على الرعية حتى وصفت أيامه بأنها كانت أعياداً وبلغت الأندلس في عهده نهاية الكمال ودام حكمه سبع سنوات^(٤) وتوفي سنة ٣٩٩هـ-

(١) ابن عذاري: المصدر نفسه، ص(٢/٢٨٣-٢٨٤).

(٢) ابن عذاري: المصدر السابق، ص(٢/٢٨٤).

(٣) ابن عذاري: المصدر السابق، ص(٢/٣٠١)، ابن بسام: الذخيرة، ق٤، ص(٧/٥٥) ونقش على قبره هذان البيتان:

أثاره تنبيك عن أخباره حتى كنت بالعيان تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله أبدا ولا يحمي الثغور سواه

ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(١/٢٧٣).

(٤) وكانت تسمى بالسابع تشبهاً بسابع العروس التي تحمل في معانيها الأعياد والأفراح، المقري: فنجح الطيب، ص(١/٤٢٣).

ثم قام بالأمر من بعده أخوه عبدالرحمن الملقب بشنجل (٢)، وكان عبدالرحمن شاباً مغروراً بنفسه لا يحسن التصرف في أمور الدولة حيث كان هدفه الاستئثار بالسلطة الشرعية ثم الخلافة نفسها (٣) فقد أساء عبدالرحمن التصرف بتقريبه إلى الخليفة هشام المؤيد وبإجباره أن يعهد له بولاية العهد (٤). فقد أدى ذلك إلى زوال نفوذه والقضاء على سلطته وكان أسرع الناس سخطاً لعبدالرحمن وكرهية له الأمويون والقرشيون وكان على رأس هؤلاء الحاقدين والغاضبين على الخليفة هشام المرأونيون إذ إن هشاماً لم يكن له ولد وكان المرأونيون من أهل بيته يترقبون وفاته لتعود الأمور إليهم، ثم ينتهزون الفرصة للقضاء على الدولة العامرية أو العامريين. فنجد أنهم استغلوا فرصة غياب عبدالرحمن المنصور في غزوته سنة ٣٩٩هـ-١٠٠٨م فقتلوا صاحب الشرطة وخلعوا الخليفة هشاماً المؤيد وذلك لقبوله بتوليته عبدالرحمن العهدة. وقبل خروج عبدالرحمن للغزو نصحه ابنه الأكبر بترك الغزو وذلك خوفاً من

(١) ابن الأبار: الحلة السيرة، ص (٢٧٠/١)، ابن عذاري: البيان، ص (٣٧/٣). ولمزيد من التفاصيل عن عبدالملك وأحوال الأندلس في عهده انظر: ابن عذاري: البيان، ص (٣٧-٤/٣)، ابن بسام: الذخيرة، ق ٤، ص (٦٣-٥٧/٧)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص (٨٩-٨٣)، عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص (٣٤٢-٣٣٦)، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الثاني، ص (٦٠٨-٦٢١).

(٢) لقب عبدالرحمن المنصور بشنجل تصغيراً لاسم جده من أمه، حيث أن المنصور كان قد تزوج من ابنة أنجة النصراني ملك بنلونه اسمها عبده وقد حسن إسلامها فكانت من خيرة نسائه، فأنجبت له عبدالرحمن (عبدالعزیز سالم: تاريخ المسلمين، ص (٣٤٣).

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص (٩٠).

(٤) عن بيعة عبدالرحمن وتوليته العهد انظر: ابن عذاري: البيان، ص (٣٩-٣٨/٣)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص (٩١-٩٠).

اضطراب الناس، وأخبره أن بعض المروانيين يريدون الخروج عليه، ولكن عبدالرحمن بن المنصور أعرض عن تلك النصيحة وقال "والله، لو اجتمع بنو مروان إلى مرقدي وأنا نائم، ما أيقظوني"^(١). وهذا يدل على غرور عبدالرحمن ومدى اعتزازه بنفسه، هذا الاعتزاز جاء نتيجة استبداد بني عامر بالسلطة، ويدل أيضاً على جهل عبدالرحمن بما آلت إليه الأمور من النعمة عليه والكراهية له والتآمر عليه. فقد نفذ هذا التآمر أثناء عودته إلى قرطبة حيث قتل سنة ٣٩٩هـ-١٠٠٨م عندما انفض منه أعوانه، فتولى الأمر محمد بن هشام المقلب بالمهدي^(٢). وبمقتل عبدالرحمن بن المنصور سنة ٣٩٩هـ-١٠٠٨م سقطت الدولة العامرية في الأندلس، وكان السبب الرئيسي في سقوطها هو خروج عبدالرحمن بن المنصور عن نهج أبيه وأخيه بالنسبة للخلافة حيث تعدى هو ذلك إلى أخذ البيعة له بولاية العهد والخلافة في الأندلس من بعد الخليفة هشام المؤيد بالله، إضافة إلى سوء تدبيره لشؤون الدولة.

(١) ابن الخطيب: مصدر سابق، ص(٩٦).

(٢) المقرئ: نفتح الطيب، ص(١/٤٢٤-٤٢٦).

المبحث الرابع: سرقسطة تحت حكم بني تجيب

بانتهاؤ الدولة العامرية انقضى عهد السلطة الثنائية، سلطة الخلافة الأموية الاسمية، ليفسح المجال للخلافة الأموية، لتستعيد سلطتها الموحدة، وذلك عندما تربع على كرسي الخلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبدالرحمن الناصر الملقب بالمهدي مكان الخليفة هشام المؤيد وكان ذلك في ١٧ جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ هـ (١٦ فبراير سنة ١٠٠٩)^(١). وتعرف هذه الفترة الباقية من العصر الأموي بالأندلس «بعصر الفتنة» ففي الفترة ما بين ٣٩٩-٤٢٢ هـ-١٠٠٩-١٠٣٠ م تولى أمر الأندلس عدد من الخلفاء الأمويين يزيد على عدد الخلفاء الذين حكموا قبلهم منذ بداية الدولة الأموية في الأندلس^(٢). وأول هؤلاء الخلفاء كما ذكرنا سابقاً محمد بن هشام المهدي حيث استقبله الشعب القرطبي بمظاهر الفرح والرضا، باعتبار أنهم تخلصوا من بطش الدولة العامرية، وتصف المصادر التاريخية فرحة أهل قرطبة بأنهم أقاموا الأفراح والولائم والأعراس، "وداموا على ذلك أياماً تبعاً، يتنقلون من موضع إلى موضع بالمزامر والملاهي" ^(٣).

وكان أملهم الكبير إعادة الخلافة الأموية إلى عصورها الزاهية، ولكن المهدي لم يكن في مستوى الظن والأمل به ولم يقدّم بشئ سوى الانتقام من العامريين وانتزاع السلطة من هشام المؤيد، وكان المهدي طائشاً قليل التفكير، سوقي النزعات، لطول ما عاش في الأحياء الفقيرة متنكراً بين رعاي قرطبة،

(١) عنان دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٦٤٢).

(٢) العبادي: عبدالحميد: المجلد في تاريخ الأندلس، جمع وتنسيق، محمد إبراهيم الشريف، مراجعة، مختار العبادي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٨م، ص(١٥٥).

(٣) ابن عذاري: البيان، ص(٧٤/٣)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١١٢).



ولذلك أحاط نفسه ممن كانوا على شاكلته لا يحسنون غير النهب والسرقفة فأدوا الناس أذى شديداً^(١). كما أن المهدي أعلن بغضه وعداؤه للبربر فكان يسعى إلى إهانة البربر وزعمائهم وذلك عقاباً لهم لتأييدهم السابق لبني عامر^(٢). وبهذا أساء المهدي التصرف لأنه ناصب البربر العداوة وكان ذلك سبباً في زعزعة أمره. فما كان من البربر إلا أن التقوا حول سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر، وبايعوه وأطلقوا عليه لقب المستعين بالله^(٣). وبذلك أصبح في البلاد خليفتان، واحد في قرطبة وهو المهدي، والآخر على رأس البربر وهو سليمان بن الحكم الذي لم يتردد في طلب العون من النصاري، فلم يتأخروا عن ذلك، فسار سليمان بن الحكم بالنصاري والبربر إلى قرطبة حيث دارت معركة عنيفة بينهم وبين أهل قرطبة بزعامة المهدي، وتعرف هذه المعركة بوقعة قنتش^(٤). وانتهت بهزيمة ساحقة للقرطبيين ومقتل الآلاف منهم كثير من العلماء وأخيار الناس وعامتهم^(٥). ويشير ابن حيان إلى ما أصاب أهل قرطبة في هذه المعركة بقوله (كان بعض الظرفاء يقول: من كل طبقة أخذت وقعة قنتيش حتى من أهل الباطل)^(٦) وتمكن سليمان الملقب بالمستعين بعد تلك المعركة من الدخول إلى قصر قرطبة وبويع له بالخلافة وذلك في النصف من

(١) مؤنس: معالم تاريخ المغرب ولأندلس، ص(٤٠٨-٤٠٩).

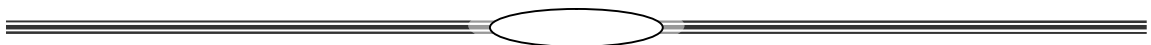
(٢) ابن عذاري: البيان، ص(٧٨/٣)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١١٢)، المقرئ: نفع الطيب، ص(٤٢٧/١).

(٣) المراكشي: المعجب، ص(٨٨)، ابن خلدون: العبر، ص(١٠٥/٤).

(٤) قنتش: شرق قرطبة (جبل نتش) عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٦٤٦).

(٥) الحميدي: جذوة المقتبس، ص(١٨)، المراكشي: المعجب، ص(٨٨)، ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ص(٤٤/١)، ابن عذاري: البيان، ص(٨٢/٣)، عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص(٣٤٨-٣٤٩).

(٦) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ص(٤٥/١).



شهر ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ-١٠٠٩ م وتلقب بالإضافة إلى لقبه المستعين
/بالظافر بحول الله^(١) أما المهدي فقد بقي متخفياً في المدينة أياماً ثم خرج منها
في أول جمادى الأولى من عام ٤٠٠ هـ-١٠٠٩ م قاصداً طليطلة، حيث لازالت
الثغور كلها من طرطوشة إلى لشبونة (Lisbonne).^(٢) على طاعته.^(٣)

ولما استقر الأمر لسليمان المستعين رحل إلى طليطلة في ١١ جمادى
الأخر سنة ٤٠٠ هـ-١٠٠٩ م، ليزيل الخلاف بينه وبين أهلها، تمهيداً لدخولهم في
طاعته، ولكنه لم ينجح في مهمته لتمسك أهل الثغر بطاعة المهدي وواضح
الفتى^(٤). فما كان من المهدي إلا أن زحف بقوات من النصارى نحو قرطبة،
وعندما علم سليمان المستعين بذلك استنفر أهل قرطبة لنصرته، ولكنهم أظهروا
الجبين وطلبوه الإغفاء، فخرج سليمان المستعين للقائهم على رأس جيشه
البربري^(٥). والتقى الفريقان في موضع على بعد ٢٠ كم شمالي قرطبة يعرف
(بعقبة البقر)^(٦). في شوال سنة ٤٠٠ هـ-١٠١٠ م وانتهى الأمر بانتصار محمد

(١) ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٧/٢).

(٢) لشبونة (مدينة بالأندلس تقع غربي الأندلس، وهي مدينة قديمة وحسنة ممتدة مع النهر لها سور
وقسبة منيعة، الحميري: الروض المعطار، ص(٦١).

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ص(١٨)، المراكشي: المعجب، ص(٨٩)، ابن الأبار: الحلة السيرة،
ص(٧/٢)، ابن عذاري: البيان، ص(٩٢/٣-٩٣)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١١٤).

(٤) ابن عذاري: البيان، ص(٩٤/٣)، عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص(٣٥٢). واضح الصقلبي:
من موالي بني عامر وكان يسمى أيضاً واضحا العامري، فقد أخذ بثأر مواليه أذن حين أعان
على قتل المهدي، كما مهد الأمر لنفسه بذلك، إذ تولى الحجابة بعدها لهشام المؤيد (المراكشي:
المعجب، ص(٨٩) هامش (٢).

(٥) ابن عذاري: البيان، ص(٩٤/٣).

(٦) عقبة البقر، اليوم (Elvacar) وهو حصن يقع على بعد عشرين كيلوا متراً شمالي قرطبة.
عبدالعزیز سالم: تاريخ المسلمين، ص(٣٥٣).

المهدي ودخوله قرطبة^(١). ولكن الأمر لم يستقر لمحمد المهدي، حيث إن العبيد العامريين وفي مقدمتهم حاجبه واضح ثاروا عليه في يوم الأحد الثامن من ذي الحجة سنة ٤٠٠هـ-١٠١٠م وأعادوا الخليفة هشاماً المؤيد للخلافة^(٢).

وهكذا استرد هشام المؤيد الخلافة بعد سلسلة من الخطوب والأحداث المثيرة وكان يومئذ كهلاً في السابعة والأربعين من عمره، وكان قد مضى عليه مذولي الخلافة صبيهاً لأول مرة أربعة وثلاثون عاماً، وفي تلك الفترة شهدت الأندلس طائفة من الأحداث الجسام لم تشهد مثلها من قبل^(٣). وتولى واضح منصب الحجابة للخليفة وجدد له البيعة وكتب إلى سليمان المستعين وحلفائه البربر يدعوهم إلى الدخول في طاعة هشام المؤيد باعتباره الخليفة الشرعي^(٤) ولكن سليمان المستعين وقواته من البربر رفضوا هذا الأمر وأخيراً دخل سليمان المستعين قصر قرطبة في عام ٤٠٣هـ-١٠١٣م واستدعى هشاماً المؤيد فأذبه بسب نكته لما اتفقا عليه من تسليم الخلافة للمستعين حيث قال له [كنت تبرأت لي من الخلافة وأعطيت صفقة يمينك! فنقضت عهدك!] فاعتذر إليه أنه مغلوب على أمره^(٥).

(١) ابن خلدون: العبر، ص(٤/١٥١)، ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ص(٤٥/١).

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ص(٤٦/١)، ابن عذاري: البيان، ص(٣/١٠٠)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١١٦).

(٣) عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٦٤٩-٦٥٠).

(٤) ابن بسام: الذخيرة: ق ١، ص(٤٦/١)، ابن عذاري: البيان، ص(٣/١٠٠-١٠١)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١١٦-١١٧).

(٥) ابن عذاري: البيان، ص(٣/١١٣)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١١٩). تختلف الرواية في مصير هشام المؤيد، فالبعض يقول إن سليمان أخفاه حيناً ثم قتله ولده محمد بن سليمان، والبعض الآخر يقول بأنه فر من محبسه وقصد المريه حيث عاش حيناً في خمول وبؤس حتى توفي، لمزيد من التفاصيل عن مصير هشام انظر: المراكشي: المعجب، ص(٨٦-٨٧)، ابن عذاري:

وبذلك أعلن سليمان المستعين نفسه خليفة في الأندلس للمرة الثانية وبعد أن استقر الأمر لسليمان أخذ يولي رجاله وقواده البلدان والمدن المختلفة وكان من بينهم المنذر بن يحيى التجيبي الذي انضم إلى سليمان المستعين وحارب مع البربر فمنحه سليمان حكم سرقسطة^(١). حيث كان يلي أمر سرقسطة قبل المنذر عبدالرحمن بن يحيى التجيبي الملقب بسماجة الذي عينه المنصور حاكماً على سرقسطة في عام ٣٧٩هـ-٩٨٩م. وبتولي المنذر أمر سرقسطة انتقل حكم سرقسطة إلى فرع آخر من أسرة بني تجيب، حيث انتقل من فرع محمد الأنقر «الأعور» إلى فرع أخيه عبدالعزيز المتمثل في الأسرة المستقلة لآخر التجيبين (المنذر الأول - يحيى بن المنذر - المنذر الثاني) وذلك وفقاً لما ذكره ابن حزم في سلسلة نسب بني تجيب^(٢) وبنو تجيب من العرب الذين استقروا في إقليم أرغون من أيام الفتح وتنقسم هذه الأسرة إلى فرعين :

أ- بنو هاشم ومقرهم سرقسطة .

ب- بنو صمادح ومقرهم المريه.^(٣)

وبرز من بين التجيبين في هذه الفترة المنذر بن يحيى كما ذكرنا سابقاً فكان منذر جندياً بسيطاً في جيش المنصور محمد بن أبي عامر ثم ترقى إلى القيادة في أواخر أيام المنصور حيث تولى حكم مدينة تطيلة بالثغر الأعلى سنة

= البيان، ص(١١٢/٣-١١٣)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١١٨-١٢٠)، ابن خلدون: العبر، ص(١٥٠/٤)، ابن الأثير: الكامل، ص(٧٥/٩).

(١) ابن عذاري: البيان، ص(١١٣/٣)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١١٩)، العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٨).

(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص(٤٣١).

(٣) زامباور: إدوارد فون: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، أخرجه زكي حسن بك، حسن أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت، ص(٩٠)، دائرة المعارف الإسلامية، ص(٦٠١/٤).

١

٣٩٦ هـ ١٠٠٦ م في أيام عبدالملك المظفر، ثم عهد إليه سليمان المستعين بولاية سرقة سنة ٤٠٣ هـ - ١٠١٣ م واستقل بحكمها بعد ذلك في عصر الطوائف^(١) ويمكننا أن نعتبر المنذر بن يحيى أول أمير للثغر في عهد الطوائف، فحكم سرقسطة وأعمالها، وتسمى بالحاجب ذي الرياستين وتلقب من الألقاب السلطانية بالمنصور^(٢). ولما تطورت الحوادث في قرطبة ودخلها علي بن حمود^(٣). وذلك في عام ٤٠٧ هـ - ١٠١٦ م. حيث كان يطمع في أن يجد الخليفة هشاماً المؤيد حياً فلم يجده، وكان الاعتقاد سئداً بأن سليمان أخفاه ولم يقتله فلما علم بأنه قُتل، أتى بسليمان وأبيه وأخيه وقتلهم، وأخذ ينادي هذا جزاء من قتل هشاماً، ثم دعا لنفسه بالخلافة، وبويع بالخلافة، وتلقب بالناصر لدين الله^(٤).

وبمقتل الخليفة سليمان المستعين انقطع ملك بني أمية في جميع أقطار الأندلس لتتولى أسرة بني حمود^(٥) الخلافة ردها من الزمن، ليعود الملك بعدها إلى بني أمية وكان ممن دخل قرطبة مع علي بن حمود خيران العامري، ولكن خيران غادر قرطبة وسار إلى شرقي الأندلس حيث يحتشد معظم الزعماء

(١) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٨)، ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ص(١٤٧/١)، ابن عذاري: البيان، ص(١٧٥/٣)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٩٦).

(٢) عنان: دولة الإسلام، دول الطوائف، ص(٢٦٦).

(٣) في سنة ٤٠٣ هـ - ١٠١٣ م ولاه الخليفة سليمان المستعين على سبته وولى أخاه القاسم الجزيرة الخضراء وطنجة وأصيلا (ابن عذاري: البيان، ص(١١٤/٣)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١١٩).

(٤) الحميدي: جذوة المقتبس، ص(٢٠)، المراكشي: المعجب، ص(٩٠)، ابن عذاري: البيان، ص(١١٧/٣)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٢١)، المقرئ: نفع الطيب، ص(٤٣٠/١).

(٥) يرجع نسبهم إلى إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، انظر (المراكشي: المعجب، ص(٩٠)، ابن عذاري: البيان، ص(١١٩/٣)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٢٨).



العالمين وأنصارهم معلناً الخلاف على علي بن حمود وذلك لأسباب منها :
١- أن خيران كان عند دخوله قرطبة طامعاً في أن يجد هشاماً المؤيد حياً فلم يجده . ٢- نُقل إليه أن علياً يريد قتله فخرج عن قرطبة وأظهر الخلاف عليه^(١).
واستطاع خيران أن يعيد الدعوة لبني أمية في شخص جديد وهو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الناصر، فبايعه خيران وعدد من أصحابه بالخلافة ولقبوه بالمرتضى، وأيدهم في ذلك عدد من ولاة الثغور وكان في مقدمتهم المنذر بن يحيى التجيبي والي سرقسطة^(٢). فما لبث أن نشبت الحرب بين قوات المرتضى وبربر غرناطة بقيادة زاوي بن زيري الصنهاجي، كما شارك المنذر بن يحيى في الحرب مع الخليفة المرتضى لمقاتلة البربر وخلع علي بن حمود، حيث سار المنذر ببعض قواته ومعه فرقة من المرتزقة النصارى بقيادة حليفه الكونت رامون أمير برشلونة^(٣).

وقد أسفرت هذه المعركة عن هزيمة أهل الأندلس ومقتل مرشحهم الخليفة المرتضى عام ٤٠٩ هـ-١٠١٨ م^(٤). فما كان من المنذر إلا أن عاد هو وحلفاؤه

(١) ابن عذاري: البيان، ص(١٢١/٣، ١٢٢)، ابن الأثير: الكامل:، ص(٢٧١/٩).

(٢) عنان: دول الطوائف، ص(٢٦٦).

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ص(١٢٥/٣-١٢٦-١٢٧)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٦٦-٢٦٧).

(٤) وقعت هذه المعركة في خلافة القاسم بن حمود، لأن أخاه علي قُتل في عام ٤٠٨ هـ-١٠١٨ م ويذكر ابن عذاري صاحب البيان: إن سير المرتضى من شرق الأندلس صوب قرطبة كان عام ٤٠٩ هـ-١٠١٨ م أي في خلافة القاسم بن حمود، وكان علي عندما وصلت إليه الأنباء بخروج المرتضى وسيره لقتاله انقلب على أهل قرطبة خشية غدرهم، ولما أحسه من ميلهم إلى المرتضى أثر البربر واشتد على أهل قرطبة ونزع سلاحهم، وأعتقل كثير من أعيانهم وفي مقدمتهم وزيره أبو الحزم بن جهور وصادر أموالهم، ولكن القدر كان يتربص بعلي بن حمود، وذلك بينما كان يتأهب لقتال خصومه إذ قتله بعض صقالبته بحمام قصره وذلك في عام ٤٠٨ هـ-١٠١٨ م (انظر: ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ص(٨٨/١-٨٩)، ابن عذاري: البيان، ص(١٢٢/٣-١٢٣)، ابن



النصارى إلى الشمال وأيقن أنه يؤازر قضية خاسرة، ولكن سرعان ما وجد المنذر مجالاً آخر يجدد فيه نشاطه، وذلك عندما استدعاه أهل بلنسية لحكمها، وكان يحكمها آنذاك الفتى لبيب العامري صاحب طرطوشة بدعوة من أهلها فسخطوا أهل بلنسية على الفتى لبيب لوقوعه تحت نفوذ صاحب برشلونة الكونت رامون وشاركه في حكم بلنسية مجاهد العامري صاحب دانية ولكن أهل بلنسية لم يفتنعوا بذلك واستدعوا لحكم المدينة المنذر بن يحيى فسار في بعض قواته صوب بلنسية واستعد مجاهد للقاءه ووقعت بينهما بعض المعارك خشي الناس عواقبها، ولم ينفذ ذلك الموقف إلا ما عمد إليه الفتيان العامريون من الاجتماع، وعقد البيعة لحفيد مولاهم عبدالعزيز بن عبدالرحمن ابن المنصور وتعيينه أميراً لبلنسية، وعندئذ انسحب مجاهد إلى دانية وعاد إلى سرقسطة^(١).

وكانت تربط المنذر بجيرانه النصارى علاقات صداقة ومودة ولاسيما مع (رامون بوريل) أمير برشلونة و(سانشو الكبير) ملك ناغار، وولده (فرناندو الأول) ملك قشتالة، و(الفونسو الخامس) ملك ليون، وقد بالغ المنذر في صداقته لأمرء الأاسبان، حتى ليه نظم في قصره بسرقسطة حفلاً لعقد المصاهرة بين أميرين من أولئك الأاسبان هما (سانشو ملك ناغار ورامون بوريل أمير

= الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٢٩).

(١) ابن عذاري: البيان، ص(١٦٣/٣-١٦٤)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٦٧)، كان يحكم بلنسية قبل الفتى لبيب العامري، مبارك العامري، وكان المنذر بن يحيى يطمع في الاستيلاء على طرطوشة _____ أعمال الثغر وهاجمها المنذر وكان يحكمها الفتى لبيب ففر عنها وسار إلى بلنسية واستغاث بمبارك فخرج معه في خمسمائة من خيرة فرسانه ولقيهم المنذر فتغلبوا عليه وهزموه هزيمة شنيعة انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(٢٢٦).

برشلونة)، وحضر الحفل الفقهاء والقساوسة وأعيان الملتين^(١). وقد جلب عليه ذلك التودد سخط عامة الناس ورموه بالسنة حداد إلا أن المنذر حقق بهذه السياسة ما يلي :

١-مسالمة الأمراء الأسباب وإبعاد أطماعهم عن بلاده.

٢-استطاع المنذر أن يحملهم على اتباع سياسة المودعة والسلم مع جيرانهم من الملوك المسلمين .

وفي هذا الصدد نجد أن ابن حيان يدافع عن المنذر وذلك في قوله « إنه كان أحصف ممن قدح فيه فقد وفر لبلاده جوا من السلام، ولم ينتفع الملكان المسيحيان بصهرهما »^(٢). ومن ثم فقد تمتعت سرقسطة في عهده بفترة من الدعة والرخاء وأصبحت باتساع عمرانها وتقدم أحوالها شبيهة بحضرة قرطبة الكبرى أيام الجماعة ولم يدرك الناس نتائج هذه السياسة إلا بعد وفاته^(٣). وكان المنذر أيضاً يحب المظاهر والبذخ فملاً قصره الفخم بالجواري والغلمان ونفيس الذخائر والتحف، كما أن المنذر كان يقدم الهدايا الفاخرة لملوك الأسباب تأكيداً على مودتهم ورضاهم^(٤).

وكان بلاط المنذر أيضاً يزخر بأعظم القواد والوزراء ومن بينهم عدد من الكُتاب كأبي العباس ابن مروس من تدمير، وأبي عامر ابن أزرق، وابن واجب وغيرهم^(٥). واستمر منذر التجيبي أميراً على سرقسطة حتى وفاته عام ٤١٢ هـ

(١) ابن عذاري: البيان، ص(١٧٦-١٧٧)، ابن خلدون: العبر، ص(١٦٣/٤).

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ص(١٤٨/١)، ابن عذاري: البيان، ص(١٧٧/٣).

(٣) ابن عذاري: مصدر سابق، ص(١٧٦-١٧٧)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٦٨).

(٤) ابن عذاري: مصدر سابق، ص(١٧٦/٣)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٦٨).

(٥) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ص(١٤٩/١)، ابن عذاري: البيان، ص(١٧٧/٣).

١٠٢١م وخلفه من بعده ابنه يحيى بن منذر^(١). وتلقب يحيى بالمظفر، ويبدو أنه لم يواصل سياسة الصداقة التي كان يتبعها والده المنذر مع جيرانه النصارى وخاصة ملوك برشلونة، حيث أغار ملكها (رامون بوريل) على حدود الثغر الأعلى، وتنازل له المظفر عن بعض الحصون والقلاع^(٢).

واستمر يحيى بن المنذر (المظفر) بحكم سرقسطة وأعمالها حتى توفي سنة ٤٢٧هـ-١٠٢٥م وخلفه من بعده ابنه منذر بن يحيى (الثاني)^(٣). وتلقب بالحاجب معز الدولة، وليس لدينا معلومات عن هذا الأمير في المدة التي حكمها (٤٢٧-٤٣٠هـ/١٠٢٥-١٠٣٩م) غير أن لدينا تفاصيل عن مقتله وذهاب ملك بني تجيب على يده. وكان مقتله في غرة ذي الحجة من عام ٤٣٠هـ-١٠٣٩م، حينما نفذ إلى قصره رجل من بني عمومته وقواده يدعى (عبدالله بن حكيم) وكان يضمم الفتك به منذ زمن بعيد، فبينما كان المنذر جالساً بين نفر قليل من خدمه الصقالبة ويقرأ كتاباً في يده إذ انقض عليه عبدالله بن حكيم وطعنه في عنقه بسكين، وفر الخدم في الحال، ولم يبق منهم إلا خادم واحد حاول الدفاع عن سيده، فصرعه عبدالله بخنجره وأخرج رأس المنذر وأبرزها من شرفة في القصر مرفوعة على عصا وهو يصيح هذا جزاء من عصى أمير المؤمنين هشاماً^(٤). ولما شهد الناس رأس منذر بهتوا وعقد الذعر ألسنتهم وأرسل القاتل في الحال إلى القاضي والأعيان فحضروا إلى القصر والقاتل جالس على فراش قتيله، وجثة المنذر ملقاة إلى جانبه بدمائها، فأعلن لهم أنه فعل ما فعل في سبيل

(١) العذري: نصوص الأندلس، ص(٢٦٨).

(٢) عنان: دول الطوائف، ص(٢٦٨).

(٣) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٨).

(٤) يريد بذلك الدّعى الذي نصبه القاضي ابن عباد في إشبيلية، وزعم أنه الخليفة هشام المؤيد، وذلك في سنة ٤٢٦هـ-واعتترف بخلافته عدد من أمراء الطوائف، ورفض يحيى التجيبي يومئذ الاعتراف به، وتابعه في ذلك ولده المنذر.

الإصلاح العام، ودعا بالحكم لسليمان بن هود فانصرف الناس، وكلمتهم مختلفة إلى أن ثاروا به وقتلوه (١).

ولم يقتصر نبأ مصرع المنذر بن يحيى (الثاني) على سرقة فقط بل ذاع في كل مكان حيث هرع خاله إسماعيل بن ذى النون صاحب طليطلة على سرقة لتدارك الأمر، وهجم الناس على القصر لانتزاع القاتل ومعاقبته، فتصن بالقصبة للدفاع عن نفسه، ولما رأى أنه سوف يقع في أيدي مهاجميه لا محالة، جمع ما استطاع من ذخائر القصر وتحفه، وخرج هارباً من باب خلفي في القصر ولحق بقلعة (روطة اليهود) أحد معاقل سرقة المنيع، وحمل معه أخوين للمنذر، وبعض أعيان منهم وزيره أبوالمغيرة بن حزم ليكونوا رهائن لديه. وبعد خروجه من سرقة اقتحم العامة القصر ونهبوه وخرّبوه وعم الهرج والفضى (٢). هناك خلاف بين المؤرخين واضطراب في أقوالهم حول منذر بن يحيى التجيبي وسنوات حكمه وحكم ابنه يحيى من بعده، مما أوقع الباحثين المحدثين كذلك في خلاف واضطراب أشد، حتى ظن الكثيرون أنه لم يكن هناك من التجيبيين إلا حاكم واحد هو منذر بن يحيى، وجعل هؤلاء مدة حكمه ممتدة بين سنتي ٤٠٨-٤٣٠ هـ، حين اغتاله على قولهم عبدالله بن حكيم، وظن آخرون أنه لم يحكم سرقة إلا منذر هذا ثم ابنه يحيى بن منذر دون أن يهتدوا إلى تحديد سنوات ولايتهما ووفاتهما، لذلك يجب أن نذكر هنا أن التجيبيين حكّام سرقة قبل الدولة بنى هود كانوا ثلاثة: - الأول منذر بن يحيى وقد استقل بحكم سرقة منذ سنة ٤٠٨ هـ حتى سنة ٤١٢ هـ. وخلفه بعده ابنه يحيى بن منذر الذي حكم بين سنتي ٤١٢ هـ-٤٢٧ هـ. وثالثهم هو منذر بن

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ص (١٥٠/١-١٥١)، ابن عذاري: البيان، ص (١٧٨/٣-١٧٩).

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ص (١٥٢/١)، ابن عذاري: البيان، ص (١٨٠/٣)، عنان دول الطوائف، ص (٢٦٩).

يحي (الثاني) وحكم بين ٤٢٧ هـ - ٤٣٠ هـ حين اغتاله عبدالله بن حكيم منهياً بذلك حكم التجيبين في سرقسطة^(١).

وبمقتل منذر بن يحي انتهت رياسة التجيبين للثغر الأعلى، بعد أن لبثت زهاء قرن ونصف، وبدأت في سرقسطة والثغر الأعلى رياسة جديدة هي أسرة بني هود التي يخصها ابن الأبار دون غيرها من أسر الطوائف، بغلبة الشجاعة والشهامة عليها.^(٢)

-
- (١) انظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤٨)، ابن بسام: الذخيرة، ق١، ص(١٤٧/١-١٤٨).
ابن عذاري: البيان، ص(١٧٨/٣)، ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص(١٩٦-١٩٧).
- (٢) ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٢٤٦/٢).
-

الفصل الثاني

سرقسطة في عصر ملوك الطوائف وعصر المرابطين

وفيه أربعة مباحث : -

- ✧ المبحث الأول: زوال الخلافة الأموية وقيام ممالك الطوائف.
- ✧ المبحث الثاني: قيام مملكة بني هود في سرقسطة.
- ✧ المبحث الثالث: دخول سرقسطة تحت نفوذ المرابطين.
- ✧ المبحث الرابع: سقوط سرقسطة (٥١٢هـ - ١١١٨م).

* * * * *

المبحث الأول: زوال الخلافة الأموية وقيام ممالك الطوائف

رأينا فيما سبق كيف استطاع علي بن حمود أن ينتزع الخلافة من الأمويين ليتقلدها في عام ٤٠٧ هـ- ١٠١٧ م، عندما دخل قرطبة، ولكن خلافته لم تدم طويلاً حيث قتله أتباعه من الصقالبة في عام ٤٠٨ هـ- ١٠١٨ م ليتولى الأمر من بعده أخوه القاسم الملقب بالمأمون واستمرت خلافته إلى أن ثار ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود بمالقه^(١) (Malaga) وذلك في عام ٤١٢ هـ- ١٠٢١ م، ففر القاسم إلى اشبيلية، ودخل يحيى بن علي قرطبة وبقي فيها ثم ما لبث أن غادرها وذلك بعد سماعه بقدوم عمه إليه بجيش كبير من البربر في عام ٤١٣ هـ- ١٠٢٢ م^(٢).

واستقر القاسم بقرطبة مضطرب الحال مع أهل قرطبة الذين ثاروا عليه وخلعوا طاعته فحاصروهم قرابة الشهرين، حتى خرج أهل قرطبة إلى البربر، فانفض عنه أتباعه من البربر، وتوجه إلى إشبيلية حيث كان فيها ابنه محمد والحسن، ولكن الأشبيليين أخرجوهما من مدينتهم، قدموا على حكمها ثلاثة من رجال المدينة وهم أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد، ومحمد بن يريم الألهاني، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي، وكان الثلاثة مشتركين في سياسة البلد وتدييره حتى غلب محمد بن إسماعيل بن عباد على صاحبيه واستبد بالأمر، وانتهى الأمر بالقاسم إلى وقوعه أسيراً بيد أبناء أخيه يحيى بن علي، ومن بعده لدى إدريس بن علي لتكون خاتمة الموت خنقاً سنة ٤٣١ هـ- ١٠٣٩ م^(٣).

(١) مالقة: مدينة بالأندلس، على شاطئ البحر، وهي حسنة عامره أهله، كثيرة الديار. الحميري، الروض المعطار، ص(٥١٧-٥١٨).

(٢) الحميدي: جذوة المقتبس، ص(٢٢)، المراكشي: المعجب، ص(٩٩).

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ص(٢٣)، المراكشي: المعجب، ص(١٠٠)، ابن عذاري: البيان، ص(١٣١/٣-١٣٣)، المقرئ: نفح الطيب، ص(٤٣١/١-٤٣٢).



فما لبثت أن تطورت الحوادث في قرطبة بسرعة، وعاد بنو أمية فاستردوا الخلافة ورشحوا لذلك ثلاث شخصيات هم: عبدالرحمن بن هشام بن عبدالجبار أخو المهدي مشعل الفتنة، وسليمان بن المرتضى، ومحمد بن عبدالرحمن بن هشام واستقر اختيارهم على عبدالرحمن بن هشام فبايعوه بالخلافة وتلقب بالمستظهر بالله عام ٤١٤ هـ - ١٠٢٣ م وقد حضر اجتماع المبايعة المؤرخ الكبير ابن حيان ووصفه كما رآه^(١).

ولكن خلافة المستظهر لم تدم طويلاً حيث قتل في نفس العام الذي تولى فيه الخلافة أي سنة ٤١٤ هـ - ١٠٢٣ م، فقد ذكر ابن حيان مدة خلافة المستظهر بقوله (سبعة وأربعين يوماً، لم تنتشر له فيها طاعة، ولا التأمّت عليه جماعة، ولا تجاوزت دعوته قرطبة)^(٢).

وتسلم مقاليد الحكم من بعده ابن عمه محمد بن عبدالرحمن الذي بايعه أهل قرطبة وتلقب بالمستكفي بالله، فقد ولي المستكفي الخلافة مرتين وعزل عنها نهائياً في عام ٤١٦ هـ - ١٠٢٥ م^(٣).

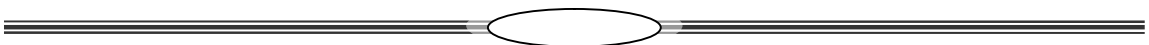
وبعد خلع المستكفي بالله عادت قرطبة إلى حوزة يحيى بن علي بن حمود إلا أن أهل قرطبة خلعوا طاعته سنة ٤١٧ هـ - ١٠٢٦ م وأعادوا النظر في إعادة الخلافة إلى بني أمية وكان يتزعم سياستهم الوزير أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور^(٤) واتفقوا على مبايعة هشام بن محمد بن عبدالمطلب بن عبدالرحمن الناصر،

(١) الحميدي: جذوة المقتبس، ص(٢٤)، المراكشي: المعجب، ص(١٠٥)، ابن بسام: الذخيرة ق ١، ص(٤٨/١)، ابن عذاري: البيان، ص(١٣٥/٣)، المقرئ: نفخ الطيب، ص(٤٣٥/١-٤٣٦)، ولتفاصيل أكثر عن مبايعة المستظهر. انظر: ابن بسام: الذخيرة ق ١، ص(٤٨/١-٤٩).

(٢) ابن بسام: المصدر السابق، ق ١، ص(٥٢/١-٥٣).

(٣) ابن بسام: مصدر سابق، ص(٥٢/١)، ابن عذاري: البيان، ص(١٤٠/٣-١٤١).

(٤) كان من وزراء الدولة العامرية، قديم الرياسة، موصوفاً بالدهاء والعقل، ولم يدخل في أمور الفتن قبل ذلك وكان يتصاون عنها انظر: الحميدي: الجذوة، ص(٢٧).



أخي عبيد الرحمن المرتضى
فبايعوه سنة ٤١٨ هـ- ١٠٢٧ م، وكان لذاك مقيماً بالبونت (ALpuente)^(١) لدى
حاكمها محمد بن عبدالله بن قاسم، وعلى الرغم من مبايعته بالخلافة إلا أنه لم
يدخل قرطبة إلا سنة ٤٢٠ هـ- ١٠٢٩ م بسبب ترده وانشغاله في بعض الأحداث
هناك، وتلقب في خلافته بالمعتد بالله، واستمر المعتد في خلافته عامين، وانتهى به
الحال إلى أن خلعه الجند وأزالوا سلطانه سنة ٤٢٢ هـ- ١٠٣٠ م، ولجأ إلى سليمان
بن هود صاحب لارده من أعمال الثغر الأعلى، وبقي هنالك بقية أيامه حتى توفي
سنة ٤٢٧ هـ- ١٠٣٥ م^(٢).

وبخلع هشام المعتد بالله آخر خلفاء بني أمية سقطت الدولة الأموية بالأندلس
وارتفعت الأصوات بضرورة مغادرة بني أمية قرطبة، وحذرت من يبقى فيها.
وفي ذلك يقول ابن الخطيب (ومشى البريد في الأسواق والأرباض بأن لا
يبقى أحد بقرطبة من بني أمية ولا يكتفهم أحد)^(٣).

ثم أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور انتهاء رسم الخلافة جملة لعدم وجود من
يستحقها وصار الأمر شورى بأيدي الوزراء وصفوة الزعماء أو ما أسماه
بالجماعة^(٤).

(١) البونت: مدينة تقع في شمال شرقي الأندلسي، ووصفها ابن سعيد بأنها معقل من المعقل الرفيعة،
وفي عصر ملوك الطوائف استقل بها بنو قاسم. انظر: ابن سعيد: علي بن موسى: المغرب بن
حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٨٩٣-١٩٨٠ م،
ص(٣/٢٥٩)، عنان: دولة الإسلام، العصر الأول، القسم الثاني، ص(٦٦٨).

(٢) الحميدي: الجذوة، ص(٢٦-٢٧)، المراكشي: المعجب، ص(١٠٩-١١٠)، ابن عذاري: البيان،
ص(٣/١٤٥-١٤٦)، المقرئ: نفح الطيب، ص(١/٤٣٧-٤٣٨).

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٣٩).

(٤) ابن عذاري: البيان، ص(٣/١٥٢)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٣٩)، العبادي: في تاريخ
المغرب والأندلس، ص(٢٥٤).

وهكذا انحدرت الأندلس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ^(١) عقب سقوط الخلافة الأموية إلى معترك من التمزق والفوضى وآلت البلاد بعد أن كانت كتلة واحدة تمتد من «ضفاف دويرة شمالاً إلى مضيق جبل طارق جنوباً، ومن شاطئ البحر المتوسط ومن طرفه شرقاً حتى شاطئ المحيط الأطلسي غرباً» إلى أشلاء ممزقة ورقاع متناثرة، وولايات ومدن متخاصمة يسيطر على كل منها حاكم سابق أو متغلب، أوزعيم أسرة محلي من ذوي الجاه والعصبية ^(٢) وكل حاكم من هؤلاء المنتزعين يدعي أنه ملك مقتدر، بل إنهم جميعاً تلقبوا بألقاب تدل على سعة الملك وعظيم الشأن وقد قال ابن رشيق يصف حالهم بقوله :

مما يزهدني في أرض أندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالمحكي انتفاخاً صورة الأسد ^(٣)

فدخلت البلاد بذلك في عصر جديد هو عصر ملوك الطوائف، أو عصر الفرق كما يسميه ابن الكردبوس ^(٤).

ويصف لنا ابن الخطيب حال الأندلس بعد الفتنة وظهور ملوك الطوائف حيث قال: «وذهب أهل الأندلس من الانشقاق، والانشعب والافتراق، إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار مع امتيازها بالمحل القريب، والخطة المجاورة لعُباد

(١) ومما هو جدير بالذكر «أن تاريخ ملوك الطوائف يبدأ منذ سقوط الدولة العامرية في نهاية المائة الرابعة عندما انهار سلطان الخلافة وتمزقت أوصال الأندلس، وإذا كانت الخلافة الأموية قد واصلت الحياة حتى سنة ٤٢٢ هـ - ١٠٣١ م، فقد كانت حياتها حياة مريض غائب عن الوعي في دور الاحتضار، ولم يكن سلطان الخليفة الفعلي آنذاك يتجاوز أثره قرطبة وأرباضها» انظر: عنان: دول الطوائف، ص(١٦).

(٢) عنان: مرجع سابق، ص(٦٧٦).

(٣) المراكشي: المعجب، ص(١٢٣)، ابن خلدون: المقدمة، ص(٢٢٩).

(٤) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص(٧٨).



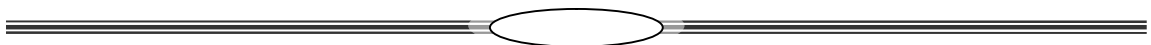
الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث ولا في الإمارة بسبب ولا في الفروسية نسب، ولا في شروط الإمامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار، واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والأمصار، وجندوا الجنود، وقدّموا القضاة، وانتحلوا الألقاب، وكتبت عنهم الكُتاب الأعلام، وأنشدهم الشعراء، ودونت بأسمائهم الدواوين، وشهدت بوجوب حقهم الشهود ووقفت بأبوابهم العلماء وتوسلت إليهم الفضلاء، وهم ما بين محبوب، وبربري مجلوب، ومجند غير محبوب وغفل ليس في السراة بمحسوب، ما منهم من يرضى أن يسمى ثائراً، ولا لحزب الحق مغايراً، وقصارى أحدهم أن يقول: « أقيم ما بيدي، حتى يتعين من يستحق الخروج به إليه» ولو جاءه عمر بن العزيز، لم يقبل عليه، ولا لقي خيراً لديه، ولكنهم استوفوا في ذلك آجالاً وأعماراً، وخلفوا آثاراً، وإن كانوا لم يبالوا اغتراراً»^(١).

وإذا ألقينا نظرة على الخريطة السياسية للأندلس عقب سقوط الخلافة رأينا إنقسامها إلى ست مناطق رئيسة:

- ١-منطقة العاصمة قرطبة وما حولها من المدن والبلاد الوسطى.
 - ٢-منطقة طليطله.
 - ٣-منطقة إشبيلية وغربي الأندلس وما حولها من البلاد إلى المحيط الأطلسي.
 - ٤-منطقة غرناطة وريه والفرنثيرة.
 - ٥-منطقة شرقي الأندلسي أو منطقة بلنسية وما ييط بها شمالاً وجنوباً .
 - ٦-منطقة سرقسطة والثغر الأعلى.
- هذا بالإضافة إلى المدن الأخرى التي استقلت بنفسها كإمارات صغيرة ثم زالت بضمها وإخضاعها لإمارات أقوى منها^(٢).

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٤٤).

(٢) عنان: دول الطوائف، ص(١٧).



وقد كان لاختلاف عناصر المجتمع الأندلسي، وتعدد طوائفه من عرب وبربر وصقالبة وغير ذلك، أثره في اختلاف أجناس القيادات السياسية من مملكة لأخرى، ويمكن تقسيم أولئك الملوك أو الأمراء إلى أربع فئات:

١-العرب.

٢-البربر.

٣-الفتيان العامريين.

٤-موالي الأمويين^(١).

أولاً : ملوك الطوائف العرب:

١-بنو عباد اللخميون:

كانوا في إشبيلية وأعمالها، ومؤسس دولتهم القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي، وجدهم عطاف بن نعيم وهو الداخل إلى الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري، وكان محمد بن إسماعيل مؤسس دولتهم ممن قدمه أهل إشبيلية مع صاحبيه للنظر في شؤون مدينتهم لما ضاقوا بحكم العلويين وأخرجوا القاسم بن حمود وابنيه من إشبيلية فلم يلبث ابن عباد أن انفرد بالأمر واستبد بتدبير الشؤون في إشبيلية^(٢).

٢-بنو هود الجذاميون:

كانوا في سرقسطة، انتقلت السيادة إليهم بعد مقتل آخر حاكم من أسرة بني

(١) سعد عبدالله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص(٦٧).

(٢) الحميدي: جذوة المقتبس، ص(٢٣)، ابن بسام: الذخيرة ق٢، ص(١٤/١-١٥)، المراكشي: المعجب، ص(١٢٦)، ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٣٤/٢-٣٥)، ابن عذاري: البيان، ص(١٩٥/٣)، عنان: دول الطوائف، ص(٣٢-٣٣).

تجيب المنذر بن يحيى سنة ٤٣٠ هـ-١٠٣٨ م، ومؤسس دولتهم سليمان بن محمد بن هود الجذامي الملقب بالمستعين بالله، وجدهم الأعلى هود وهو الداخل إلى الأندلس^(١).

٣- بنو قاسم الفهريون:

وكانوا في البوننت، ومؤسس هذه الإمارة عبدالله بن قاسم منذ بداية الفتنة، وهو من زعماء البيوت العربية في تلك المنطقة، فحكمها واستقل بها وبما حولها من الأراضي ولما توفي سنة ٤٢١ هـ-١٠٣٠ م خلفه ابنه محمد بن عبدالله بن قاسم، وقد كان بنو قاسم هؤلاء يرجعون في نسبهم إلى قريش^(٢).

٤- بنو حمود العلويون:

قد مر بنا سابقاً الحديث عن بني حمود وعن نشاطهم السياسي أثناء الفتنة، وكيف دخل علي بن حمود قرطبة وقتل الخليفة سليمان المستعين بالله وأعلن نفسه خليفة ثم قتل فتولى أخوه القاسم من بعده ولكن خلافته لم تدم طويلاً إذ خرج عليه ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود ودخل قرطبة سنة ٤١٣ هـ-١٠٢٢ م.^(٣)

ثانياً : البربر:

١- بنو مناد الصنهاجيون في غرناطة ومالقة:

يرجع نسب أسرة بني مناد البربرية إلى قبيلة صنهاجة، وقد ظهر البربر منذ أيام المنصور بن أبي عامر الذي استطاع أن يستميل قلوب كثير من البربر إلى جانبه وشجعهم على القدوم إلى الأندلس، فدخلتها قبائل صنهاجة بزعامة زاوي بن

(١) ابن الأبار: مصدر سابق، ص(٢٤٦/٢)، ابن عذاري: مصدر سابق، ص(٢٢١/٣) وسيأتي الحديث عن أسرة بني هود بالتفصيل فيما بعد.

(٢) ابن عذاري: البيان، ص(٢١٥/٣)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٦٠-٢٦١).

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ص(٣٠) وما بعدها.

زيري حيث أكرمهم المنصور وقرب منازلهم وصاروا له عضداً وسنداً في إرساء قواعد دولته، وبعد وفاة المنصور سار ابنه المظفر وعبدالرحمن على نفس سياسة والدهم، وبعد مقتل الأخير، بدأ عهدالفتنة والفوضى وكان للبربر دورٌ هامٌ فيها حيث إنهم وقفوا إلى جانب سليمان المستعين ضد خصمه المهدي، كما أشرنا إلى ذلك، ثم كافأ البربر على مساندتهم له بتوليتهم بعض المدن والولايات فأقطع صنهاجه وفي مقدمتهم زاوي ورجاله ولاية (البيرة) غرناطة^(١) (Granada)، فأقاموا بها وبنوا فيها مدينة غرناطة^(٢).

٢- بنو الأفطس، ملوك بطليوس (Badajoz):

كانت مملكة بطليوس تمتد من غرب مملكة طليطلة عند مثلث نهريانة غرباً حتى المحيط الأطلسي، وتشمل أراضي البرتغال كلها تقريباً حتى مدينة باجه في الجنوب^(٣).

وأول ملوكها عبدالله بن مسلمة بن الأفطس المكناسي، الذي حكم المنطقة بعد وفاة سابور^(٤)، واستبد بسياستها وتديرها وتلقب بالمنصور، ودافع عن مدينته واستطاع أن يوطد حكمه فيها، وبعد وفاته خلفه ابنه محمد (المظفر) الذي سار على نفس سياسة والده في الدفاع عن الدولة^(٥).

(١) غرناطة: مدينة بالأندلس، بينها وبين وادي اش أربعون ميلاً، وهي من مدن البيرة، وتعرف بأغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهوداً، الحميري: الروض المعطار، ص(٤٥-٤٦).

(٢) عنان: دول الطوائف، ص(١٢٠) وما بعدها.

(٣) عنان: المرجع السابق، ص(٨١).

(٤) سابور العامري: أحد صبيان فائق الخادم فتى الحكم المستنصر بالله، ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٩٦/٢).

(٥) ابن الأبار: مصدر سابق، ص(٩٦-٩٧)، ابن عذاري: البيان، ص(٢٣٦/٣).

٣- دولة بني رزين امراء السهلة (شنتمرية الشرق):

وتقع هذه الإمارة في جنوب الثغر الأعلى عند منابع نهر خالون.

ومؤسس هذه الإمارة هذيل بن عبدالملك بعد الفتنة، حيث استطاع أن يستبد بحكم شنتمريه وأعمالها وذلك في سنة ٤٠٣هـ-١٠١٢م وتلقب بالحاجب عز الدولة ثم خلفه في الحكم ابنه أبو مروان عبدالملك بن هذيل الذي تلقب عند ولايته بذي الرياستين الحاجب جبر الدولة^(١).

٤- بنو ذي النون في طليطلة:

كانت هذه المملكة تشمل رقعة كبيرة في قلب الأندلس، فيحدها غرباً مملكة بطليوس وشرقاً مملكة بني هود وشمالاً مملكة قشتالة القديمة ومن الجنوب مملكة بني عباد في إشبيلية وقرطبة^(٢).

ويرجع ظهور بني ذي النون إلى أيام الدولة الأموية حيث كان جدهم ذو النون بن سليمان والياً على حصن إقليش^(٣) بالثغر الأعلى في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن فكانت ولايته تلك مكافأة لبعض الخدمات التي قدمها لبعض أتباع الأمير محمد واستمر أبناؤه على هذه الولاية من بعده، وفي أيام المنصور بن أبي عامر ظهر عبدالرحمن بن ذي النون وولده إسماعيل وخدمات في ظل المنصور واستمر في ذلك حتى ثارت الفتنة فأقر سليمان المستعين عبدالرحمن على حكم إقليش، وبعد وفاته خلفه ابنه إسماعيل الذي أخذ في توسيع نفوذه فاستولى على قلعة قونقه شرق إقليش بعد وفاة أميرها واضح العامري، وعلت مكانة إسماعيل

(١) ابن بسام: الذخيرة ق٣، ص(٨٤/٥-٨٧)، ابن عذاري: البيان، ص(٣٠٧/٣-٣٠٩)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٥٣-٢٥٥).

(٢) البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص(٨٤).

(٣) إقليش: مدينة محدثة تقع شرق طليطلة بناها الفتح بن موسى بن ذي النون، وفيها كانت ثورته وظهوره في سنة ١٦٠هـ، ولها حصن في ثغر الأندلس، الحميري: الروض المعطار، ص(٥١).

لدى المستعين فمنحه الوزارة وسمّاه ناصر الدولة^(١).

وكان يحكم طليطلة حينما اضطرت الفتنة قاضيها (أبو بكر يعيش بن محمد بن يعيش الأسدي) ولم يكن منفرداً بالرياسة بل كان يشترك معه جماعة من الرؤساء، ولكن ما لبث أن وقع الخلاف بينهم ليبقى (عبدالرحمن بن منيوه) في تدبير شؤون البلاد، ولما توفي عبدالرحم خلفه ابنه عبدالملك وأساء السيرة مع أهل المدينة فخلعوه ثم ولوا غيره ليخلعوه مرة أخرى، ثم رأوا أن يرسلوا إلى عبدالرحمن بن ذي النون في شنتبريه شمال شرق الأندلس يطلبون منه أن يتولى أمر مدينتهم فأرسل إليهم ابنه إسماعيل الذي استولى عليها وأصبحت منذ ذلك الوقت دار مملكتهم^(٢).

✦ الثأ : الفتيان العامريون :

١-خيران العامري في المرية.

٢-زهير العامري في مرسية.

٣-الفتيان مظفر ومبارك في بننسية.

٤-مجاهد بن يوسف العامري في دانية والجزائر الشرقية.

١-خيران العامري في المرية^(٣) (ALmeria):

كان خيران من الفتيان الذين شاركوا في أحداث الفتنة وأعادوا الخلافة لهشام المؤيد، ولكن خصومهم من البربر كانوا أكثر سيطرة على الأحداث، فبعد دخول

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق ٤، ص(١٠٢/٧-١٠٣)، عنان: دول الطوائف، ص(٩٦).

(٢) ابن عذاري: البيان، ص(٢٧٦/٣-٢٧٧)، عنان: دول الطوائف، ص(٩٧).

(٣) المرية: مدينة في جنوب شرق الأندلس أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محم سنة ٣٤٤هـ. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، نشره ليفي بروفسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م، ص(١٨٣).



سليمان المستعين قرطبة خاف الفتيان عاقبة ذلك فغادروا قرطبة، وكان منهم خيران الذي سار أولاً إلى أوريولة جنوب شرق الأندلس فاستولى عليها ومنها وثب على مدينة مرسية (Murcia) ^(١) وخرج منها إلى مدينة المرية وكان عليها أفح الصقلي فقتله خيران وانتزع منه المدينة سنة ٤٠٥ هـ- ١٠١٤ م وغدت المرية من ذلك الحين قاعدته الرئيسية وأدخل عليها كثيراً من ضروب الإصلاح والتحصين فدمر أسوارها وبنى بها كثيراً من المنشآت المعمارية واهتم بتوسيع جامع المرية وحفر آبارها ^(٢).

وبعد وفاة خيران تولى صاحبه زهير العامري مكانه، ولكن ما لبث أن قتل الأخير في حروب دارت بينه وبين باديس بن حبوس، وتولى أمر المرية بعد مقتل زهير معن بن صمادح التجيبي ولما توفي خلفه ابنه محمد معز الدولة ^(٣).

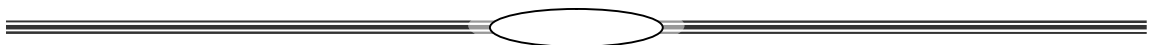
٢- زهير العامري في مرسية:

بعد وفاة خيران العامري خلفه على حكم المرية ومرسية وأوريوله زهير العامري وكان على مرسية وقت أن كان زهير أميراً للمرية نائبه أبو بكر أحمد بن إسحاق بن طاهر ولما توفي خلفه ابنه أبو عبدالرحمن محمد بن طاهر، ولما سقط حكم عبدالملك العامري في بلنسية باستيلاء المأمون بن ذي النون عليها سنة ٤٥٧ هـ- ١٠٦٤ م، هنا انتهز أبو عبدالرحمن الفرصة سانحة لإعلان استقلاله واستمر أبو عبدالرحمن أميراً على مرسية حتى امتدت إلى مرسية أطماع المعتمد بن عباد وذلك بتأييد من وزيره ابن عمار الذي سار على رأس حملة لمحاصرة

(١) مرسية: تقع في جنوب شرق الأندلس بناها الأمير عبدالرحمن بن الحكم، واتخذت داراً للعمال، وقراراً للقواد، الحميري: مصدر سابق، ص (١٨١).

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ص (٤٣/١)، عنان: دول الطوائف، ص (١٥٩)، عبدالعزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٩ م، ص (٥٩) وما بعدها.

(٣) ابن عذاري: البيان، ص (١٦٧/٣-١٧٠).



مرسية بالتعاون مع ملك برشلونه النصراني، غير أنه لم ينجح في محاولته فارتد ليعود إليها ثانية بقيادة عبدالرحمن بن رشيق الذي حاصرها حتى سقطت سنة ٤٧١ هـ- ١٠٧٨ م، ودخلت في أملاك المعتمد بن عباد^(١).

٣-الفتيان مظفر ومبارك في بلنسية^(٢) (Valencia):

كان الفتیان مظفر ومبارك قبل أن يحكما بلنسية يتوليان وكالة الساقية في هذه المدينة أيام ولاية عبدالرحمن بن يسار عليها ثم ما لبث مبارك بعد تغيير الأحوال أن تولى إمارة بلنسية بالاشتراك مع صديقه مظفر وكانا يحكما معاً وينظران في تصريف شؤون المدينة سوياً وكان مبارك أقوى تدبيراً وسياسة من مظفر ولكنه لم يسلم من الصراع مع جيرانه حيث كان في نزاع مع منذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة الذي بدا طامعاً في الاستيلاء على طرطوشة (Tortosa)^(٣) من الفتى لبيب الذي سارع في طلب العون من مبارك فكانت الحرب بينهما حيث انهزم منذر وعاد خائباً إلى مملكته واستمر مبارك ومظفر في حكم بلنسية ثم توفي مظفر قبل صاحبة مبارك^(٤).

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، ص (٢٣/٥)، عنان: دول الطوائف، ص (١٧٥-١٧٦).

(٢) بلنسية: قاعدة من قواعد الأندلس، وتقع في شرق الأندلس الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص (٤٧).

(٣) طرطوشة: تقع على الساحل الشرقي في سطح جبل، ولها سور حصين وبها أسواق وعمارات وضياح، ويحيط بها سور صخر من بناء بني أمية. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص (١٢٤).

(٤) ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، ص (١٥/٥-١٩)، ابن عذاري: البيان، ص (١٥٨/٣-١٦٣) عنان: دول الطوائف، ص (٢١٧-٢١٩).

٤- مجاهد بن يوسف العامري في دانية والجزائر الشرقية^(١) (Denia):

كان مجاهد من أشهر الفتيان العامرين وقد استولى على دانية والجزائر الشرقية بعد حصول الفتنة بمقتل مولاه عبدالرحمن بن المنصور ويذكر أنه كان متولياً على الجزائر الشرقية فلما علم بوقوع الفتنة انطلق إلى دانية فاستولى عليها في أوائل عهد الفتنة^(٢).

وهناك روايات مختلفة فمنهم من يذكر أن مجاهداً غادر قرطبة عند مقتل الخليفة محمد المهدي فملك طرطوشة ثم سار عنها إلى دانية^(٣).

ومنهم من يذكر أن مجاهداً خرج عن قرطبة بعد زوال نفوذ العامريين حيث اتجه إلى الجزائر فملكها ثم سار إلى سردانية^(٤) غازياً^(٥).

ونسنتج من ذلك أن مجاهداً حكم بعد الفتنة مدينة دانية والجزائر الشرقية سنة ٤٠٥ هـ-١٠١٤ م.

(١) دانية: تقع على الساحل الشرقي للأندلس عامرة حسنة لها ربض عامر، وعليها سور حصين، ولها قسبة منيعة جداً، الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص(٧٦).

(٢) ابن عذاري: البيان، ص(١٥٥/٣-١٥٦)، عنان: دول الطوائف، ص(١٨٨).

(٣) ابن خلدون: العبر، ص(١٦٤/٤).

(٤) سردانية: جزيرة كبيرة في بحر المغرب، وقد غزاها المسلمون لأول مرة في أيام موسى بن نصير سنة ٩٢ هـ-٧١١ م، ثم توالى غزوات المسلمين عليها. انظر: الحموي معجم البلدان، ص(٢٠٩/٣) عنان: دول الطوائف، ص(١٩١).

(٥) الحميدي: جذوة المقتبس، ص(٣٣١).

رابعاً : موالي بني أمية:

دولة بني جهور في قرطبة^(١):

عندما قرر أهل قرطبة إلغاء الخلافة وكان يؤيدهم في ذلك أبو الحزم جهور فعمدوا إلى ذلك الزعيم ليتولى الحكم وتدير الأمور حيث كان من وزراء الدولة لعامرية وموصوفاً بالحكمة والعقل متنزها عن الوقوع في أحداث الفتنة وتدنيس يده في دماؤها وبعد إلحاح من أهل قرطبة قبل تولي أمر إدارة شؤونها وتصريف سياستها، واشترط مقابل موافقته اشتراك محمد بن عباس وعبدالعزیز بن حسن ابني عمه في المشورة والرأي^(٢).

وبعد وفاة أبي الحزم خلفه في الرياسة ابنه الوليد محمد بن جهور.

(١) ينسب بنو جهور إلى جدهم يوسف بن بخت بن أبي عبدة الفارسي، وهو الداخل إلى الأندلس مع الطالعة البلجية، وقد خدم الأمير عبدالرحمن الداخل وتولى أبناؤه بعد ذلك الوزارة في عصر الإمارة ثم الخلافة الأموية، فكان منهم جهور بن عبدالملك الذي تولى الوزارة في عهد الخليفة الناصر، ثم جاء بعده ابنه مروان ومحمد، ومحمد هذا هو والد أبي الحزم جهور، انظر: عنان: دول الطوائف، ص(٢٠-٢١).

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق ١، ص(٤٦١/٢-٤٦٣).

المبحث الثاني: قيام مملكة بني هود في سرقسطة

تعتبر مملكة سرقسطة من أعظم ممالك الطوائف في الأندلس من حيث سعتها وأهمية موقعها فهي تمثل الوجود الإسلامي المجاور لعدد من الكيانات النصرانية بين قطلونية من الشرق، وناقار من الشمال الغربي، وقشتاله من الجنوب والغرب، وهناك أيضاً من الشمال مملكة أرغون^(١).

وتعد هذه المملكة من أقدم الممالك التي استقلت عن الخلافة، فإن موقعها النائي في شمال شرقي الجزيرة الأندلسية، وبعدها عن بقية الممالك الأسبانية جعلها أكثر الممالك قوة واعتماداً على ذاتها للدفاع عن وجودها من جميع الأطماع المضطربة من حولها^(٢).

ومما زاد في أهمية هذه المملكة انتشار القلاع والحصون في طول البلاد وعرضها^(٣) والتي ساعدتها على الصمود فترة طويلة أمام الأسبان النصارى الطامعين في انتهاب أراضيها.

وكان يطلق على هذه المملكة قبل زوال الخلافة ولاية الثغر الأعلى وتشمل مدينة سرقسطة وأعمالها، تطيلة ووشقه وبربشتر ولاردة وإفراغه وطركونه وطرطوشة^(٤).

وحكمت هذه المملكة قبل بني هود أسرة بني تجيب وبعد أن انتهت رئاسة التجيبين فيها وذلك بمقتل آخر أمرائها المنذر بن يحيى التجيبى سنة ٤٣٠ هـ-

(١) عنان: دول الطوائف، ص(٢٦٤-٢٦٥-٢٧٩).

(٢) عنان: المرجع السابق، ص(٢٦٤-٢٦٥).

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ص(٢١٢/٣-٢١٣).

(٤) المراكشي: المعجب، ص(١٢٤)، عبدالرحمن بن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، ص(٣٥٥-٣٥٦).

١٠٣٨م بدأت رياسة جديدة تنزعها أسرة بني هود، وعميد هذه الأسرة قائد مشهور من كبار الجند بالثغر الأعلى وهو سليمان بن محمد بن هود الجذامي الملقب بالمستعين بالله وجدهم الأعلى هو الداخل إلى الأندلس، وقد خص ابن الأبار أسرة بني هود دون غيرها من أسر الطوائف بغلبة الشجاعة والشهامة عليها^(١).

حكم سليمان بن هود سرقسطة سنة ٤٣١-٤٣٨هـ - ١٠٣٩-١٠٤٦م وتميزت سنوات حكمه بالصراع المرير مع المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة، وكانت المنطقة الواقعة بين الدولتين من ناحية الجنوب الغربي من مملكة سرقسطة وناحية الشمال الشرقي من مملكة طليطلة، موضع الاحتكاك بين الطرفين، كما أن هناك عاملاً آخر ساعد على اشتداد النزاع بينهما وهو أن إسماعيل بن ذي النون كان خال المنذر بن يحيى التبجيبي آخر امراء سرقسطة من بني تجيب، الذي احتل سليمان بن هود عرشه^(٢).

وكان هذا الصراع يشمل الفترة من ٤٣٥ إلى ٤٣٨هـ - ١٠٤٣-١٠٤٦م حيث دارت معارك دامية بين الطرفين أولاً حول مدينة وادي الحجارة، حيث كانت مثار النزاع بينهما، وعلى الرغم من أنها كانت من أعمال طليطلة إلا أن فريقاً من أهلها كانوا يرغبون في الانضواء تحت حكم سليمان بن هود حيث سيطر عليها في عام ٤٣٦هـ - ١٠٤٤م وما كاد المأمون يقف على هذا الاعتداء حتى هرع بقواته صوب وادي الحجارة، ونشبت المعارك بين أحمد بن سليمان بن هود (قائد جيوش سرقسطة وولي العهد) وبين المأمون فدارت الدائرة على

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء، ص(٢/٤٦٦).

(٢) عنان: دول الطوائف، ص(٢٧١)، رجب محمد عبدالحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، بيروت، ص(٣٣٨).

المأمون، وتحصن في مدينة طليبرة Talavira ^(١) فشدد عليه ابن هود الحصار ثم رفعه بأمر أبيه، ونجا المأمون من مأزق شديد الحرج ^(٢).

ولم يقف المأمون عند هذا الحد، بل صمم على مواصلة الحرب مع ابن هود ففاوض فرناندو الأول ملك قشتالة وطلب منه العون وتعهد أن يؤدي له الجزية ^(٣) فاستجاب فرناندو الأول لدعوته فبعث قواته التي عاثت فساداً في أراضي ابن هود المجاورة لقشتالة، وانتهبت الزروع، وسبت من المسلمين العدد الكبير، فلم يحرك ابن هود ساكناً حيث تحصن في بعض قلاع، فانتهز المأمون هذه الفرصة فأغار بدوره على أراضي ابن هود المتاخمة له ودمر بعضها وكان ذلك في سنة ٤٣٧ هـ - ١٠٤٥ م ^(٤).

فسار ابن هود على نفس الطريق الذي سار عليه المأمون، وسعى بدوره إلى مخالفة الأسبان ضد المأمون، فبعث إلى فرناندو الأول ملك قشتالة أموالاً وتحفاً كثيرة على

أن يغير على أراضي طليطة ^(٥) فاستجاب فرناندو الأول إلى دعوته، وهاجم أراضي طليطة الشمالية ووصل وادي الحجاره وقلعة هنارس (قلعة النهر) فعاث فيها الخراب فاستشاط المأمون غيظاً والتمس مخالفة غرسية ملك الناغار وهو أخو فرناندو الأول وهذه صورة تؤكد أن الأندلس ما ضاعت إلا بمثل هذه التصرفات المشينة وبعث إليه بالأموال والتحف فأغار غرسية بقواته على

(١) طليبرة: مدينة بالأندلس إلى الغرب من طليطة وهي أقصى ثغور المسلمين، وهي مدينة كبيرة، وقلعتها من أرفع القلاع حصناً، وبينها وبين طليطة سبعون ميلاً، الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص (١٢٧-١٢٨).

(٢) ابن عذاري: البيان، ص (٢٧٧/٣-٢٧٨)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص (١٧٨).

(٣) ابن عذاري: البيان، ص (٢٧٨/٣)، عنان: دول الطوائف، ص (٩٨-٩٩).

(٤) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص (٦٨)، ابن عذاري: البيان، ص (٢٧٨/٣).

(٥) ابن عذاري: المصدر السابق، ص (٢٧٩/٣-٢٨٠).

لكم وقد نصرنا الآن عليكم ببراءتكم فارحلوا إلى عدوتكم واتركوا لنا بلادنا فلا خير لكم في سكتناك معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم»^(١)

وفي الوقت نفسه كانت قوات غرسية ملك الناغار، وحليف المأمون تهاجم أراضي الثغر الأعلى، وتخرب حصونه وفعل « فعل أخيه فردلند في نظر ابن ذي النون»^(٢).

وهكذا استمرت الفتنة والنضال بين هذين الملكين ثلاثة أعوام ٤٣٥- ٤٣٣٨ هـ ولم تنقطع إلا بموت سليمان بن هود عام ٤٣٨ هـ فقد كانت نموذجاً صارخاً لتلك الحروب والمنافسات التي استنزفت طاقات الأمة وسهلت للعدو التهام تلك البلاد وقبل وفاة سليمان بن هود قسم المملكة بين أولاده الخمسة (أحمد المقتدر - يوسف المظفر - محمد - لب - المنذر) فاختص أحمد المقتدر بولاية سرقسطة (عاصمة المملكة)، ويوسف بولاية لارده، (شرق سرقسطة) ومحمد بولاية قلعة أيوب (جنوب غرب سرقسطة) ولب بولاية وشقة (شمال سرقسطة)، والمنذر بولاية تطيلة (شمال غرب سرقسطة)^(٣).

وبهذا التقسيم وقع سليمان المستعين في الخطأ التقليدي الذي وقع فيه كثير من ملوك العالم في مختلف فترات التاريخ.

فقد أدى ذلك التقسيم إلى قيام صراع عنيف بين الإخوة تمكن أحدهم وهو المقتدر حاكم مدينة سرقسطة من التغلب على ثلاثة منهم وهو محمد صاحب قلعة أيوب والمنذر صاحب تطيلة، ولب صاحب وشقة، أما الأخ الرابع وهو يوسف الملقب بحسام الدولة وبالمظفر صاحب لارده فقد استطاع أن يقف في وجه أخيه

(١) ابن عذاري: البيان، ص(٢٨٢/٣)، شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ص(٤٤٢/١).

(٢) ابن عذاري: البيان، ص(٢٨١/٣ - ٢٨٢).

(٣) ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٢٤٥/٢).



المقتدر وأن يجد من أطماعه^(١) إلا أن أحمد المقتدر لم يترك أخاه وشأنه وخاصة عندما رأى أهل الثغر ما فعله أحمد بإخوانه فسخطوا عليه ونادوا بخلعه وخرجت معظم القواعد عن طاعته وانضمت إلى أخيه يوسف المظفر ولم يبق له سوى سرقة فأخذ أحمد يتربص الفرص للتكيل بأخيه وسنحت الفرصة لينتقم أحمد المقتدر من أخيه يوسف وذلك عندما داهمت المجاعة مدينة تطيلة فاستغاث أهلها بيوسف وطلبت المؤن فدعا أهل الثغور إلى جمع الأطعمة والمؤن فاجتمع منها قدر عظيم فرأى يوسف أنه لا يستطيع إرسال هذه الإمداد إلى تطيلة عن طريق سرقة خوفاً من غدر أخيه، ففاوض غرسية ملك الناغار وبعث إليه أموالاً لكي يسمح بمرور هذه المؤن عبر أراضيه إلى تطيلة، فوافق الملك الأسباني فلما علم أحمد المقتدر بالأمر بعث سراً إلى غرسية يبذل له ضعف أموال أخيه مقابل أن يفتك بقوافل المؤن حين مرورها بأرضه فاستجاب غرسية لذلك، وبالفعل استطاعت قوات أحمد المقتدر الفتك بالقافلة وأبيد معظم رجالها، وترك تطيلة تعاني أزمته بسبب النزاع بين الأخوين وطبيعة أخلاق ملك الناغار^(٢).

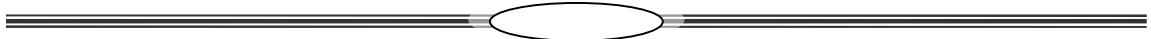
ومن الآثار المترتبة على أزمة تطيلة، أن ضعف أمر يوسف وتوطد سلطان أحمد وقويت شوكته فاسترد كافة القواعد التي كانت تحت يده.

وإلى جانب ذلك تمكن المقتدر من توسيع مملكته وذلك بالاستيلاء على ثغر طرطوشة سنة ٤٥٢ هـ - ٦٠٠ م منهيماً بذلك حكم الصقالبة^(٣).

(١) ابن عذاري: البيان، ص(٢٢٢/٣).

(٢) ابن عذاري: مصدر سابق، ص(٢٢٣/٣-٢٢٤).

(٣) اضطربت الأمور في طرطوشة ولم يتمكن الفتى نبيل أحد قتيان الصقالبة من تدارك الأمور فاستغل المقتدر الفرصة وزحف لاحتلالها، واضطر نبيل الصقلبي إلى تسليم المدينة دن قتال، وثر طرطوشة من المناطق المهمة لأنه مخرج سرقة إلى البحر، إذا استثنينا ثغر طركونه الواقع على حدود إمارة برشلونة وكان من أعمال لارده، ابن عذاري: المصدر السابق، ص(٢٥٠/٣)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٧٣-٢٧٤).



وتمكن المقتدر في عملية التوسع العسكري من بسط نفوذه أيضاً على دانية، وأسقط حكومة علي بن مجاهد بعد قتال طويل، واضطر علي إلى تسليم المدينة والخروج منها حيث سار إلى سرقسطة فمنحه المقتدر إقطاعاً يعيش عليه^(١).

وبعد أن تمكن المقتدر من الاستيلاء على دانية أخذ يتطلع إلى مملكة بلنسية والتدخل في شؤونها فقد قال أحد المؤرخين في هذا الصدد [وأن ابن هود لما حصل على دانية أنفسد طبعه، وأدركته الرغبة في البلاد وزال عما كان عليه من جهاد الروم وطمع في بلنسية عند ذلك]^(٢) حيث توجه ملك بلنسية (أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز) من طمع المقتدر فخاطب الفونسو السادس ملك قشتالة وانضوى تحت حمايته وتعهد له بأداء الجزية^(٣).

كما تميز عصر المقتدر بن هود ٤٣٨-٤٧٤ هـ، ١٠٤٦-١٠٨١ م بسلسلة من الوقائع التي اضطرت بينه وبين الممالك الأسبانية المجاورة، وكان وقوع مملكة سرقسطة بين الممالك الأسبانية الثلاث (أرغون- الناغار- قشتالة) يعرضها دائماً لهجمات هذه الممالك وكنتيجة لهذا الأمر عمل بنو هود على الاستعانة من وقت لآخر بهذه الممالك ودّعنوا لها وفقاً لمختلف الظروف والأحوال^(٤).

ففي عام ٤٥٢ هـ- ١٠٦٠ م زحف الملك فرناندو الأول ملك قشتالة بقواته على حدود مملكة سرقسطة الجنوبية الغربية وسيطر على (حصن غرماج) وبعض الحصون الأخرى، فاضطر المقتدر أن يذعن لهم ويدفع الجزية، وذلك من أجل الحفاظ على أراضيهِ^(٥). وفي الوقت نفسه كان المقتدر يستمد العون من جيرانه

(١) ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٢٤٨/٢)، ابن عذاري: البيان المغرب، ص(٢٢٨/٣).

(٢) ابن زيري: الأمير عبدالله بن بلقين: مذكرات الأمير عبدالله المسماه بكتاب التبيان، نشره ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥ م، ص(٧٨).

(٣) ابن بسام: الذخيرة ق ٣، ص(٣٥-٣٤/٥).

(٤) عنان: دول الطوائف، ص(٢٨٠).

(٥) ابن عذاري: البيان، ص(٢٢٨/٣-٢٢٩).

الأسبان في مشاريعه العسكرية وقد يستمد عون أحدهما على الآخر، ففي عام ٤٥٥هـ- ١٠٦٣م هاجم راميرو الأول ملك أرغون أراضي مملكة سرقسطة، فاستعان المقتدر بملك قشتالة فرناندو الأول، فبعث إليه ولده سانشو في بعض قواته، برفقة القائد (القمبيطور)^(١).

فدارت رحى الحرب عند أسوار (جرادوس) انهزم فيها راميرو الأول وقتل، وقد أثار مقتله الشعور النصراني ضد مسلمي الثغر الأعلى وكان من نتائج ذلك مأساة بربشتر عام ٤٥٦هـ- ١٠٦٤م^(٢).

(١) السيد (ELcid) هو فارس قشتالي واسمه الأصلي رود بيمودياث (Rodrigo Diaz) أما تلقبه بالسيد فهو تحريف لكلمة (السيد) العربية، وقد أطلقها عليه المسلمون الذين كان يخدم بينهم ويحارب معهم. انظر: عنان: دول الطوائف، ص(١٣٢-١٣٣).

(٢) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص(٧٥) هامش (٤).

﴿ مأساة بربشتر (Barbastro) ﴾^(١):

سجلت لنا صفحات التاريخ أعظم حادث نزل بالمسلمين في عصر ملوك الطوائف وخاصة في عصر المقتدر بن هود، هو غزو النورمانديون- النورمان لمدينة بربشتر سنة ٤٥٦هـ-١٠٦٣م.

وقد أمدتنا المصادر الإسلامية بتفاصيل مهمة عن هذه الحادثة: « أن الفرنج خرجوا من الأرض الكبيرة (أي فرنسا) إلى الأندلس في جموع كبيرة ليس لها حد ولا يحصى لها عدداً إلا الله، وانتشروا على ثغور سرقسطة»^(٢).

« وقد غزاها على غرة وقلة عدد من أهلها وعدة من أهل غاليش (جنوب فرنسا) والروذمانون^(٣) وكان عليهم رئيس يسمى «البيطين»^(٤).

« وخرج من أقصى بلاد الروم جيش عظيم ووصل إلى صاحب قشتالة

(١) تقع مدينة بربشتر بين لا ردة ووشقة على بعد ستين كيلو متر شمال شرق سرقسطة، وهي من أمهات مدن الثغر الأعلى الفائقة في الحصانة والامتناع. انظر: البكري: جغرافية الأندلس وأوربا، ص(٩٣/١)، الحميري: الروض المعطار، ص(٩٠).

(٢) مؤلف مجهول: الحلل الموشية، تحقيق سهيل زكار -عبدالقادر زمامة، دار الرشاد، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص(٧٦).

(٣) الروذمانون: هم الأردمانيون: المجوس -ويطلق عليهم الآن النورمان، هم سكان الدول الاسكندنافية ويسمون أيضاً (الفينج-AL-viking) أي سكان الخلجان، وفي بداية القرن الرابع الهجري- سكن بعضهم -بعد أن اعتنقوا النصرانية- مقاطعة نورماندي- في شمال غربي فرنسا، وذلك بموافقة شارل الثالث بعد حروب ومفاوضات طويلة، وقد غزا إيطاليا واتصلوا بالبابوية التي شجعتهم على قتال المسلمين في الأندلس فخرجت الحملة التي سيطرت على مدينة بربشتر. انظر: ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبدالرحمن الحجي، ص(٢٤٩-٢٥٠)، ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٢٤٧/٢) الهامش (٢).

(٤) البكري: جغرافية الأندلس وأوربا، ص(٩٣)، الحميري: الروض المعطار، ص(٩٠).

وهي دار ملكهم وبها كان البيطيين ملكهم»^(١) .

وهناك اختلاف حول شخصية قائد هذه الحملة الذي ورد اسمه في المصادر الإسلامية باسم (البيطيين- البيطيين- ألبطش)^(٢) وقد رجحت بعض المصادر الأوروبية أن قائد الحملة هو الكونت (بلدوين دي فلاندرس) (EL conde Balduino de Flandes) الذي كان وصياً على فيليب الأول ملك فرنسا وأن قواد الفرق التي عملت تحت قيادته في هذه الحملة هم:

١- جيوم دي منتروي (Guillaume de montreuil) حامل شعار البابويه الذي أرسله البابا على رأس فرقة من الفرسان الإيطاليين.

٢- سانشوراميرث (Sancho Ramirez) ملك أرغون الذي خلف أباه المقتول راميرو الأول.

٣- الكونت أورخيل (Conde urqel) ابن أخي ملك أرغون وقائد جيوش قطلونية.

٤- البارون روبرت كرسبين (Robery Crespin) قائد جيوش جنوب فرنسا مثل ولايتي نورمانديا واكيتانيا.

٥- جي جيوفروا (Gui Geoffroi) قائد جيوش بواتية وبوردو^(٣).

وقد اشتهر باسم (بغدوين) فمن المحتمل أن نفس هذا الاسم قد عرفه الأندلسيون في المغرب العربي وحرفوه إلى بيطين^(٤).

وعلى الرغم من أن هذه الحملة كانت فرنسية نورمانديه إلا أنها اتصفت

(١) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص(٦٩).

(٢) البكري: جغرافية الأندلس، ص(٩٣)، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص(٦٩) الهامش (٢)، الحميري: الروض المعطار، ص(٩٠).

(٣) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس (ص ٦٩-٧٠-٧١) الهامش (٢).

(٤) ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص(٧٠) الهامش .

بالبطابع الصليبي حيث بشر بها البابا (إسكندر الثاني) في إيطاليا وأسبانيا وفرنسا^(١).

وكان الهدف منها هو إنقاذ مملكتي أرغون ونافار في شمال أسبانيا من الخطر الإسلامي بمنطقة الثغر الأعلى ولاسيما بعد كارثة (جرادوس) التي قتل فيها ملك أرغون راميرو الأول سنة ٤٥٥هـ- ١٠٦٣، على يد المقتدر بن هود ملك سر سطة^(٢).

سار الجيش الأوربي المؤلف من نحو (عشرة آلاف)^(٣) فارس من فرنسا إلى منطقة قطلونية تحميه من الخلف مملكة برشلونة الأسبانية^(٤) وقصد أولاً مدينة وشقة فحاصرها أياماً فلم يفتح الجيش المشترك من دخولها، فسار شرقاً إلى مدينة بربشتر وضرب حولها الحصار في أوائل عام ٤٥٦هـ- ١٠٦٣م^(٥). أيبادر المقتدر بن هود إلى إنجاد المدينة لأنها من أعمال أخيه يوسف المظفر، ولم يستطع يوسف إنجادها أيضاً، فتركت المدينة لمصيرها واستمر حولها الحصار أربعين يوماً، وأهلها صامدون داخل مدينتهم الحصينة، وكانت حاميتها تجاهد الأعداء والحرب سجلاً بين الطرفين إلى أن اشتد الضيق بالمدينة المحصورة، فكانت مأساتها عندما اهتدى الأعداء إلى مجرى الماء الذي يروي المدينة فسدوه بصخرة كبيرة وهدموه وانقطع الماء عن المدينة وإزاء شدة الظمأ وشدة الحصار طلب أهل المدينة الأمان، إلا أن الأعداء رفضوا ذلك وواصلوا هجومهم فدخلوا المدينة عنوة وأمعنوا في أهلها قتلاً وسبياً (وكان الخطب في هذه النازلة أعظم من أن يوصف

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ص(٢١٧).

(٢) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس ص(٧٠) الهامش.

(٣) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص(٩٤)، حيث يجعل العدو (٤٠ ألف فارس).

(٤) عنان: دول الطوائف، ص(٢٧٥).

(٥) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، ص(١٣٨/٥)، ابن عذاري: البيان، ص(٢٢٥/٣).

أو يتقصى^(١).

وتصف لنا المصادر الإسلامية الجرائم التي ارتكبتها الأعداء عند دخولهم المدينة المنكوبة، حيث أعملوا السيف في رقاب أهلها وانتهكوا الحرمات أمام الناس علناً، وتخيّر قواد الأعداء أجمل النساء والبنات وأخذوهن سبايا إلى بلادهم وهدايا لملوكهم^(٢).

وبعد أن سيطر الأعداء على بربشتر غادروها تاركين لحمايتها (ألف فارس وأربعة آلاف من الرجال) وقيل (ألف وخمسمائة من الفرسان وألفين من الرجال) كما استقدموا إليها الكثير من النصارى وأسكنوهم فيها^(٣).

وكان لهذه النكبة صدى مؤثر في سائر أنحاء الأندلس، واهتز لها الأمراء وفي مقدمتهم المقتدر بن هود لما لحقه من لوم المسلمين وأخذهم عليه التقصير في الدفاع عن المدينة لذلك عزم على استردادها، حيث استنفر الناس للجهاد في سبيل الله واجتمع من مختلف أنحاء الأندلس عدد غفير من المجاهدين ساروا إلى الثغر الأعلى لرفع راية الإسلام وتمنية النفوس بالاستشهاد في سبيل الله وطلب العون من المعتضد بن عباد ملك إشبيلية فبعث له قوة مكونة من خمسمائة فارس بقيادة

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، ص(١٣٣/٥)، ابن عذاري: البيان، ص(٢٢٥/٣)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٧٦-٢٧٥).

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع: البكري جغرافية الأندلس وأوروبا، ص(٩٤)، ابن الأبار: الحلة لسيراء، ص(٢٤٧/٢) الهامش، ابن بسام: الذخيرة، ق٣، ص(١٣٩/٥-١٤١)، ابن عذاري: البيان، ص(٢٢٦/٣)، الحميري: الروض المعطار، ص(٩٠).

(٣) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، ص(١٤١/٥)، ابن عذاري: البيان، ص(٢٢٦/٣)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٧٨) (أصبحت بربشتر تحت حكم ملك أرغون (سانشور راميرث) بعد رحيل الغزاة، والذي بدوره ترك فيها حامية بقيادة ابن أخيه الكونت أورخل) انظر: ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص(٧٠) الهامش .

(معاذ بن أبي قررة) (١).

سار المقتدر بجموع المجاهدين صوب بربشتر وضرب حولها الحصار في جمادي الأولى عام ٤٥٧ هـ - ١٠٦٥ م، واستبسل المسلمون في استرجاع المدينة المنكوبة، وقد أفلحوا في ذلك بعد ثقب أسوارها فغادرها الأسبان مهزومين ونشبت بين الطرفين معركة شديدة مزق فيها الأسبان وهلك معظمهم، وأسر من كان بالمدينة من أهلهم وحملوا سبايا إلى سرقسطة خمسة آلاف، كما غنم المسلمون ألف فارس وسلاحاً وأموالاً كثيرة، وكان استرداد بربشتر في ٨ جمادى الأولى عام ٤٥٧ هـ - ١٠٦٥ م (٢)، بعد أن دام احتلالها والعيث فيها تسعة أشهر، وعلى أثر هذا الانتصار تلقب أحمد بن هود «بالمقتدر بالله» (٣).

وبذلك تمكن المسلمون من استرجاع مدينة بربشتر: «.... وغسلوها من رجس الشرك وجلوها من صدا الإفاك» (٤).

وفي نفس العام الذي استرد فيه المقتدر مدينة بربشتر - ٤٥٧ هـ - ١٠٦٥ م، توفي فرناندو الأول وخلفه ابنه (شانجه) في ملك قشتالة وفي حقوق الجزية على مملكة سرقسطة، وحاول الملك الجديد أن يتدخل في شؤون مملكة سرقسطة وبعث إليها قواته في عام ٤٥٩ هـ - ١٠٦٧ م وحاصرها للحصول على الجزية المطلوبة،

(١) ابن الكردبوس: مصدر سابق، ص (٧٣).

(٢) حاول المستشرق دوزي أن يقلل من أهمية هذا الانتصار الذي حققه المسلمون باسترجاعهم مدينة بربشتر حين وصف الحامية الصليبية التي بقيت في المدينة بعد سيطرتها عليها بالضعف، فكان ذلك سبباً في انتصارهم، بينما ذكر ابن بسام وابن عذاري العدد الكبير لتلك الحامية مما يدل على قوتها. انظر: ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، ص (١٤١/٥)، ابن عذاري: البيان، ص (٢٢٦/٣)، دوزي: ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م، ص (١٧٨).

(٣) الحميري: الروض المعطار، ص (٩١)، مؤلف مجهول: الحلال الموشية، ص (٧٦).

(٤) ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، ص (١٤٥/٥)، ابن عذاري: البيان، ص (٢٢٧/٣).



وكان يقود الجيش القشتالي (القمبيطور) فاضطر المقتدر أن يبعث إليه مقادير كبيرة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة، والأقمشة الفاخرة التي وزعها القائد القشتالي بدوره على أتباعه وبذلك رفع الحصار عن سرقسطة^(١).

لقد كان لخضوع المقتدر لملك قشتالة ودفع الجزية له أثر سيء على شعب مملكته فقد حاول أحد العلماء أن يعظ المقتدر ويذكره بأمر الشرع الإسلامي وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وعدم دفع الجزية للأسبان، فاستشاط المقتدر غضباً وأمر بقتله^(٢).

وكان الفقيه أبو بكر الطرطوشي الذي عاش في ظل مملكة بني هود قد انتقد السياسة المالية لحكام دويلات الطوائف وعدها من أسباب خسارة المسلمين وضياع بلادهم^(٣).

(١) ابن عذاري: المصدر السابق، ص(٢٢٩/٣)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٨٠).

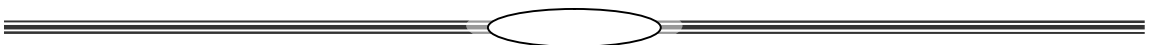
(٢) ابن عذاري: البيان، ص(٢٢٩/٣)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٧١).

(٣) انظر: الطرطوشي: سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، تقديم شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص(٦٨٥)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٩٣).

وأبو بكر الطرطوشي هو محمد بن الوليد القرشي الفهري الأندلسي المالكي المعروف بابن أبي رندقه، صحب القاضي أبا الوليد الباجي بسرقسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف وتفقه عليه وسمع منه وأجاز له وخرج من الأندلس إلى المشرق سنة ٤٧٦ هـ - ١٠٨٣ م، ثم استقر في مصر وقضى فيها بقية حياته وله عدة مؤلفات منها سراج الملوك وهو من أشهر الكتب وبدع الأمور ومحدثاتها، وكتاب بر الوالدين ومختصر تفسير الثعالبي والكتاب الكبير في مسائل الخلاف وغيرها. وكانت ولادته عام ٤٥١ هـ - ١٠٥٩ م، وتوفي بالإسكندرية عام ٥٢٠ هـ - ١١٢٦ م.

انظر: ابن بشكوال: خلف بن عبدالمك: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تصحيح السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص(٥٤٥/٢)، ابن فرحون: إبراهيم بن علي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ص(٢٥٥/٢-٢٦٦)، ابن عماد: عبدالحى ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الآفاق بيروت، ص(٦٢/٤).

=



وعندما تربع على عرش قشتالة الفونسو السادس بعد مقتل أخيه (شانجه) عاد يطالب مملكة سرقسطة بالجزية التي كانت لأخيه، وفي نفس الوقت كان يطالب بها أيضاً (سانشوراميرث) ملك أرغون وناقار، وكان المقتدر يؤدي الجزية من قبل إلى سانشوراميرث ملك الناغار ويستعين به في محاربة أخيه يوسف المظفر بجنود الناغار والقطلان، واستمرت بينهما المعارك حتى انتهت بهزيمة يوسف وأسرته وذلك عام ٤٧٢هـ-١٠٧٩م، وسجن المقتدر أخاه يوسف في حصن منتشون^(١).

وعندما عجز المقتدر بن هود عن إرضاء ملوك الأسيان المطالبين بالجزية، استعان بخدمات القمبيطور، وكان آنذاك قد ساءت العلاقة بين الفونسو السادس وقائده فأقصاه عن بلاطة في عام ٤٧٤هـ-١٠٨١م، والذي عرض خدماته على ملك سرقسطة فرحب به المقتدر، وكان المقتدر أول من أولاه رعايته واستخدمه من الملوك المسلمين^(٢).

ومما هو جدير بالذكر أن وقوع مملكة سرقسطة بين الممالك الأسبانية من ناحية وخضوع المقتدر بن هود لملوك الأسيان ودفع الجزية لهم، واستعانتهم بخدمات القمبيطور من ناحية أخرى جعل ملوك بني هود يتبعون سياسة التسامح الديني مع النصراني في منطقة الثغر الأعلى، وقد شجع هذا التسامح راهباً فرنسياً

= (٦٤)، المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين الحكومة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، ص(٣/١٦٢-١٦٣)، ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٤١م(٤/٢٦٢-٢٦٤)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٩٥).

(١) عنان: المرجع السابق، ص(٢٨٠-٢٨١).

(٢) عنان: ملوك الطوائف، ص(٢٨١)، ستانلي لين بول: قصة العرب في اسبانيا، ترجمة علي الجارم، دار المعارف، ١٩٥٧م، ص(١٧٧).

أن يكتب رسالة إلى المقتدر بن هود يدعوهُ إلى اعتناق النصرانية^(١) وبعثها مع راهبين من زملائه ليوضحا للمقتدر تعاليم الدين المسيحي ومزاياه فاستقبل المقتدر الرسولين برفق وكياسة وعهد إلى الفقيه (أبي الوليد الباجي) الرد على الراهب ففند ما جاء في الرسالة من المزاعم والأباطيل وفي مقدمتها ما يؤمن به النصارى حول ألوهية المسيح ثم أعقب أبو الوليد ذلك بشرح تعاليم الإسلام، ودعا الراهب إلى اعتناق الإسلام وبين له معجزة القرآن الكريم وروعته ودلّل بجدارة على سماحة تعاليم الدين الإسلامي^(٢).

وقد غدت مملكة سرقسطة في عهد المقتدر بن هود من أعظم ممالك الطوائف رقعة كما أن المقتدر بن هود من أعظم ملوك الطوائف، ويصفه الحجاري في المسهب بأنه «عميد بني هود وعظيمهم، ورئيسهم وكريمهم»^(٣) وكان فضلاً عن مقدراته السياسية والعسكرية يتمتع بكثير من الخلال البديعة، وكان بلاطه من أعظم قصور الطوائف وأفخمها، وكان يحيط نفسه بطائفة من أشهر العلماء والكتاب في عصره بل كان المقتدر نفسه من علماء عصره^(٤).

وتوفي المقتدر بن هود عام ٤٧٤هـ - ١٠٨١م^(٥) وقد وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه والده من قبل، فقد قسم مملكته بين ولديه فخص ولده الأكبر (يوسف المؤتمن) سرقسطة وأعمالها، وخص ولده الأصغر (المنذر) بشرقي الإمارة

(١) وذلك مصداقاً لقوله تعالى: (أب ب ب ب ب ب ب ب ب ب) [البقرة: ١٢٠].

(٢) ورد نص الرسالة والرد عليها كاملاً عند الشرقاوي، انظر: تحقيق رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، دراسة وتحقيق محمد عبدالله الشرقاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الإرادة العامة للطبع والترجمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص(٤٣٦/٢).

(٤) عنان: دول الطوائف، ص(٢٨٢-٢٨٣).

(٥) ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٢٤٨/٢).

لارده وطرطوشة ودانيه) فكان لذلك أكبر الأثر في قيام حرب أهلية بين الأخوين اللذين استعانا في قتالهما بالنصارى، وكان يقاتل في صف المؤتمن الفارس القشتالي القمبيطور في حين استعان المنذر بملكي أرغون وبرشلونة^(١).

ووقعت أول معركة بين الأخوين عند قلعة المنار قرب لارده، وكان المؤتمن قد حصن هذه القلعة وشحنها بالرجال، فلما شعر أخوه المنذر بخطر هذه القلعة على أملاكه سار بقوات مشتركة من حلفائه ملك برشلونة وبعض صغار الأمراء الإفرنج في شمالي قطلونية، وحاصروا القلعة فتصدى المؤتمن بمعاونة قوات القمبيطور لقوات أخيه وحلفائه، ووقعت بين الطرفين معركة انهزم فيها المنذر وأسر ملك برشلونة وذلك عام ٤٧٥هـ-١٠٨٢م^(٢).

ومن آثار هذه الموقعة علو مكانة القمبيطور في بلاط سرقسطة، كما أطلق عليه المسلمون لقب (السيد) لأنه كان يقود جنداً من المسلمين^(٣).

وفي نفس الوقت حاول يوسف المظفر سجين منتشون التحرر من سجنه والعودة إلى الحكم بالتعاون مع حاكم قلعة روطة فأرسل حاكم قلعة روطة إلى الفونسو يطلب عونه ويعده بتسليم القلعة، فسار الفونسو إلى روطة في بعض قواته، وصادف أن توفي المظفر فجأة، فعدل حاكم القلعة عن مشروعه، فما كان من الفونسو إلا أن بعث بعض قواته برئاسة (الإنفانت راميرو- أمير الناغار) لتسليم القلعة، وما كادوا يدخلون القلعة حتى انهال عليهم وابل من الصخور فقتلوا

(١) الحجى: تاريخ الأندلس، ص(٣٥٦).

(٢) أرسلان: الحلل السندسية، ص(٥٣/٣)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٨٥).

(٣) (السيد) وقد عرفها الأسبان بجملة (Mio Cid) ثم استغنوا عن لفظه (Mio) فبقيت سيد وحدها، فصار هذا لقبه، انظر: أرسلان الحلل السندسية، ص(٥/٣)، حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مجلة كلية الآداب، مطبعة فؤاد الأول، المجلد الحادي عشر، الجزء الثاني، ديسمبر ١٩٤٩، ص(١٠٢).

جميعاً فاستشاط الفونسو غضباً وعاد مخذولاً وهو مصمم على الانتقام^(١).

وكان القمبيطور وقتذاك في منطقة تطيله غربي سرقسطة، فلما علم بهذا الحادث هرع بقواته إلى الفونسو يقدم عزاءه ويلتمس العفو والسماح بالعودة إلى خدمته، فعفا عنه وسار معه إلى قشتالة، ولكن لم يطل به المقام، حيث رجعت الهواجس القديمة للفونسو تجاه قائده فغادر القمبيطور قشتالة وعاد إلى سرقسطة مستشاراً في بلاط المؤتمن الذي أحسن استقباله^(٢).

تعاون القمبيطور والمؤتمن معاً في محاربة مملكة أرغون، فخرجا بقواتها وعائثا في أراضيها، ثم رجعا إلى حصن منتشون، فما كان من ملك أرغون (سانشوراميرث) إلا ان رد على هذه الغارة باستيلائه على (حصن جرادوس) وغيره من حصون الحدود وذلك في عام ٤٧٦هـ-١٠٨٣م، ومن الجانب الآخر تحالف المنذر أخو المؤتمن مع ملك أرغون وسارت قواتهما لمحاربة القمبيطور، والتقى الطرفان في أحواز (موريلا على مقربة من طرطوشة) فهزم المنذر وحليفه ملك أرغون، واستولى القمبيطور على ما في معسكرهما من متاع وعلى كثير من الأسرى^(٣).

وبذلك علا شأن القمبيطور في بلاط سرقسطة، وغدا جيشه الصغير قوة يحسب حسابها، بل غدا كأنه يفرض بمساعداته هذه على سرقسطة نوعاً من الحماية، وكان ملك سرقسطة المؤتمن لا يبرم أمراً من أعمال الحرب والسياسة دون مشورته، فكان العقل المدبر واليد الفعالة لديه^(٤).

(١) عنان: دول الطوائف، ص(٢٨٥).

(٢) عنان: المرجع نفسه، ص(٢٨٥).

(٣) عنان: مرجع سابق، ص(٢٨٥-٢٨٦)، لين بول: قصة العرب في اسبانيا، ص(١٨١-١٨٢).

(٤) عنان: دول الطوائف، ص(٢٨٦)، إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين، دار الشروق، عمان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص(١٤).

ونظراً لهذه المكانة التي وصل إليها القمبيطور في بلاط سرقسطة ، فقد هاجم ابن بسام بنى هود وحملهم مسؤولية بغيه وبطشه في بلاد الأندلس^(١).

كما كان المؤتمن يتطلع إلى امتلاك بلنسية لأهمية موقعها ووفرة خيراتها، فخاطب بدوره الفونسو السادس، ودفع إليه مائة ألف دينار ليعاونه في السيطرة على بلنسية، وبالفعل زحف ملك قشتالة إلى بلنسية، فخرج إليه ملكها أبو بكر وخاطبه برقة ولباقة وأقنعه بالرجوع فأنصرف الفونسو ووعد بحمايته، وبذلك فشلت محاولة المؤتمن^(٢)، إلا أن أبا بكر التمس حماية المؤتمن، وقدم ابنته عروساً لابنه أحمد المستعين واحتفل بعقد هذا الزواج بسرقسطة في حفل كبير كان مضرب الأمثال في البذخ والبهاء في رمضان ٤٧٧ هـ - ١٠٨٥ م^(٣).

وفي العام التالي ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م، توفي المؤتمن فخلفه في حكم سرقسطة ولده أحمد وتلقب بالمستعين^(٤) بينما بقي الشق الآخر من المملكة بيد عمه المنذر.

وتزامن حكم المستعين مع حادث خطير في مملكة طليطلة كان نذيراً لما أصاب الأندلس بعد ذلك من محن وخطوب، وهو استيلاء الفونسو السادس على طليطلة عام ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م^(٥)، فكانت أول قاعدة أندلسية انهارت من صرح

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، ص (٧٣/٥-٧٤)، أسلان: الحل، ص (٧٥/٣).

(٢) عنان: دول الطوائف، ص (٢٢٦)، كان لفونسو ملك قشتالة معجباً بخلال أبي بكر بن عبدالعزيز ملك بلنسية فكان يقول في مختلف المناسبات رجال الأندلس ثلاثة: أبو بكر بن عبدالعزيز، وأبو بكر بن عمار وششاندته) انظر: ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، ص (٣٦/٥).

(٣) عنان: دول الطوائف، ص (٢٢٦).

(٤) ابن الأبار: الحلة السيرة، ص (١٤٧/٢) الهامش.

(٥) إن احتلال الأسبان لمملكة طليطلة قلب الأندلس كان معناه شطر بلاد المسلمين إلى شطرين وتمزيق شملهم وقد عبر عن ذلك أصدق تعبير الشاعر الطليطلي أبو محمد عبدالله بن فرج ابن عزنون اليحصبي المعروف بابن العسال بقوله:

الإسلام بالأندلس وبعد سقوط طليطلة في أيدي النصارى^(١) أخذ الفونسو يتطلع إلى الاستيلاء على سرقسطة حيث حاصرها وأقسم أن لن يبرحها حتى تؤول إليه أويموت، فحاول المستعين أن يرده عن عزمه، وعرض عليه أموالاً جلييلة فرفض الفونسو ذلك وأصر على أخذ المدينة، ولم ينقذها منه إلا أن شاعت الأنباء بنزول المرابطين أرض الأندلس فاضطر الفونسو إلى رفع الحصار عن سرقسطة^(٢).

ثم كانت وقعة الزلاقة المشهورة ١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـ- ٢٣ أكتوبر ١٠٨٦ م حيث نجح المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين من الإيقاع بقوات القشتاليين وحلفائهم من دول أسبانيا المسيحية^(٣).

وأخذ المستعين بعد ذلك يتطلع إلى الاستيلاء على بلنسية منافساً في ذلك عمه المنذر، صاحب لا رده وطرطوشة الذي كان يتحين الفرصة للاستيلاء على بلنسية حيث أحكم الحصار حول بلنسية سنة ٤٨١ هـ- ١٠٨٧ م^(٤).

= شذوا رواحكهم يا أهل أندلس فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص(٢٧/٥).

(١) ابن أبي زرع: علي بن عبدالله: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢ م، ص(١٤٣-١٤٤)، ولتفاصيل أكثر عن سقوط طليطلة انظر: ابن بسام: الذخيرة، ق٤، ص(١١٦/٧-١١٩)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٨١)، ابن خلدون: العبر، ص(١٦١/٤)، المقرئ: نفح الطيب، ص(٤٤١/١).

(٢) عنان: دول الطوائف، ص(٢٨٧).

(٣) لمزيد من التفاصيل عن معركة الزلاقة انظر: عبدالله بن بلقين: التبيان، ص(١٠٤-١٠٥)، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص(٩٣-٩٥)، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص(١١٧/٧)، الحميري: الروض المعطار، ص(٢٨٧-٢٩٢)، عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢ م، ص(٦٣٧-٦٤٢)، العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص(٣٠٩-٣١٠)، عنان: دول الطوائف، ص(٣٢٠-٣٣٤).

(٤) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص(٩٨)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٢٩).

وكان للمنذر داخل المدينة أنصار يؤيدونه ويرجون أن يوفق في اقتحامها طمعاً في تغيير الأوضاع السيئة بداخلها ولما عجز يحي القادر صاحب بلنسية على الصمود أو شك على التسليم لولا أن نصحه ابن طاهر (صاحب مرسيه السابق) بمواصلة الصمود فتشجع بعض الشيء، فأرسل إلى الفونسو السادس ملك قشتالة يستحثه على إنجاده كما أرسل إلى المستعين يستنهضه لانقاذه^(١) وكان المستعين نفسه يطمع في ضم بلنسية إلى مملكته لاسيما أنه كان يسانده فيها حزب موال له من بين أهدافه الانضواء تحت لواء مملكة سرقسطة استناداً إلى المصاهرة القائمة بينه وبين أبي بكر بن عبدالعزيز (صاحب بلنسية السابق) وعلى هذا النحو لم يتردد لحظة واحدة في تلبية نداء القادر وبادر بالسير بقواته نحو بلنسية وبصحبه حليفة السيد القمبيطور وجنده المرتزقة عام ٤٨١هـ - ١٠٨٧م، ويشير ابن الكردبوس إلى هذا الحدث بقوله: « وخرج الحاجب منذر بن أحمد بن هود من لا رده ونزل على بلنسية وحصرها طامعاً في أخذها من يد القادر فلما سمع به ابن أخيه استنصر بالقمبيطور وخرج معه في أربعمئة فارس والقمبيطور في ثلاثة آلاف فارس، وغزا معه بنفسه حرصاً منه على تملك بلنسية على أن للقمبيطور أموالها وللمستعين جفنها »^(٢). وعندما علم المنذر بإقبال ابن أخيه المستعين وحليفة القمبيطور في قواتهما لاستنقاذ بلنسية أيقن فشل محاولته وقرر الانسحاب، وقبل أن ينسحب بعث إلى القادر يعتذر لما بدر منه نحو بلده وعرض عليه استعداداً للتحالف معه ومعاونته ضد المستعين فقبل القادر ما عرضه عليه، وفي نفس الوقت أرسل القادر إلى السيد القمبيطور مبعوثاً سرياً يستميله إليه وذلك عندما اقترب السيد من بلنسية وبعث إليه الهدايا والتحف بهدف محالفته^(٣).

ولم يلبث المستعين أن وصل بقواته إلى بلنسية وبصحبه السيد القمبيطور

(١) عنان: مرجع سابق، ص(٢٢٩-٢٣٠).

(٢) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص(٩٨)، (جفن المدينة أي ذاتها).

(٣) عنان: دول الطوائف، ص(٢٣٥-٢٣٦).

وقواته المرتزقة، فبادر القادر إلى الترحيب بهما وشكرهما على مسارعتهما لنجدته وإغاثته، ثم دعاهما للنزول في قصره الواقع في ربض بلنسية، ونكت السيد الاتفاق القائم بينه وبين المستعين، بحجة أن القادر صاحب بلنسية يتمتع بحماية الفونسو السادس ملك قشتالة ويؤدي له الجزية، وأن الهجوم على بلنسية لذلك السبب يعتبر عملاً عدائياً ضد سيده ملك قشتالة^(١).

وبذلك أدرك المستعين غدر السيد ونفاقه، وانصرف إلى مصدر آخر للعون والتأييد فاتجه إلى محالفة رامون برنجير كونت برشلونة - Ramon Beren queril وكان من ألد أعداء السيد، وقدم المستعين إلى الكونت أموالاً جزيلة وبعثه إلى محاصرة بلنسية ولكن فشلت هذه المحاولة أيضاً^(٢).

وهكذا تخلصت بلنسية من خطر المنذر بن هود صاحب لا رده وطرطوشة، ثم من خطر ابن أخيه المستعين صاحب سرقسطة، لتقع أخيراً تحت سيطرة السيد القمبيطور وجنده المرتزقة عام ٤٨٧هـ - ١٠٩٤م.

وبعد أن فشلت محاولات المستعين في الاستيلاء على بلنسية، واجه المستعين خطراً لا يقل عن خطر نصارى قشتالة، فقد بدأ شانجه راميرز ملك أرغون بالاستيلاء على منتشون في سنة ٤٨١هـ - ١٠٨٩م، واضطر المستعين عندئذ أن ينضوي تحت حماية الفونسو السادس ملك قشتالة وأن يدفع له الجزية التي كان قد أباهها من قبل^(٣) ثم زحف شانجه ملك أرغون إلى مدينة وشقة وهي ثاني مدينة في مملكة سرقسطة، وجناح سرقسطة الدفاعي ودرعها من الشمال^(٤)، فضرب حولها الحصار لكنه مات وهو محاصرٌ لها عام ٤٨٧هـ - ١٠٩٤م،

(١) عنان: مرجع سابق، ص(٢٣٧).

(٢) عنان: مرجع سابق، ص(٢٨٨).

(٣) عنان: مرجع سابق، ص(٢٨٨).

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٧٢).

واستمر في متابعة الحصار ابنه (بدر و الأول) وقد دافع المستعين عن وشقة دفاعاً جيداً دون جدوى حيث طلب المستعين مساعدة المرابطين على دفع النصارى، ومن ثم فقد أرسل المستعين ابنه عبدالملك إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بالمغرب ومعه هدية جلييلة، فاستجابوا له وبعثوا إليه بقوة تتألف من ألف فارس وستة آلاف راجل من المرابطين^(١)، ولم ير المستعين في نفس الوقت بأساً من الاستعانة بملك قشتالة، فأمدته بفرقة من الجند النصارى، وقد صمدت وشقة مدة طويلة حتى دارت معركة عنيفة بين المستعين وملك أرغون وهي معركة (الكراز) AL coras الواقعة على مقربة من وشقة، وانتهت بهزيمة المستعين وحلفائه القشتالين^(٢).

ويصف لنا ابن الخطيب معركة الكراز وسقوط مدينة وشقة حيث يقول: «وفي سنة ٤٨٩ هـ - ١٠٩٥ م، نازل العدو مدينة وشقة من عمالة المستعين، وضيّقوا بها وحشد المستعين جيوشاً من المسلمين، وحمل إليها الميرة، والتقى الفريقان، ووقعت الحروب من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، حتى كادت تأتي على الفريقين وترك ابن هود المصاف على حاله، وقصد مضربة لما ساء ظنه بيوم الكريهة، فرفع ما كان به من المال، ثم كر إلى مقامة، وأبلى إلى أن كانت الهزيمة على المسلمين في أخريات ذي القعدة من العام ففُقد من الناس ما يناهز اثني عشر ألفاً، والتمس أهل وشقة الأمان لثلاثة أيام من يوم الهزيمة»^(٣).

وعندما تم للمرابطين إسقاط عروش ملوك الطوائف^(٤)، شعر المستعين

(١) كما أرسل يوسف بن تاشفين إلى المستعين بن هود كتاباً مع ابنه عبدالملك بن المستعين وسنورد نصه كاملاً في الملاحق.

(٢) عنان: دول الطوائف، ص(٢٨٨-٢٨٩)، مؤنس: الثغر الأعلى، ص(١٠٥).

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٧٢).

(٤) عندما عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس للمرة الثالثة في سنة ٤٨٣ هـ - ١٠٩٠ م، استولى على ممالك الطوائف الجنوبية والغربية، غرناطة -إشبيلية- المرية- بطليوس واستولت الجنود =



بخطرهم فاستنجد بالسيد القمبيطور، وكان السيد يومئذ قوة يحسب حسابها في شرقي الأندلس فاستجاب إلى دعوة المستعين وسار بقواته إلى سرقسطة^(١) إلا أن المستعين ما لبث أن عاد فطلب عون المرابطين سنة ٤٩٦ هـ - ١١٠٢ م، حيث بعث ابنه عبدالملك إلى أمير المسلمين مرة أخرى ومعه هدية جلييلة من جملتها أربعة عشر ربعاً من آنية الفضة، وكان أمير المسلمين يومئذ بقرطبة، يعد العدة لإعلان البيعة لولده علي بولاية عهده، فقبل الهدية وأمر أن تضرب هذه الآنية الفضية قراريط مرابطية، فرقت في أطباق على رؤساء قومه ليلة عيد الأضحى، وحضر عبدالملك حفل البيعة ثم عاد إلى سرقسطة^(٢) لذلك شعر المستعين بشيء من الطمأنينة وتصدى لجيوش ملك أرغون الفونسو المحارب الذي خلف أخاه بدرو في الملك وكان الفونسو المحارب -الذي تسميه الرواية الإسلامية (بابن رذمير) أميراً مقداماً شديد البأس ولم يكن قد بقي من قواعد مملكة سرقسطة الهامة بعد وشقة سوى مدينة تطيلة، فسار إليها الفونسو في قواته، وخف المستعين لإنجادها ووقعت بين الطرفين معركة شديدة عند بلد تدعى فالتييرا (Valtierra) فهزم المسلمون وسقط المستعين شهيداً وذلك في رجب سنة ٥٠٣ هـ - ١١١٠ م^(٣).

وبوفاته فقدت سرقسطة آخر أمرائها الكبار الذين استطاعوا النجاة بها من

= المرابطية على مرسية وأوريوله، كل ذلك فيما بين سنتي ٤٨٤-٤٨٨ هـ، عنان: دول الطوائف، ص(٢٩٨-٢٩٠).

(١) عنان: مرجع سابق، ص(٢٩٠).

(٢) ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٢٤٩/٢)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٧٤).

(٣) ابن الأبار: المصدر نفسه، ص(٢٤٨/٢) الهامش (٢)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٧٤)، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص(١١٧) الهامش (٤)، يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م، ص(١٤٠)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٩١).



الأخطار التي أحدثت بالأندلس في ذلك الحين^(١).

فخلفه ابنه أبو مروان عبدالملك وتلقب بعماد الدولة وبايعه أهل سرقسطة على شرط أن يترك محالفة النصارى وأن يخرجهم من جيشه^(٢) وتعهدهم عبدالملك بتحقيق ذلك لكنه لم ينفذ وعده، ولما رأى أهل سرقسطة أن أميرهم عماد الدولة لا يستجيب إلى شروطهم كتبوا إلى أمير المسلمين علي بن تاشفين وهو في مراكش يناشدونه خلع بن هود وتسلم سرقسطة، فاستفتى علي فقهاءه، فأفتوه بوجوب تحقيق هذه الرغبة^(٣).

وكانت الجبهة النصرانية قد جد عليها عامل جديد سيكون بعيد الأثر في مصير الأندلس الإسلامي ذلك هو صعود الفونسو الأول الملقب بالمحارب AL Fonsoel Batallador عرش أرغون سنة ٤٩٨ هـ - ١٠٥ م، فقد كان فارساً جلدًا متجدد الهمة شديد الطمع فيما جاوره من بلاد المسلمين وكان إلى جانب نشاطه وذكائه سعيد الحظ إذ تزوج بابنة الفونسو السادس الوحيدة ووارثة ملكه (أوركا- urraca) فلما توفي والدها انضمت ليون وقشتالة إلى أرغون ودخلت في طاعته كذلك إمارتا (جليقة) و(البرتغال) كانتا تؤديان إليه الجزية، فأصبح (الفونسو المحارب) بهذا يملك معظم شبه الجزيرة ولا يخرج عن سلطانه إلا قطلونية في الشرق وبلاد المسلمين، وقد ورث الفونسو عن أخيه بدرو الحماس المسيحي والرغبة في الاستيلاء على ما بيد المسلمين من بلاد، وكان بدرو قد حوّل الكفاح بين الإسلام والنصرانية في شبه الجزيرة إلى حرب صليبية لأنه «لما أسفرت الحرب الصليبية عن النجاح، وفاز الصليبيون بافتتاح بيت المقدس، أعلن البابا بسكال الثاني الحرب الصليبية في أسبانيا ضد

(١) مؤنس: الثغر الأعلى، ص(١٠٦).

(٢) ابن الأبار: الحلة السيرة، ص(٢٤٨/٢).

(٣) عنان: دول الطوائف، ص(٢٩٢).

المسلمين، وإذ كان النصارى الأسبان قد منعوا من مرافقة الصليبيين إلى بيت المقدس، فقد رأى بدرو ورعاياه أن يشهروا الحرب الصليبية في أسبانيا ذاتها ضد (أعداء الدين)^(١) بهذه الروح الجديدة سار الفونسو المحارب في حربه مع المسلمين، وكانت وجهته في أول الأمر سرقسطة إذ كانت أعظم مدائن الشمال الشرقي وزاد طمعه فيها بعد وفاة المستعين وقيام ابنه عبدالملك عماد الدولة بالأمر من بعده، ولو لم يُشغل الفونسو عن سرقسطة بما نشب من الحروب بينه وبين زوجته وأنصارها، لتقدم سقوط سرقسطة في يده بضع سنوات^(٢).

خشى المرابطون أن ينتهي الأمر بضياح سرقسطة وذلك لأن أميرها عبدالملك أسرف في المداراة والانكماش أمام الفونسو المحارب، فما كان من علي بن يوسف إلا أن بعث إلى قائده محمد بن الحاج والي بلنسية أن يسير إلى سرقسطة، فأرسل محمد بن الحاج قائده مدد بن فاطمة في جيش صغير نحوها، فلما اقترب منها خشي أهلها أن يسرع أميرهم بالاستتجاد بالنصارى، فأشاروا عليه « بأن ينصرف عنهم، ولا يبدأ بالفتنة ويجني عليهم استغاثة أميرهم بالروم، فانصرف عنهم »^(٣) وزادت مخاوف عبدالملك ناحية المرابطين، وعاد واستعان بالروم على الرغم من أن أهل البلد قد شرطوا عليه عدم الاستعانة بهم أو محالفتهم، وبلغ الخبر محمد بن الحاج فأسرع بالسير نحو سرقسطة سنة ٥٠٣هـ- ١٠٩م، وعجل عبدالملك بالاستعانة بالفونسو، وأخيراً تمكن محمد بن الحاج من دخول البلد واحتلاله، فغادر عبدالملك بن هود ومعه أهله وأمواله إلى حصن روطة (Rueda)^(٤) تحت حماية الفونسو المحارب.

(١) أشباخ: تاريخ الأندلس، ص(١٣٩)، مؤنس: الثغر الأعلى، ص(١١٠-١١١).

(٢) مؤنس: مرجع سابق، ص(١١١).

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص(١٧٥)، مؤنس: الثغر الأعلى، ص(١١١).

(٤) حصن روطة: أي روطة الواقعة على نهر خالون، أحد أفرع نهر إبرة الجنوبية، وهي إحدى معاقل سرقسطة المنيعه التي أعدها بنو هود وحصنوها وزودوها بالأبنية الفخمة، لتكون ملجأ لهم

وبذلك انتهى حكم بني هود في سرقسطة بعد أن دانت لحكمهم أكثر من سبعين عاماً، فكانت سرقسطة آخر دولة من دول الطوائف يستولى عليها المرابطيين.

= عند الضرورة ومما هو جدير بالذكر أن سقوط سرقسطة في أيدي المرابطيين لم يكن آخر العهد بني هود، ذلك أن عماد الدولة عبدالملك بن المستعين استقر بقاعدة روضة الحصينة يشهد الصراع المضطرب بين المرابطيين والنصارى حول امتلاك سرقسطة، فلما سقطت في يد النصارى وضع نفسه تحت حماية الفونسو ملك أرغون (ابن رذمير) واستمر على حاله حتى توفي في روضة سنة ٥٢٤هـ - ١١٣٠م، فخلفه في الإمارة ابنه أبو جعفر أحمد بن عبدالملك، واستمر في حكم روضة حتى حمله الفونسو ملك قشتالة على التنازل عنها وعوضه عنها بقسم من مدينة تطيلة في سنة ٥٣٤هـ - ١١٣٩م. انظر: ابن الأبار: الحلة السيرة، ص (٢/٢٤٦) - ٢٤٩ - ٢٥٠ (الهامش (٢)، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص (١٧٥)، عنان: دول الطوائف، ص (٢٩٣).

المبحث الثالث: دخول سرقسطة تحت نفوذ المرابطين (٥٠٣هـ)

ذكرنا سابقاً كيف استطاع المرابطون أن يدخلوا سرقسطة وذلك في عام ٥٠٣هـ-١١٠٩م، ولما استقر المرابطون في سرقسطة تحت إمرة قائدهم محمد بن الحاج الذي كان يحوطها بحمايته ويرد عنها أطماع النصارى المحيطين بها من الشرق والغرب والشمال وعلى الرغم من ذلك، كان الفونسو المحارب يتربص الفرص لمهاجمة سرقسطة، ففي عام ٥٠٤هـ-١١١١م، زحف الفونسو نحو سرقسطة ومعه عماد الدولة عبدالمالك بن المستعين حتى أصبح قريباً منها محاولاً مهاجمتها لكن القوات المرابطة استطاعت الدفاع عنها والتي كانت بقيادة محمد بن الحاج ومحمد بن عائشة، فلما رأى الفونسو تفوق قوات المرابطين رجع إلى بلاده وكانت عساكر المرابطين تطارده حيناً واستمر المرابطون على غزواتهم في أراضيه^(١).

وفي عام ٥٠٨هـ-١١٤٤م، خرج محمد بن الحاج في قواته من سرقسطة وانضم إليه في لا ردة محمد بن عائشة^(٢) وقواته، فسارت القوات المرابطية شرقاً،

(١) ابن عذاري: البيان، تحقيق: إحسان عباس، ص(٥٥/٤)، عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص(٧٤)، ويؤيد ذلك ابن الأبار حيث يشير أن أهل سرقسطة استدعوا محمد بن الحاج وكان والياً على بلنسية فدخلها في ذي القعدة سنة ٥٠٣هـ، وهناك رأي آخر وهو أن المرابطين دخلوا سرقسطة لأول مرة بقيادة أميرهم عبدالله بن الحاج سنة ٥٠٢هـ، ثم دخلوها للمرة الثانية بعد أشهر قلائل بقيادة محمد بن الحاج سنة ٥٠٢هـ، واستولوا عليها وأخرجوا منها بني هود. انظر: ابن الأبار، الحلة السيرة ج(٢٤٦/٢)، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص(١٦٠-١٦١)، أشباح: تاريخ الأندلس (١٣٩) الهامش (١).

(٢) كان صاحب أعمال بلنسية في أيام علي بن يوسف بن تاشفين ثم استدعى إلى المغرب فوكل أمر الحسابات إليه، وله من الأدب حظ وافر. انظر: ابن بسام: الذخيرة ق٣، ص(٦٧٠/٦)



واخترقت أراضي إمارة برشلونة وعاشت في أراضيها واستولت على الغنائم الكثيرة، وأعداد سبي هائلة، وكذلك بعث ابن الحاج الغنائم والسبي مع بعض قواته لتعود من الطريق الكبير أما هو ففضل السير من طريق البرية، فهو أقرب إلى سرقسطة، وكان معه نفر من جنده فيهم محمد بن عائشة، فلما توسط ابن الحاج الطريق فوجئ بقوات كثيفة من النصارى قد كمنوا له في جهة من تلك الجهات الوعرة، فنشب القتال بين الفريقين، فقاتل المرابطون قتالاً عنيفاً حتى سقط معظمهم، وفي مقدمتهم قائدهم الباسل ابن الحاج، ونجا محمد بن عائشة ونفر من صحبه^(١). فلما علم أمير المسلمين (علي بن يوسف) بذلك عين أبا بكر بن إبراهيم بن تافلوت^(٢) والي مرسية والياً على بلنسية وطرطوشة وسرقسطة وتجرّد أبو بكر لحرب برشلونة للأخذ بثأر هزيمة المسلمين فجمع سائر قواته وسار بهم إلى برشلونة وضيق عليهم وأنزل بمزارعها خراباً شاملاً ثم حاصرها وأقام على حصارها عشرين يوماً فخرج للقائه أمير برشلونة رامون في قوات برشلونة وأربونه ونشبت بين الفريقين معارك عنيفة قتل فيها كثير من النصارى، وخسر فيها المسلمون نحو سبعمائة قتيل وارتد المرابطون بعد ذلك صوب أراضيهم^(٣).

= الهامش (٢)، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص (٣١٤/٢-٣١٥).

(١) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص (١٦٠-١٦١)، وقد أصيب محمد بن عائشة في هذه المعركة إصابة لم يلبث أن فقد بصره بسببها فيما بعد، ويسمى ابن الأبار هذه الواقعة بوقعة البورت. انظر: ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، ص (٥٤).

(٢) هو الأمير أبو بكر بن إبراهيم المسوفي المعروف بابن تافلوت وبالصحراوي وابن أخي أمير المسلمين يوسف وزوج ابنته، وأحد كبار قواد المرابطين، تولى غرناطة سنة ٥٠٠هـ، ثم سرقسطة بعد ذلك. انظر: ابن الأبار: الحلة السيرة، ص (٢٧٦/٢-٢٧٧) الهامش (٣)، ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، ص (٤٠٤/١-٤٠٤).

(٣) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص (١٦١)، عنان: عصر المرابطين، ص (٧٥)، مؤنس: الثغر

=



كما خاض أبو بكر مع النصارى بعض المعارك الدفاعية كان التفوق فيها للنصارى على القوات المرابطية^(١) ويشير لنا ابن عذاري أن أبابكر سار في سنة ٥١٠ هـ إلى الغزو فقصده حصن روضة فأحرق وبالغ في النكاية ثم تحرك إلى برجة وبها عماد الدولة بن المستعين بن هود، فضيق عليها وبالغ في نكايتها حتى صالحه أهلها ورجع عنها إلى مدينة سرقسطة^(٢). ولبت أبوبكر والياً على سرقسطة زهاء عامين، وكان من خيرة أمراء الدولة المرابطية كرمًا وجوداً وشجاعة وقد أقام خلال عهده القصير بسرقسطة بلاطاً فخماً واستوزر الفيلسوف الشهير أبا بكر بن الصائغ المعروف بابن باجه، وعاش حياة باذخة فخمة ومن حوله الأدباء والندماء^(٣). وفي عام ٥١٠ هـ-١١١٧ م، توفي أبو بكر آخر حماة شرق الأندلس من المرابطين ولما اتصل نبأ وفاة أبي بكر بن إبراهيم إلى الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف أخي أمير المسلمين علي بن يوسف، وهو يومئذ والي مرسية بادر إلى سرقسطة ونظر في شؤونها وضبط أحوالها، ولما اطمأن إلى توطيد أمورها عاد إلى مرسية مقر ولايته^(٤). وبعد وفاة أبي بكر تركت سرقسطة حيناً دون والٍ، ثم ندب إليها والي غرناطة عبدالله بن مزدلي ليكون والياً لبلنسية وسرقسطة وذلك في أواخر عام ٥١١ هـ-١١١٧ م^(٥) وعندما سار عبدالله بن مزدلي إلى سرقسطة وجد الفونسو المحارب محاصراً سرقسطة وأذاق أهلها شراً، فلم يزل عبدالله بن مزدلي يدافع عنها حتى ألجأه إلى رفع الحصار ولبت عبدالله

= الأعلى، ص(١١٢-١١٣).

(١) حيث يقول ابن الخطيب في ترجمة الأمير أبي بكر « توفي بسرقسطة في سنة ٥١٠ هـ بعد أن ضاق ذرعاً بطاغية الروم » انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ص(٤٠٥/١).

(٢) ابن عذاري: البيان، ص(٦٢/٤).

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، ص(٤٠٥/١).

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص(٤٠٨/١).

(٥) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص(١٦٢).



على سرقسطة عاماً كاملاً ثم توفي، وبقيت سرقسطة دون أمير يحميها فلما رأى الفونسو سرقسطة خالية من جند المرابطين زاد طمعه فيها فانتهاز الفرصة، وأقبل يحاصر سرقسطة من جديد عام ٥١٢هـ-١١١٨م. حيث بدأ بمحاصرة لاردة وكاد يستولي عليها، فأرسل أهلها يستتجدون بعلي بن يوسف فبعث أخاه تميمًا وكان والياً على شرق الأندلس، فسار تميم في جيش كبير وسار معه أبو يحيى بن تاشفين صاحب قرطبة، وثبتوا للفونسو حتى أجبروه على رفع الحصار عن لاردة بعد أن فقد نحو عشرة آلاف من جنده، ومضوا يتبعونه في بلاده، ولم يستطع تميم الاستمرار في القتال، لأن أمور المرابطين اضطربت في مراكش، فاضطر إلى العودة إلى بلنسية ومنها رجع إلى مراكش وكان يقوم بأمر مرسية لعلي بن يوسف أخوه أبو إسحاق إبراهيم، فأسرع إلى سرقسطة ليرقب أمورها بعد انصراف تميم، وعاد إلى مرسية^(١). ولم يطل مقامه فيها وعاد إلى مرسية^(٢).



(١) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص(١٦٢)، مؤنس: الثغر الأعلى، ص(١١٤-١١٥).

(٢) ابن أبي زرع: نفس المصدر والصفحة، مؤنس: الثغر الأعلى، ص(١١٤-١١٥).



المبحث الرابع: سقوط سرقسطة (٥١٢هـ - ١١١٨م)

لما رأى الفونسو السادس سرقسطة خالية من جند المرابطين عاد محاصراً لها، حيث بدأ الحصار في مستهل شهر صفر من سنة ٥١٢هـ (٢٢ مايو ١١١٨م) وطوقتها قوات كثيفة من مختلف أسبانيا النصرانية ومن فرنسا وساروا في حملة تتسم بالطابع الصليبي.^(١) ويصف أحد المؤرخين هذه الحملة « بأنها كانت أمم كالنمل والجراد، فنزلوا معه بها وشرعوا في قتالها »^(٢) سارت الحملة الصليبية وقوامها جيوش بلغت أعدادها خمسين ألف راكب من أسبانيا الشمالية وفرنسا بقيادة ابن رذمير ملك أرغون، متوجهة إلى شمالي الأندلس^(٣) وكان معهم أبراج خشبية عالية تجري على بكرات لكي يستطيع المهاجمون بها محاذاة الأسوار العالية لينصبوا فوقها الرعادات، وكان معهم أيضاً عشرون منجنيقاً ضخمة لذك الأسوار^(٤) ونستنتج من ذلك ما كانت تتمتع به أسوار سرقسطة من الارتفاع والحصانة والمنعة.

واستمر حصار المدينة زهاء سبعة أشهر^(٥) وكان حصار الأسبان لسرقسطة اقتصادياً حيث أخذت الأقوات تنقص يوماً بعد يوم، كما أنه كان من الصعب على أهل المدينة أن يتلقوا أي مؤن من الخارج وذلك لإحكام الحصار حول المدينة من ناحية البر والنهر، واستمر الحال على ذلك حتى « فنيت الأقوات وفنى أكثر الناس جوعاً »^(٦).

(١) الحجى: التاريخ الأندلسي، ص(٤٢٨)، عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص(٩٠).

(٢) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص(١٦٣).

(٣) الحميري: الروض المعطار، ص(٣١٧).

(٤) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص(١٦٣).

(٥) ويجعل الحميري مدة الحصار تسعة أشهر. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص(٣١٧).

(٦) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص(١٦٣)، عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص(٩٥).



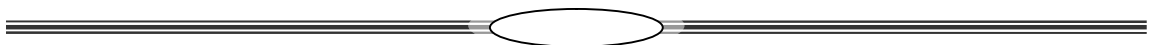
وفي أواخر أيام الحصار وصل جيش مرابطي بقيادة الأمير أبي الطاهر تميم إلى مقربة من سرقسطة محاولاً إنقاذها فخرج إليه زعيمان من زعماء المدينة، هما الفقيه علي بن مسعود الخولاني، وهو من أكابر زعماء سرقسطة وحفاظها وأدبائها، والخطيب أبوزيد منتيال، وحدثاه باسم أهلها بمحضر أبي الغمر الشايب بن غرون عن أهبات النصارى ووجوب مناجزة العدو، ولكن الأمير تميم « جبن عن ذلك » وكان انتقاله بالجيش عن سرقسطة سبباً في نجاح النصارى في الاستيلاء على المدينة^(١) وإزاء هذا الموقف السلبي للأمير تميم، كتب أهل سرقسطة رسالة مؤثرة كتبها عنهم قاضي سرقسطة ثابت ابن عبدالله إلى الأمير تميم قائد جيوش المرابطين في الأندلس يطلبون النصر والعون ضد أعدائهم النصارى، وذلك عام ٥١٢هـ-١١١٨م.

وجاء في الرسالة ما يلي: (وما كان إلا أن وصلت (يعني الأمير تميم) وصل الله برك بتقواه، على مقربة من هذه الحضرة، ونحن نأمل منك بحول الله أسباب النصر، بتلك العساكر التي أقر العيون بهاؤها، وسر النفوس زهاؤها، فسرعان ما انتنيت وما انتهيت، وارعويت وما أدنيت، خائباً عن اللقاء، ناكصاً على عقبيك عن الأعداء، فما أوليتنا غناء، بل زدتنا بلاء، وعلى الداء داء، بل أدواء، وتناهت بنا الحال جهداً والتواء بل أذلت الإسلام والمسلمين، واجترأت فضيحة الدنيا والدين، فيا لله ويا للإسلام، لقد اهتضم حومه وحماه أشد الاهتضام، إذ أحجمت أنصاره عن إعزازه أقبح الإحجام ونكصت عن لقاء عدوه، وهو في فئة قليلة، ولمة رذيلة، وطائفة قليلة، فما هذا الجبن والفرع، وما هذا الهلع والجزع، بل ما هذا العار والضيع)^(٢).

ثم يلجأ أهل سرقسطة إلى تهديد المرابطين وتخويفهم ثم يشيرون إلى أهمية سرقسطة الدفاعية وعواقب سقوطها الوخيمة على مركز المرابطين، في قولهم:

(١) عنان: المرجع السابق، ص(٩٦).

(٢) مؤنس: الثغر الأعلى، ص(١٣٤-١٣٥)، عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص(٩٦-٩٧).



أتحسبون يا معشر المرابطين، وإخواننا في ذات الله المؤمنين، إن سبق على سرقسطة القدر بما يتوقع منه المكروه والحذر، إنكم تبلعون بعدها ريقاً وتجدون في سائر بلاد الأندلس -عصمها الله مسلكاً من النجاة أو طريقاً؟ كلا! والله ليسو منكم الكفار عنها جلاء وفراراً وليخرجنكم منها داراً فداراً! فسرقسطة حرسها الله هي السد الذي إن فُتق فتقت بعده أسداد، والبلد إن استبيح لأعداء الله استبيحت له أقطار وبلاد، فالآن أيها الأمير الأجل، هذه أبواب الجنة قد فتحت وأعلام الفتح قد طلعت، فالمنية ولا الدنية، والنار ولا العار، فأين النفوس الأبية، وأين الألفة والحمية، وأين الهمم المرابطية، فلتقدح عن زنادها، بانتضاء حدها، او امتضاء جدها، واجتهادها، وملاقة أعداء الله وجهادها، فإن حزب الله هم الغالبون^(١).

وفي نهاية الرسالة دعوة يائسة من أهل سرقسطة إلى الأمير تميم بأن يتقدم إلى سرقسطة لإنقاذها قبل فوات الأوان وذلك بقولهم: (ولن يسعك عند الله، ولا عند مؤمن، عذر في التأخر والارعواء من مناجزة الكفار والأعداء وكتابتنا هذا أيها الأمير الأجل، اعتذار تقوم لنا به الحجة في جميع البلاد، وعند ساير العباد، في إسلامكم إيانا إلى أهل الكفر والإلحاد ونحن مؤمنون، بل موقنون إجابتك إلى نصرتنا، وإعدادك إلى الدفاع عن حضرتنا، وإنك لا تتأخر عن تلبية نداينا، ودعاينا إلى استنقاذنا من أيدي أعدائنا.. فأقبل بعسكرك على مقربة من سرقسطة عصمها الله، ليخرج الجميع عنها، ويبرأ إلى العدو وقمه الله منها، ولا تتأخر كيفما كان طرفة عين، فالأمر أضيق والحال أزهد، فعد بنا عن المطل والتسويق قبل وقوع المكروه والمخوف، وإلا فأنتم المطالبون عند الله بدمائنا وأموالنا، والمسؤولون عن صبيبتنا وأطفالنا، لإحجامكم عن أعدائنا وتثبظكم عن إجابة نداينا، وهذه حال نعيذك أيها الأمير الأجل عنها، فإنها تحملك من العار ما لم تحمله أحداً، وتورثك وجميع المرابطين الخزي أبداً.. ومهما تأخرتم عن نصرتنا، فالله ولي

(١) مؤنس: الثغر الأعلى، ص(١٣٥)، عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص(٩٧).

الثأر لنا منكم، ورب الانتقام، وقد بريتم بإسلامنا للعداء من نصر الإسلام، وعند الله لنا لطف خفي، ومن رحمته ينزل الصنع الخفي ويغينا الله عنكم وهو الحميد المغني^(١).

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الرسالة المؤثرة كُتبت قبيل سقوط سرقسطة بفترة قصيرة^(٢) ويبدو مما جاء في هذه الرسالة أن الجيش المرابطي التزم الجمود والإحجام، ولم يبذل أي محاولة لإنقاذ المدينة، ثم ارتد بعد ذلك على أعقابها، ويؤيد ذلك وصول جيش من العدو قوامه عشرة آلاف فارس، بعثه أمير المسلمين علي لإنقاذ المدينة فوجدها قد ملكها العدو ونفذ حكم الله فيها^(٣).

وقد سطرت لنا صفحات التاريخ هذا التخاذل وترك نصرة المسلمين المستضعفين ويمكن أن نرجع ذلك الإحجام المرابطي عن العدو إلى عدة عوامل ومن أهمها العامل العسكري فإنه يمكن أن يقال إن ذلك قد يرجع إلى تفوق النصارى في الكثرة أو العدد على الجيش المرابطي تفوقاً خشياً الأمير تميم عواقبه خاصة وأن الأمير نفسه لم يكن من كبار القادة المرابطين وإنما كان يقود الجيش بصفته الأميرية^(٤).

ويمكن أن يقال أيضاً أن موقع سرقسطة بعيداً عن مراكز تموين الجيش المرابطي وإمداده في بلنسية ومرسية وقرطبة، لم يكن يشجع على القيام بأية

(١) مؤنس: الثغر الأعلى، ص(١٣٦)، عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص(٩٧-٩٨).

(٢) يجعل الدكتور حسين مؤنس تاريخ هذه رسالة عام ٥٢٣هـ، أي أنها كتبت بعد سقوط سرقسطة بأحد عشر عاماً في حين أن نص الرسالة كتب وقت حصار سرقسطة وقبيل سقوطها بقليل في شهر شعبان من عام ٥١٢هـ، وأصدق دليل على صحة ذلك هو نص الرسالة ذاته، هو أن الأمير أبا الطاهر تميم قد توفي بقرطبة سنة ٥٢٠هـ. انظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص(١٦٤).

(٣) ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص(١٦٣).

(٤) عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص(٩٩).

محاولة عسكرية خطيرة، فنرى أن هذه الأعذار العسكرية وأمثالها لا تكفي لتبرير موقف الجيش المرابطي وإحجامه عن القيام بإنقاذ المدينة لأن أعداء الله ﷻ مهما عظمت قوتهم وحظي نفوذهم إنما هم فئة قليلة إذا كان أمامهم جند الإسلام المخلصون، ويجب أن نتساءل ما هو الباعث الحقيقي لتقاعس المرابطين عن إنقاذ المدينة، وذلك يرجع إلى أن المرابطين كانوا يشعرون بأن الاحتفاظ بهذه المنطقة النائية من شبه الجزيرة كان يلقي عليهم مسؤوليات عظيمة وذلك لوقوعها بين أعداء أقوياء يتربصون بها باستمرار، ومن ثم فإن المرابطين لم يعنوا فيما يبدو، بأن يتجشموا في سبيل إنقاذها تضحيات عسكرية عظيمة^(١).

وهكذا تركت سرقسطة لمصيرها، واضطرت بعد أن عانت من أهوال الحصار وبعد أن يئس أهلها من إجابة صريخهم، أن تخاطب الفونسو أن يمنح أهلها هدنة مؤقتة فإذا لم يأتهم الإنجاد المنشود سلمت إليه المدينة، وتعاهد الفريقان على ذلك، ثم مضى هذا الأجل دون أن يتلقى المحصورون أية معونة، فاضطرت المدينة إلى التسليم^(٢).

وكان هناك شروط لهذا التسليم وهي كالتالي:

- ١- أن تسلم سرقسطة إلى ملك أرغون.
- ٢- من أحب المقام بها من أهلها فله ذلك على أن يؤدي الجزية.
- ٣- من أحب أن يرحل إلى حيث شاء من بلاد المسلمين رحل فله الأمان التام.
- ٤- أن يسكن الروم المدينة والمسلمون (ربض الدباغيين)^(٣).

(١) عنان: مرجع سابق، ص(٩٩-١٠٠).

(٢) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص(١٦٣).

(٣) ربض الدباغيين: من أحياء سرقسطة المتطرفة ويقع على ضفة النهر اليمنى، وكانت سياسة الملوك النصارى فيما يتعلق بمن يبقى من السكان المسلمين في المدن المفتوحة هو أن يسمح لهم بالبقاء في منازلهم داخل المدينة لمدة سنة أو نحوها، ثم يلزمون بعد ذلك بالانتقال إلى الأرباض،

٥- أن كل أسير يفلت للروم من المدينة ويحصل عند الإسلام فلا سبيل لمالكة إليه، ولا اعتراض عليه^(١).

وتم الاتفاق على هذه الشروط، وأسلموا إليه المدينة وذلك في يوم الأربعاء الرابع من رمضان سنة ٥١٢ هـ / ١٨ ديسمبر ١١١٨ م^(٢).

وما كاد الفونسو المحارب يستقر في المدينة (سرقسطة) حتى غادرها كثير من أهلها المسلمين بلغ عددهم نحو خمسين ألف نسمة، فلما شاهد الفونسو هذه الجموع ركب بنفسه إليهم وأمرهم أن يبرزوا جميع ما لديهم فرأى أموالاً لا تحصى، ولكنه بعد أن رآها قال لهم « لو لم أقف على ما عندكم من هذه الأموال، لقلتم لو رأى بعضها لم يسمح لنا بالترحال، فسيروا الآن حيث شئتم في أمان » ولم يأخذ منهم سوى غير مثقال، على الرجال والنساء والأطفال^(٣). وبعد أن دخل الفونسو وحلفاؤه سرقسطة حول مسجدها الجامع إلى كنيسة وجعل منها مركزاً لا سقوية، كما أنه اتخذ من سرقسطة عاصمة لدولته أرغون، ومنح سكانها (النصارى) حقوق الأشراف الأصاغر وامتيازاتهم، وكافأ الفرسان الفرنسيين الذين استمروا في معاونته حتى تمكن من أخذ المدينة، ولاسيما الكونت (جاستون دي بيارن) فقد أقطعه حي سرقسطة الذي كان يقطنه النصارى المعاهدون من قبل

= وهي الأحياء المتطرفة أو الضواحي، وقد منح سكان سرقسطة هذا الامتياز بالبقاء في أحيائهم داخل المدينة مدى عام وينتقلون بعده إلى ربض الدباغيين. انظر: عنان عصر المرابطين والموحدين، ص (١٠٠).

(١) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص (١١٨).

(٢) الناصري: أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق، جعفر الناصري، محمد الناصري، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤، ص (٦٦/٢-٦٧)، ابن الأبار: الحلة السيرة، ص (٢٤٨/٢)، المقرئ: نفع الطيب، ص (٤٧٢/٤).

(٣) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص (١١٩).

وأنعم عليه لقب (سيد سرقسطة).^(١)

وهكذا سقطت سرقسطة بعد أن حكمها المسلمون منذ الفتح، أكثر من أربعة قرون، وبعد أن لعبت في تاريخ الثغر الأعلى الأندلسي أعظم دور سواء من الناحية العسكرية أو السياسة أو الحضارية.

وبسقوط مدينة سرقسطة انهار ثاني معقل للمسلمين بعد سقوط طليطلة فكان ضربة جديدة قاصمة للأندلس ، وكان نذيراً بسقوط باقي قواعد الثغر الأعلى في يد مملكة أرغون ونذيراً بتصدع الجبهة الدفاعية في شمالي شرق الأندلس التي كانت سرقسطة معقدها المنيع^(٢).

ومما هو جدير بالذكر أنه بعد أن استقر الفونسو في سرقسطة أي في عام ٥١٣هـ-١٢٠م. ونظم الفونسو شؤون سرقسطة اعترزم بعد ذلك أن يواصل إفتتاح ما بقي من قواعد الثغر الأعلى، ومعاقله، فسار في قواته نحو طرسونة (Tarazona) الواقعة جنوب غربي تطيلة التي سقطت في يده قبل سقوط سرقسطة (٥١١هـ-١١١٧م) فاستولى على طرسونة وأعاد بها مركز الأسقفية القديمة، ثم سار منها إلى برجة (Borqia) الواقعة جنوب تطيلة واستولى عليها، كما استطاع أن يفتتح عدداً من الحصون والبلاد الواقعة في تلك المنطقة^(٣).

ثم عبر الفونسو جبال (سييرامولينا) التي تفصل بين أرغون وقشتالة وزحف على قلعة أيوب وكانت من أمنع ما بقي من معاقل الثغر الأعلى فاستولى عليها كذلك فوصلت أنباء هذه المحن المتوالية إلى أمير المسلمين علي بن يوسف فكتب إلى أخيه أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف وإلى إشبيلية في ذلك الوقت بتجهيز الجيوش والمبادرة بالسير لقتال ملك أرغون الفونسو ووضع حد لعدوانه كما كتب

(١) أشباح: تاريخ الأندلس، ص(١٤٥).

(٢) عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص(١٠٢).

(٣) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص(١٦٣)، عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص(١٠٢).

علي بن يوسف في نفس الوقت إلى القادة والرؤساء بالأندلس أن ينهضوا بقواتهم مع أخيه، فحشد إبراهيم قواته ووافته قوات أخرى من قرطبة وغرناطة ومرسية وعدد كبير من المتطوعة وسار الأمير إبراهيم بهذه القوات إلى الشمال، وكان الفونسو عندما علم بتحرك المرابطين وسيرهم إلى قشتالة، قد استقدم سائر قواته، ووقع اللقاء بين المسلمين والنصارى ظاهر بلدة صغيرة تسمى (كُذْنده أو قُذْنده) على مقربة من دورقة وذلك في عام ٥١٤هـ - ١١٢٠م^(١).

ونشبت بين الفريقين معركة عنيفة هُزم فيها المسلمون هزيمة شديدة، واستشهد فيها آلاف المسلمين وكان منهم العلماء والفقهاء، وفي مقدمتهم القاضي الشهير العلامة أبو علي الصدفي، وهو حسين ابن محمد بن فيرة بن حيون، يعرف (بابن سكرة الصدفي) من أهل سرقسطة وسكن مرسية^(٢).

وبعد هذه الهزيمة النكراء ارتد الأمير إبراهيم بن يوسف^(٣) في فلول الجيش المرابطي إلى بلنسية^(٤).

وعلى أثر هذه الموقعة استولى الفونسو على قلعة دورقة وأنشأ على مقربة منها قلعة جديدة سميت قلعة مونريال (Monreal) لتكون حاجزاً لصد الجيوش الإسلامية القادمة من مرسية وبلنسية ولتكون في نفس الوقت منزلاً لجمعية دينية

(١) عنان: المرجع السابق، ص(١٠٣).

(٢) ابن بشكوال: الصلة، ص(١٤٤/١)، المقرئ: نفع الطيب، ص(٩٠/٢-٩٣).

(٣) مما هو جدير بالذكر أن الأمير إبراهيم بن يوسف الذي قاد المرابطين في هذه الموقعة هو الذي ألف الفتح بن خاقان باسمه كتاب (قلائد العقيان) وأهداه إليه في مقدمته. انظر: قلائد العقيان المقدمة، ص(٣-٤) ابن خاقان: الفتح بن محمد: قلائد العقيان، مكتبة السيد محمد عبدالواحد بك الطوبى وأخيه، مطبعة التقدم العلمية، الطبعة الأولى.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن موقعه كتندة. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص(٢٠٨/١٠)، المقرئ: نفع الطيب، ص(٥٨٠/٢)، ابن الأبار: المعجم ص(٧/٤).

جديدة من الفرسان، أسست لحماية الدين^(١).

ومما هو جدير بالذكر أن أعداء الله ﷺ مهما عظمت قوتهم وطفر نفوذهم إنما هم فئة قليلة، فكان نتيجة للانتصارات المتلاحقة التي أحرزها الفونسو المحارب على المرابطين في الأندلس^(٢) زيادة نشاطه في الاستيلاء على ما بقي من قواعد الثغر الأعلى ومنها لاردة، وأفراغه (غربي لاردة) ومكناسه الواقعة عند ملتقى نهر سجرى وإبرو، ومن ثم الاستيلاء على ثغر طرطوشة^(٣) وبالفعل هاجم الفونسو مدينة مكناسة عام ٥٢٧هـ / ١١٣٣م، واضطرت المدينة للتسليم^(٤) ثم زحف نحو مدينة إفراغه فتصدت له القوات المرابطية، ودارت تحت أسوارها معركة من أعنف المعارك وكان النصر فيها حليفاً للمرابطين^(٥) وتوفي الفونسو المحارب بعد المعركة^(٦).

-
- (١) أشباح: تاريخ الأندلس، ص(١٤٥)، عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص(١٠٤).
 - (٢) ومنها موقعة كتندة كما ذكرنا سابقاً، ومعركة القلاعة عام ٥٢٣هـ - ١١٢٩م، ولمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة. انظر: ابن القطان: حسن بن علي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص(١٥٣-١٥٤)، عنان: عصر المرابطين والموحدين، ص(١١٦-١١٧).
 - (٣) عنان: المرجع السابق، ص(١٢١).
 - (٤) عنان: نفس المرجع والصفحة.
 - (٥) كانت موقعة إفراغه في رمضان سنة ٥٢٨ هـ - ١٣٤م، وهي من المواقف المشدّرة لدولة المرابطين وصفحة مشرقة في تاريخهم العسكري، ولم تكن أهميتها أقل من معركة الزلاقة إذ حققت للمرابطين انتصاراً حاسماً. انظر: ابن عذاري، البيان، ص(٩٣/٤)، حمدي عبدالمنعم محمد: تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص(٢٠٦).
 - (٦) وهناك مصادر عربية تؤكد أن الفونسو مات بعد المعركة بأشهر وأيام ومنها ابن القطان، نظم الجمان، ص(٢٤٧-٢٤٨)، ابن الأثير: الكامل، (٣٤/١١)، ابن عذاري: البيان، ص(٩٣/٤).

ومما هو جدير بالذكر أنه كان لنصر المرابطين في إفراغه^(١) صدى عميق في سائر أنحاء الأندلس وتردّب على ذلك آثار هامة أولها: ارتفاع الروح المعنوية للمرابطين وتجديد نشاطهم العسكري حيث برز بعض قادة المسلمين ومنهم يحيى بن غانية^(٢) وثانيها أنه أبعث شبح الخطر عن الأندلس لبعض الوقت ، كما أوقف حركة المد المسيحي على حساب أراضي الإسلام^(٣) ومهما يكن من أمر فإن الظروف في ذلك الوقت لم تسمح للمرابطين باسترجاع مدينة سرقسطة وذلك لوجود ملك جديد في الجبهة النصرانية لا يقل نشاطاً ولا رغبة في مغالبة المسلمين عن الفونسو المحارب وهو (الفونسو السابع).^(٤)

(١) لتفاصيل أكثر عن موقعة إفراغه. انظر: ابن القطان: نظم الجمان، ص(٢٤٣-٢٤٤)، ابن الأثير: الكامل، (٣٤-٣٣/١١)، الحميري: الروض المعطار، ص(٤٨-٤٩)، مؤنس: الثغر الأعلى، ص(١١٨-١١٩)، عنان: عصر المرابطين، ص(١٢٠) وما بعدها، أشباخ: تاريخ الأندلس، ص(١٦٤-١٦٥).

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن علي بن غانية الصخراوي، غانية اسم أمه، نشأ بصحبة الأمير بقرطبة محمد بن الحاج، حيث تزوج محمد بن الحاج أمه غانية وولاه مدينة أستجة فهي أول ولاية له، كان ابن غانية بطلاً شهماً كثير الدهاء والإقدام، والمعرفة بالحروب، وظهر ذلك جلياً في وقعة إفراغه، واشتهر صيته بعدها وتوفي سنة ٥٤٣هـ. انظر: ابن لخطيب: الإحاطة، ص(٣٤٣/٤-٣٤٧).

(٣) عنان: عصر المرابطين، ص(١٢٥).

(٤) مؤنس: الثغر الأعلى، ص(١٢٠).

الباب الثاني التاريخ الحضاري

ويحتوي على ثلاثة فصول:

- ✿ الفصل الأول: النواحي العمرانية.
- ✿ الفصل الثاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية.
- ✿ الفصل الثالث: الحياة العلمية.

الفصل الأول

النواحي العمرانية

وفيه مبحثان : -

✧ المبحث الأول: العمارة الدينية.

✧ المبحث الثاني: العمارة المدنية.

* * * * *

وقد أشار ابن خلدون إلى أن المساجد الجامعة تتميز بمساحتها الكبيرة التي تتسع لعدد كبير من المصلين الذين يجتمعون فيها لأداء فريضة الجمعة وغيرها من الصلوات العامة، ويؤم المسلمين فيها الخليفة في حاضرة الدولة أو عامله ومن ينوب عنه من كبار الفقهاء في المدن الأخرى أما المساجد العادية أو الخاصة فيقوم بالإمامة فيها من يجد في نفسه القدرة والكفاءة على إمامة المصلين^(١).

أقسام العمارة الدينية في سرقسطة:

١ - المسجد الجامع بمدينة سرقسطة:

أشرنا سابقاً إلى أن المسجد الجامع كان يؤلف المركز الديني للمدينة الإسلامية، وقلبها النابض بحياتها، وأنه كان يتحكم في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما كان مدرسة علمية تقام فيه حلقات الدروس في علوم الدين واللغة، وكانت الأسواق تقام حول ساحته وتعد فيه أيضاً الاجتماعات وتوزع ألوية الجيش وبنوده وتقرأ المنشورات^(٢).

ومن هذا المنطلق تتركز أهمية جامع سرقسطة الذي كان يهيمن على جميع المراكز العمرانية فيها، ويشكل القلب الذي ينبض بكل نشاطاتها الاقتصادية والاجتماعية.

وقد شيد مسجد سرقسطة الجامع شخصية جليلة وافدة من المشرق وهي شخصية التابعي حنش الصنعاني كما ذكرنا سابقاً، وكان من الضروري توسيعه بعد ذلك لأن المسجد ضاق على جماعة المسلمين فتم توسيعه عام ٢٤٢هـ -

= ١٩٧٩م، ص(١٨-٣٦).

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص(٢١٩).

(٢) عبد العزيز سالم: التخطيط ومظاهر العمران، ص(٥٥-٥٦).

١٨٥٦م^(١). وذلك في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن الأموي حيث هدم القبلة ونقل المحراب على عجلات إلى الجهة الجنوبية^(٢).

وجدير بالذكر أن محراب الجامع قد بني من حجر واحد من الرخام الأبيض، كما كان في المحراب نقش بأغرب الصناعات وأبدع التخريم عليه حجارة مثمثة^(٣) حتى قيل إنه لا يوجد محراب مثله في الأندلس^(٤).

ثم توالى عليه الزيادات والتجديدات حتى أصبح من أعظم مساجد الإسلام ففي عصر ملوك الطوائف -عهد بني هود- ملوك سرقسطة آنذاك، وسّع المسجد وعرف بـ « الجامع الأبيض »^(٥) وعندما دخل النصارى سرقسطة ٥١٢هـ - ١١١٨م حولوا مسجدها الجامع إلى كنيسة وهي كنيسة لاسيو (Laseo) وتعتبر من أقدس كنائس سرقسطة، ومعنى اسمها « الكنيسة العظمى »^(٦) ولم يبقوا من بناء الجامع إلا قوساً مزدوجاً من القرميد يقوم على عامود رخام في الوسط ودعامات حجرية في الجانبين -في سرايب الكنيسة- ويعرف أيضاً بـ « حائط القرميد »^(٧).

وجدير بالذكر أن مساجد الأندلس عامة كانت تتميز بمميزات ومنها:

(١) ويذكر لنا ابن عذاري أنه « في سنة ٢٤٢هـ كتب الأمير محمد إلى موسى بن موسى بحشد الثغور والدخول إلى برشلونة فغزا إليها وأحتل بها، وأفتتح في هذه الغزاة حصن طراجه وهي من آخر أحواز برشلونة، ومن خمس ذلك الحصن زيدت الزوائد في المسجد الجامع بسرقسطة » انظر: ابن عذاري: البيان، ص(٩٥/٢-٩٦).

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٢٣)، شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ص(١١٧/٢).

(٣) الزهري: الجغرافية، ص(٨١-٨٢) الهامش (١٠).

(٤) الزهري: المصدر السابق، ص(٨٢).

(٥) عنان: الآثار الأندلسية، ص(١١٠).

(٦) عنان: المرجع نفسه، ص(١١٠)، شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ص(١١٧/٢).

(٧) مؤنس: رحلة الأندلس، ص(٢٨٦)، أرسلان: المرجع نفسه، ص(١١٧/٢).

١- أن صفوف العقود التي تفصل بين الأروقة تقام عمودية على حائط القبلة حيث يوجد المحراب.

٢- عدد الأروقة في المسجد الأكبر كان يتوقف على مساحته وهذه تتوقف على عدد سكان المدينة.

٣- تجميل عمارة صحن المساجد الأندلسية بالجنان وحدائق الفاخرة.

٤- المآذن كانت عبارة عن أبراج بسيطة تخطيطها مربع وتتألف من طابقين ويسقل المسجد عن المئذنة دائماً ويفصل الصحن بينهما^(١).

ومن خلال هذا الوصف نستطيع أن نتصور ما كان عليه جامع سرقسطة من روعة الفن المعماري الأندلسي.

ولم تذكر المصادر عن مساجد سرقسطة سوى الجامع الذي أشرنا إليه ومن المنشآت الدينية أيضاً الأربطة والمصلى أو « الشريعة » .

٢- الأربطة:

شاع في بلاد المغرب والأندلس بناء الأربطة التي يربط فيها بعض المسلمين، من أجل التعبد وتدریس العلوم الدينية وكذلك الجهاد في سبيل الله وحراسة سواحل المسلمين من الأعداء الذين يغيرون على بلادهم وقد اشتق اسمها من قوله تعالى: (وَوُوْءُوْ وَوُوْ وَوُوْ) ^(٢) وكذلك قوله تعالى: ()

^(٣) كما أنها كانت إضافة إلى ذلك مأوى للغرباء والمسافرين^(٤) وكانت تلك الأربطة عادة تنتشر بالمناطق الساحلية لتأمين تلك

(١) ليوبولدو تورس بلباس: الأبنية الإسلامية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، مدريد، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣، ص(١٠١-١٠٥).

(٢) سورة الأنفال: آية (٦٠).

(٣) سورة آل عمران: آية (٢٠٠).

(٤) كمال السيد: محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مركز الاسكندرية للكتاب ٢٠٠٣م،

السواحل وإنذار أهلها بأي خطر قد يتهددهم^(١) ومن أهم هذه المناطق الساحلية مدينة طرطوشة حيث كانت أحد ثغري مدينة سرقسطة ومخرجها إلى البحر ومن أمثلة الأربطة فيها رابطة كشكي^(٢) ورابطة كشطالي^(٣).

٣- المصلى أو الشريعة:

هو مكان خُصص لأداء بعض الصلوات في الهواء الطلق، ويقع خارج سور المدن مباشرة في أرض منبسطة وواسعة وفي أوقات معينة كصباح أول يوم العيد (أول شوال ونهاية صوم رمضان) واليوم العاشر من ذي الحجة (اليوم الأول لعيد الأضحى) حيث يجتمع المسلمون بعد شروق الشمس في ذلك المصلى لأداء صلاة الجماعة، فكان لكل مدينة من المدن الأسبانية المسلمة مصلى خاص بها^(٤) وقد ذكرت المصادر أمثلة كثيرة عن المصليات في بعض المدن الأسبانية، ولكنها للأسف لم تزودنا ببعض الأمثلة عن المصليات في مدينة سرقسطة.

= ص (١٧٢).

(١) العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص (٢٩٠) وما بعدها.

(٢) الزهري: الجغرافية، ص (١٠٣).

(٣) الأدريسي: محمد بن محمد بن عبد الله: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص (٥٥٥/٢).

(٤) بلباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ترجمة من الأسبانية إليودوردي لابنبا، مراجعة ناديا جمال الدين وعبدالله العمير، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ص (٣٢٥) وما بعدها.

المبحث الثاني: العمارة المدنية

✦ تخطيط مدينة سرقسطة:

تقع سرقسطة على ضفاف نهر إبرو الذي يحاذي سورها من الشمال والجنوب وبنيت سرقسطة على شكل الصليب^(١) وأحيطت سرقسطة بسور كله مبني من الرخام الأبيض ومعقود في داخله بالرصاص وهو من الكذان المنحوت المدخل ذكراً في انثى^(٢).

وفي سورها أربعة أبواب: باب إذا طلعت الشمس في الصيف قابلته عند بزوغها فإذا غربت قابلت الباب الذي يليه من الغرب وإذا طلعت في الشتاء قابلت الباب القبلي أو الجنوبي فإذا غربت قابلت الباب الذي يليه^(٣).

ونلاحظ أن أبواب مدينة سرقسطة روعيت في أماكنها حركة الشمس ولاشك أن المظهر العمراني العام للمدن في الدولة الإسلامية يتشابه إجمالاً، ويبدو ذلك ماثلاً في النظام التخطيطي لهذه المدن شرقية كانت أم مغربية، وفي توزيع مراكزها العمرانية، وفي ضيق شوارعها وتعرجها وتشعب طرقاتها، وفي أبنيتها عامة يكاد يكون واحداً، ويرجع العامل الرئيسي لهذا التشابه الواضح في السمات الهامة للعمران المدني إلى ما ذكرناه سابقاً من حرص المسلمين على إقامة مساجد جامعة في جميع المدن التي دخلت في فلك الإسلام، ومن المعروف أن المسجد الجامع كان دائماً الأساس الذي يقوم عليه التنظيم العمراني للمدينة الإسلامية

(١) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٢٢)، ياقوت: معجم البلدان، ص(٢١٢/٣)، الحميري: الروض المعطار، ص(٣١٧).

(٢) العذري: المصدر نفسه، ص(٢٣)، الزهري: الجغرافية، ص(٨١)، ابن الشباط: وصف الأندلس، ص(١٢٢)، الحميري: الروض المعطار، ص(٣١٧).

(٣) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٢١)، الحميري: الروض المعطار، ص(٣١٧).



والمركز الديني الذي تلتف حوله بقية مراكزها العمرانية وهو لذلك يتحكم في تخطيطها وفي توزيع المراكز العمرانية بها، وأهم الطرق المؤدية إلى ظواهر المدن وفي إسباغ السمة الإسلامية على جميع المؤسسات والمنشآت فإن من المعترف به أن النظام المعماري للمسجد الجامع أثر تأثيراً مباشراً على النظم المعمارية للأبنية الأخرى الدينية والمدنية، وكلها تأثرت بتخطيط الجامع من حيث وجود الصحن المركزي والأيوانات التي تحيط به، ولا يختلف في ذلك تخطيط الدار والقصر عن تخطيط الفندق والمارستان^(١).

والمدن الإسلامية تتألف عادة من بورتين رئيسيتين الأولى البويرة المركزية وتعرف بالمدينة، وفيها يقوم المسجد الجامع وقصر الإمارة أو الخلافة كما تتركز فيها الأسواق والقيساريات والفنادق (الخانات) والحمامات ومختلف أنواع المنشآت المدنية، ويحيط بها سور حصين مزود بالأبراج وتفتح فيه أبواب، والثانية الأرباض أو الضواحي وهي مراكز عمرانية تنشأ خارج الأسوار وتضم المراكز العمرانية المحدثّة خارج نطاق المدينة بأسواقها ومساجدها وحماماتها ومرافقها الخاصة^(٢).

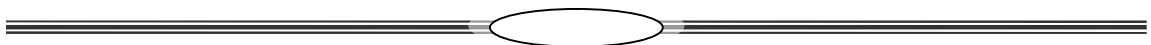
ومدينة سرقسطة شأنها شأن سائر مدن الأندلس حيث تزخر بالمنشآت المدنية كالقصور والحمامات والفنادق وغير ذلك من المنشآت التي تميز المدينة الإسلامية.

وينبغي أن نشير إلى أن تكاثر بلاط الأمراء في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي قد ساعد على توسيع المدينة وتطورها ويتضح ذلك في أسوارها^(٣) فقد أشرنا سابقاً أن مدينة سرقسطة يطوقها سور مانع ويدفع عنها

(١) عبدالعزيز سالم: التخطيط ومظاهر العمران، ص(٥٤)، كمال السيد: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي، مركز الإسكندرية للكتاب، ص(١٩٥).

(٢) كمال السيد: المرجع السابق، ص(٩٥).

(٣) بلباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص(١٢٥).



الغارات.

ومن أهم المنشآت المدنية في مدينة سرقسطة ما يلي:

﴿ القصور والدور:

كان أمراء الأندلس من بني أمية وخلفائهم ومن حذا حذوهم من ملوك الطوائف، يقيمون في قصر الإمارة أو الخلافة، وتقع عادة على مقربة من المساجد الجامعة، وأحياناً يلتمسون لأنفسهم الراحة في قصور يقيمونها للهو ومجالس الأناجس والتنعم بالحياة في إطار طبيعي من الرياض والبساتين والجداول بعيداً عن أنظار الرعية^(١) وفي القرن الخامس الهجري -الحادي عشر الميلادي، قامت في الأندلس قصور عظيمة كان يسكنها أمراء الأقاليم المختلفة منذ فقدت الأندلس وحدتها السياسية بعد سقوط الدولة الأموية ومن أهم هذه القصور قصر الجعفرية بسرقسطة^(٢).

﴿ قصر الجعفرية (Pulacio AlJaferia):

يعتبر قصر الجعفرية من الآثار الإسلامية البارزة في أسبانيا التي يجب علينا الوقوف عندها والتأمل في تاريخها المجيد قام ببناء هذا القصر أبو جعفر أحمد المقتدر بالله أشهر ملوك بني هود في سرقسطة، ويثبت ذلك وجود نقش بأحد تيجان أعمدته^(٣) وسمى بالجعفرية نسبة إلى كنيته (أبي جعفر) وكان هذا القصر من أعظم وأفخر القصور الملكية في عصر ملوك الطوائف، وقد اشتهر في تاريخ الفن الإسلامي باسم « دار السرور » وأطلق المقتدر على قصره اسم (مجلس

(١) عبدالعزيز سالم: القصور الإسلامية في الأندلس، مجلة المجلة، العدد العاشر، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧، ص(٨٧).

(٢) زكي م مدح ن: فنون الإسلام، دار الرائد العربي، القاهرة، ص(٦٢٧).

(٣) عبدالعزيز سالم: القصور الإسلامية في الأندلس، ص(٩٤).

الذهب^(١) وقد نظم شعراً يشيد فيه بما بناه وخاصة مجلس الذهب.

قصر السرور ومجلس
الذهب
بكما بلغت نهاية الأرب
كانت لدي كفاية الطلب^(٢)

✦ تخطيط وتصميم قصر الجعفرية:

يقع بناء هذا الصرح على مسافة قصيرة من ربض المدينة على نهر إبرو^(٣). ويحيط بالقصر من الخارج سور مستطيل الشكل طوله ٨٠م وعرضه ٦٨م، يدعمه تسعة عشر برجاً شكلها أسطواني^(٤) ويضاف إليها برج التكريم المربع الشكل بداخله عقود متجاورة، وفي وسط هذا السور صحن مستطيل حوله أروقة جانبية تطل عليها مجموعتان من الفرق تتوسط كلاً منهما قاعة وغرفتان جانبيتان، كما هو الحال في قصور بني نصر بغرناطة، وقصور المدجنين^(٥) وكان بناء هذا القصر من الملاط وتوجد قاعة كبرى بجانب برج التكريم، فأغلب الظن

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، ص (٢٠٢/٥-٢٠٤)، عنان: الآثار الإسلامية، ص (١٠٥)، مانويل جوميث مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة لطفي عبدالبديع والسيد عبدالعزيز سالم، راجعه جمال محمد محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص (٢٦٢).

(٢) المقرئ: نفع الطيب، ص (٤٤٢/١).

(٣) عبدالعزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٦م، ص (٦٤)، لطفي عبدالبديع: الإسلام في أسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م، ص (١٨٦-١٨٧)، مانويل: الفن الإسلامي في أسبانيا، ص (٣٦٢-٣٦٣).

(٤) يتشابه هذا القصر في إحاطة الأبراج المستديرة والقصور الإسلامية المنبثقة بالصحراء، ما بين سوريا والعراق كقصر المشتى والأخضر، في حين تتشابه تفاصيله المعمارية الداخلية وزخارفه والعناصر المعمارية والزخرفية للفن الخلافي (القرطبي). انظر: عبدالعزيز سالم: المساجد والقصور، ص (٦٥).

(٥) أي المسلمين الخاضعين للنصارى، عبدالعزيز سالم: المرجع السابق، ص (٦٥).

أنها مجلس الذهب الذي كان محبباً إلى نفس المقتدر بالله^(١) ويتصل بهذه القاعة في أحد جوانبها مسجد مئمن الشكل يقع محرابه في الجزء الجنوبي الشرقي وقبته قوقعية الشكل، ومدخله على شكل عقد متجاوز يشبه مدخل جامع قرطبة، والجدران الباقية من المسجد حول المحراب مزينة بعقود صماء تحملها أعمدة ملتصقة بالجدران مزخرفة من الأعلى^(٢).

وزخارف هذا المسجد من أروع ما أنتج الفن الإسلامي في الأندلس ولا زالت بعض الزخارف موجودة في متحف سرقسطة ومتحف مدريد .

ويقابل المسجد في الجانب الآخر من القاعة الكبرى قاعة أخرى تدعى « قاعة الرخام » وقد سميت بذلك لكثرة ما فيها من الأعمدة الرخامية، وزخارف هذه القاعة شاهد على المغالاة في الزخارف المعقدة التي اتجه إليها فن العمارة الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، وكانت قاعة الرخام قد اختفت حينما بنى الأسبان أمامها مقصورة سميت مقصورة « سان جورج » وحينما تم هدم جزء من هذه المقصورة برزت من جديد الزخارف الرائعة لقاعة الرخام التي تعتبر مع المسجد المقابل لها آية من آيات الفن المعماري الأندلسي^(٣) وقصر الجعفرية يعتبر قصراً وحيداً في آن واحد، وربما كان الحصن الوحيد من نوعه في العالم لأنه لا يقوم على جبل أو ربوة وإنما طرف البلد^(٤).

ولكن هذا القصر لم يدم طويلاً تحت سيطرة العرب والمسلمين، وذلك عندما سقطت سرقسطة في يد النصارى ٥١٢هـ - ١١١٨م تغيرت معالم ذلك القصر

(١) عبدالعزيز سالم: نفس المرجع والصفحة، لطفي عبدالبديع: الإسلام في أسبانيا، ص(١٨٦-١٨٧).

(٢) عبدالعزيز سالم: المساجد والقصور، ص(٦٥)، لطفي عبدالبديع: الإسلام في أسبانيا، ص(١٨٦-١٨٧).

(٣) عبدالعزيز سالم: المساجد والقصور، ص(٦٥-٦٦٩)، لطفي عبدالبديع، الإسلام في أسبانيا، ص(١٨٦-١٨٧).

(٤) مؤنس: رحلة الأندلس، الدار السعودية، الطبعة الثانية، الدمام، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص(٢٤٥).



واختفى طابعه كقصر ملكي، ومنذ ذلك التاريخ أصبح القصر ديراً نصرانياً، ثم اتخذه ملوك أرغون حصناً وألحقت به عدة مقصورات دينية، ثم أضيفت إليه في عهد الملكين الكاثوليكين (فرناندو) و(إيزابيلا) إضافات وتغييرات، وفي عهد (إيزابيلا) الثانية تحول القصر إلى معسكر، فهدمت المقصورة الكبرى التي شيدها « بدر والرابع » وجردت منها زخارفها الإسلامية، ويصف أحد المستشرقين الأسباب ذلك العمل بأنه «عمل بربري يندى له الجبين ومن أشد النقط سواداً في تاريخ أسبانيا»^(١) وبذلك العمل الهمجي أزيلت من الوجود واحدة من أبرز ملامح الحضارة الإسلامية في الأندلس، إلا أن هناك بقايا متناثرة في متحف سرقسطة ومدريد على شكل تيجان وأعمدة وعقود جصية^(٢).

ويستعمل قصر الجعفرية الآن تكتة عسكرية ومخزناً للسلاح، ويوجد فيه كميات وافرة من البنادق والمدافع^(٣).

❖ الحمامات:

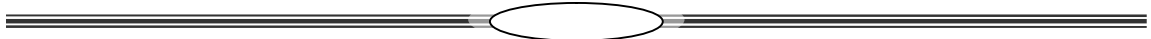
يعتبر الحمام من المنشآت المدنية الهامة في المركز العمراني الاجتماعي بالمدينة الإسلامية، وكانت كثرة الحمامات وتعددتها في المدن الإسلامية إحدى الظواهر البارزة في المجتمع الإسلامي، فكانت للحمامات أهمية عظمى في الحياة الاجتماعية الأندلسية، باعتبار أن عادة الاستحمام كانت من العادات المتأصلة بعمق في الإسلام وكان الحمام هو المكان الذي يحس فيه المرء ببهجة الحياة كما أنه يولد في النفس إحساساً بالراحة ويحدث فيها شعوراً بانتعاش بدني روحي، وكان له هدف ديني إذ إنه يظهر جسد المرء مما علق به من دنس، وهذا يوضح

(١) عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص(١٠٦)، عبدالعزيز سالم: المساجد والقصور، ص(٦٤).

(٢) عبدالعزيز سالم: نفس المرجع والصفحة.

(٣) عنان: الآثار الأندلسية، ص(١٠٥)، ما نويل: الفن الإسلامي، ص(٢٦٢)، أرسلان: الحلل،

ص(١١٨/٢).



لنا أن الحمامات تكثر بالقرب من المساجد حيث يتيسر للمسلمين الاستحمام والتطهر مباشرة قبل دخول المساجد، وكان الحمام إضافة إلى ذلك كله مركزاً للاجتماعات المرححة ومجالس الأُنس^(١).

وكان الحمام الأندلسي بوجه عام يتألف من مدخل يؤدي إلى ثلاث أو أربع غرف مقببة تتخذ شكلاً مستطيلاً أو مربعاً، وهذه الغرف تتصل فيما بينها، كما كانت توجد أيضاً ملحقات الحمام من الموقد وغرف الخدمة وغير ذلك، وكانت الغرفة الأولى، تسمى « بيت المسلخ » وهي غرفة خاصة بخلع الثياب يليها « البيت البارد » ودرجة حرارتها أكثر ارتفاعاً من درجة حرارة الغرفة السابقة، ثم يلي ذلك غرفة أخرى تعرف « بالبيت الوسطاني » وتعتبر هذه الغرفة من أهم أجزاء الحمام حيث يتوسطها فراغ مركزي تعلوه قبة ويحيط به أربعة ممرات مقببة تحملها عقود قائمة على أعمدة ويتخلل هذه القبوات فتحات نجمية الشكل تسمى « مضايوي » لإدخال الضوء، وينتهي الحمام « بالبيت الساخن » وهي غرفة تبلغ درجة الحرارة فيها أقصاها، وتقام بجوانبها الأحواض التي تصب فيها صنابير المياه الساخنة والباردة، ولذا فعندما ينتهي الشخص من الاستحمام ويخرج فإنه يقابل درجة حرارة تتدرج في الانخفاض حتى الطريق^(٢).

وكانت الحمامات عادة تزين جدرانها بالرسوم الجميلة التي تبعث في النفس الراحة والسرور^(٣). ولقد تبقى عدد كبير من الحمامات الإسلامية في الكثير من المدن الأسبانية ومنها مدينة سرقسطة حيث يذكر أحد المؤرخين « أنه يوجد قبو في منزل خاص، يقع في شارع سرقسطة الكبير، المسمى، شارع كوسو (Cosso)

(١) بلباس: الأبنية الإسلامية، ص(١٠٨)، عبد العزيز سالم: التخطيط ومظاهر العمران، ص(٦١).

(٢) بلباس: الأبنية الإسلامية، ص(١١٠-١١١)، عبد العزيز سالم: التخطيط ومظاهر العمران، ص(٦١).

(٣) بلباس: الأبنية الإسلامية، ص(١١١).

توجد به بقايا حمامات عربية^(١) وتعتبر من الآثار الأندلسية الباقية.

❖ القيسارية والأسواق:

يقصد بالقيسارية في مدن الأندلس السوق المشيدة بالبناء التي كانت تقام بالقرب من المساجد الجامعة لتجارة المنسوجات الحريرية والديباج وصنوف الثياب الفاخرة، وتوزع فيها حوانيت صغيرة المساحة على جوانب الدروب التي تشق القيسارية^(٢) وكانت الحوانيت الإسلامية بالأندلس بصفة عامة عبارة عن أماكن ضيقة قليلة الارتفاع وعلى هذا كان البائع لا يحتاج لأن يتحرك من مكانه كي يحضر السلع عن مواضعها كما كان للحنوت باب واحد يفتح مباشرة على الشارع، أما أبواب الحوانيت فكانت تغلق بألواح متحركة تربطها مزاليج محكمة، وكان يعلوها مظلة مائلة من الخشب أو الحصير تقي البائع وعملاءه من حرارة الشمس أو المطر^(٣).

أما السوق فهي لا تعني موضعاً محدداً بحدود ثابتة وإنما يقصد بها المواضع التي يتجمع فيها التجار والباعة وتقام فيها الحوانيت للبيع والشراء على نحو متواصل فالسوق قد يكون في عديد من الشوارع أو في ميدان (رحبة) أو في الأرباض قرب أبواب المدينة وكانت المدن الأندلسية عامرة بالأسواق التجارية بحيث لا يمكننا أن نجد مدينة واحدة تخلو من سوق وربما كان لها سوقان أو أكثر في آن واحد^(٤) ومن بين هذه المدن سرقسطة حيث كانت من أهم مراكز تجارة

(١) عنان: الآثار الأندلسية، ص(١١١).

(٢) كمال السيد: تاريخ مدينة بلنسية، ص(٢٣٠).

(٣) عبد العزيز سالم: التخطيط ومظاهر العمران، ص(٥٧).

(٤) كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الاسكندرية للكتاب، ص(٢٩٦)، بلباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص(٤٤٠).

الرقيق في الأندلس^(١).

الفنادق:

تحتل الفنادق (الخانات) في مدن الأندلس مكانة هامة بين مراكزها العمرانية فكانت إلى جانب وظيفتها في التخزين والبيع مأوى للتجار الغرباء، وتقام الفنادق عادة بجوار المساجد الجامعة حيث يكثر الرحالة والمسافرون^(٢).

ويسمى الفندق باسم الأشياء التي تباع فيه أو باسم صاحبه أو بحسب أي ظرف آخر، فكانت هناك فنادق للحبوب وأخرى للفحم^(٣).

وتشبه هذه الخانات في نظامها بناء الخانات في المغرب الأقصى، الحالي فالخان يتألف من صحن مستطيل تحف به أربعة أروقة تشتمل على حجرات، وأهمية الأروقة أنها تظل التجار والحيوانات والبضائع حتى لا يبقوا في العراء، والطابق الأرضي يخصص للمتاجر والإصطبلات، والعلوي، يشتمل على حجرات للضيوف وكذلك مخازن تجارية^(٤).

وفي كثير من الخانات نجد الأروقة قائمة على قوائم خشبية توصل بينها قطع خشبية ولكن في بعض الخانات الغنية كانت تقام على دعائم من الطوب الأحمر تدل عوارض خشبية، وبوسط الصحن نافورة.

وكان يعين خادم خاص على باب الخان يسمى (فندقي) ويشترط فيه أن يكون متقدماً في السن وقوراً أميناً ولم يكن من المرغوب فيه أن يشتغل الشباب أو

(١) السقطي: محمد بن أبي محمد: في آداب الحسبة، تحقيق د. حسن الزين، دار لفكر الحديث، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ص(٦٩-٧٠).

(٢) بلباس: المدن الأسبانية، ص(٤٥٢).

(٣) بلباس: المرجع السابق، ص(١١٨).

(٤) بلباس: المرجع السابق، ص(١١٨).

النساء هذه الوظيفة^(١).

وظلت الخانات في مدن الأندلس في العصور الوسطى وفيما بعدها تقوم بنفس وظائفها التي كانت لها أثناء الحكم الإسلامي وخاصة بيع القمح، ولكنها أخذت تفقد طابع الضيافة شيئاً فشيئاً، واقتصرت في النهاية على تخزين الغلال وبيعها^(٢).

ويؤخذ على هذه الخانات بناؤها المتواضع الذي يضم عدداً كبيراً من الغرف العادية ومن الأثاث ما لا يجد فيه للمسافر سوى غطاء يتدثر به وحصير ينام عليه، أما الخيول والدواب فكانت تربط في صحن الفندق أو الخان^(٣).

✪ الأرباض:

ومفردها ربض، وهي كما ذكرنا سابقاً الأحياء المتطرفة أو الضواحي ومن أهم الأرباض في مدينة سرقسطة ربض الدباغيين، الذي أشرنا إليه سابقاً، وربض صنهاجة (Cineja) ويقع غرب مدينة سرقسطة^(٤).

✪ المقابر:

كانت المقابر تقع خارج أسوار المدينة على مقربة من الطرق المؤدية إلى الأبواب الرئيسية لسور المدينة^(٥)، ومن أهم المقابر في مدينة سرقسطة مقبرة باب القبلة (Bab AL- Qibla) أو مقبرة الباب الجنوبي وترجع هذه التسمية إلى قرب

(١) بلباس: الأبنية الأسبانية، ص(١١٩).

(٢) بلباس: المرجع السابق، ص(١٢٠).

(٣) كمال السيد: تاريخ بلنسية، ص(٢٣٢).

(٤) بلباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص(٢٧٦-٢٧٧).

(٥) كمال السيد: محاضرات في المغرب والأندلس، ص(١٧٤).

المقبرة من ذلك الباب^(١).

وجدير بالذكر أن مدينة سرقسطة لم تحتفظ بأية بقايا أو آثار قبرية بها كتابات^(٢).

الشوارع والرحبات:

تتميز مدينة سرقسطة شأنها شأن سائر مدن الأندلس بشبكة معقدة من الشوارع والدروب الضيقة وقد استطعنا التوصل إلى أسماء بعض شوارع هامة في مدينة سرقسطة منها شارع السوق (Callede Azoque)^(٣) وشارع أبو خالد الذي يقع في ربض صنهاجة في الجزء الغربي من المدينة^(٤).

القناطر والجسور:

قنطرة سرقسطة عبارة عن جسر من الحجر الجيري، وترجع إلى أصل روماني^(٥) وقد دمرت السيول قنطرة سرقسطة كما حدث سنة ٢١٢هـ - ٨٢٧هـ ثم جددت عمارتها^(٦).

(١) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٢٢)، الحميري: الروض المعطار، ص(٣١٧)، بلباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص(٣٨٥)، ويذكر لنا الحميري أن أحد حكام مدينة سرقسطة أراد أن يبني ضريحاً به قبة على قبر اثنين من التابعين وهم حنش الصنعاني وعلي بن رباح حيث دفنوا في مقبرة باب القبلة ولكن تراجع عن ذلك بعدما قالت له امرأة معروفة بالصلاح والتقوى إنها رأتهما فيما يرى النائم وأخبرها أنهما يكرها أن يبني على قبريهما شيء. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص(٣١٧).

(٢) بلباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص(٣٨٦).

(٣) بلباس: المرجع السابق، ص(٤٦٧)، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص(٣٠٢).

(٤) بلباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص(٤٨٣).

(٥) محمد رضا: الثغر الأعلى الأندلسي في القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ص(١١٧/١).

القويسات:

كانت المدن الإسلامية تزين بالأقواس المبنية على مداخل الأحياء والشوارع والدروب التي كانت تغلق إجبارياً في الليل للمحافظة على أمن تلك المدن، ومدينة سرقسطة هي المدينة التي كثرت فيها القويسات، كبقايا ماضيها الإسلامي^(٢).



(٢) السامرائي: الثغر الأعلى، ص(٤٨)، ويذكر ابن عذاري (في نة ٢٢٤ أغزى الإمام عبدالرحمن ابنه الحكم إلى دار الحرب وأمره بالتجول في جهات الثغور ليتعرف أخبارها ومصالحها، وأمر بإصلاح قنطرة سرقسطة). انظر: ابن عذاري: البيان، ص(٨٥/٢).

(٢) بلباس: المدن الأسبانية الإسلامية، ص(٥٧٣).

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

وفيه مبحثان : -

✿ المبحث الأول: الحياة الاقتصادية.

✿ المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية.

* * * * *

المبحث الأول: الحياة الاقتصادية

حظيت مدينة سرقسطة بشهرة اقتصادية كبيرة في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة.

١- الزراعة:

تمثلت الزراعة في سرقسطة في المزارع والحدائق والبساتين التي تميزها عن غيرها من مدن الأندلس فقد كانت تحيط بها الجنات والبساتين الخضراء المتصلة^(١).

كما أن بساتين سرقسطة الغناء كانت في غاية البداعة حتى أطلق عليها «عروس الأمبرو» وهو النهر الذي تقع عليه^(٢). ولكثرة بساتين سرقسطة شبهها موسى بن نصير بغوطة جلق الشام^(٣). وإضافة إلى ذلك كانت سرقسطة من أطيب البلدان بقعة وأكثرها ثمرة، فكانت غزيرة الخيرات كثيرة البركات^(٤). كذلك اشتهرت سرقسطة بفواكهها العذبة التي كان لها فضل على سائر فواكه الأندلس^(٥).

ومما سبق نستنتج أن مدينة سرقسطة مدينة زراعية، وقد قامت الزراعة في

(١) المراكشي: المعجب، ص(١٢٤)، الحميري: الروض المعطار، ص(٣١٧)، أبي الفداء: تقويم البلدان، ص(١٨١).

(٢) ابن حزم: طوق الحمامة، ص(٥٤)، هامش (٢).

(٣) المقرئ: نفع الطيب، ص(١٥٠/١)، أرسلان: الحلل، ص(١١٩/٢).

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٢٢)، ابن الشباط: وصف الأندلس، ص(١٢٢)، الحميري: الروض المعطار، ص(١٣٧)، القزويني: زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ص(٥٣٤).

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ص(٢٤٠/٣).

أراضيها الخضراء للاعتبارات التالية:

١-توافر المياه:

تتوفر بسرقسطة مياه الري التي تعتبر من أهم المقومات لقيام الزراعة وازدهارها عن طريق ثلاثة مصادر:

أ-الأنهار: وتشمل نهر الإبرو^(١) وروافده:

يتكون منبع نهر إبرو من جبال كنتبرية غربي منطقة رينوزة (Reinosa) على بعد ٣٠ كم من خليج بسكاي^(٢) بالإضافة إلى منابعه الأخرى من مرتفعات ألبه والقلاع ويدخل نهر الإبرو في منطقة الثغر الأعلى عند مدينة قلهرة (Calahorra) وبعد دخوله منطقة الثغر تصب فيه روافد كثيرة من الجهة اليمنى والجهة اليسرى، ومن أهم روافد الجهة اليسرى ما يلي:

١-رافد إيجه (Ege) الذي تقع عند مصبه مدينة قلهرة.

٢-رافد أرغه (Arga) الذي تقع عليه مدينة بنبلونة عاصمة النافار^(٣).

٣-رافد أرغون الذي تقع على أحد فروعه مدينة جافة (Jaca)^(٤).

٤-رافد وربه (Huerva) الذي تقع عليه مدينة شية (Jaca)^(٥).

(١) ولهذا النهر عدة مسميات مثل النهر الأعظم ونهر الزيت، ونهر طرطوشة. انظر: حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، الطبعة الأولى، ١٣٨٦ هـ- ١٩٦٧ م، مدريد، ص(٦٣) السامرائي: الثغر الأعلى، ص(٤٩) الهامش (٢).

(٢) العذري: نصوص، ص(٢٢) ويسمى المنطقة جبل البشكنس، أرسلان: الحلل، ص(٦٨/٢).

(٣) أرسلان: المرجع السابق، ص(١١٥/٢).

(٤) مدينة جافة: هي قاعدة مقاطعة شبرب (Sobrarba) وهي إحدى الإمارات النصرانية التي ظهرت في شمال الثغر الأعلى. انظر: أرسلان: المرجع السابق، ص(١٨٣/٢).

(٥) كان قومس (comes) إقليم شية (فرتون) وهو الجد الأعلى لأسرة بنى قسى، انظر: ابن حزم:



- ٥- رافد جلق (Gauego) الذي يصب في نهر إبرو عند مدينة سرقسطة^(١).
- ٦- رافد شيقر (Csegre) الذي يتألف من ثلاثة روافد وهي شيقر ورافد الزيتون ورافد فلو من^(٢).

أما روافد نهر الإبرو من الجانب الأيمن فهي ما يلي:

- ١- رافد الحامة (Alhama) الذي يصب في نهر إبرو شمالي مدينة تطيلة^(٣).
- ٢- رافد شلون (Jalan) الذي تقع عليه مدينة قلعة أيوب^(٤).
- ٣- رافد كالش الذي يصب في نهر إبرو عند مدينة تطيلة^(٥).
- ٤- رافد شلوقة (Jiloca)^(٦) الذي تقع عليه مدينة دروقة (Daraca)^(٧)

= جمهرة أنساب العرب، ص(٥٠٢).

(١) رافد جلق: أصل الاسم عند الأسبان غاليقو (Gallego) ولكن العرب سموه جلق، وقيل إن موسى بن نصير لما وصل إلى سرقسطة وشرب من مائه استعذبه وسأل عن اسم النهر فذكر والده اسمه، فقال: إذاً هو نهر جلق"، ولسرقسطة عدة أقاليم أشهرها إقليم جلق على اسم الرافد. انظر: العذري: نصوص، ص(٢٤)، ابن سعيد: المغرب، ص(٤٣٤/٢)، أرسلان، الحلل، ص(١١٩/٢).

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٥٦)، ابن غالب فرحة الأنفس، ص(٢٨٦)، الحميري: الروض المعطار، ص(٥٠٧).

(٣) الحامة أو الحمة: العين الجارية التي يستشفى بها المرضى انظر: ياقوت، معجم البلدان، ص(٣٠٦/٢).

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٢٢).

(٥) يذكر ابن عذاري نهر كالش باسم نهر كالس. انظر: ابن عذاري: البيان، ص(١٧٢/٢).

(٦) يذكر العذري أنه في إقليم زيدون أحد أقاليم سرقسطة: «من ناحية مدينة فلوداه ينفجر نهر شلوقة، ثم يمضي حتى يواقع نهر شلوف» انظر: العذري، نصوص عن الأندلس، ص(٢٤).

(٧) دروقة: مدينة من أعمال قلعة أيوب تقع على سفح جبل، وبينها وبين قلعة أيوب ٨٠ ميلاً بناها الأمير محمد لأسرة بني تجيب، انظر: العذري، نصوص عن الأندلس، ص(٤١)، الحميري:

=

ويصب هذا النهر غربي مدينة سرقسطة^(١).

٥- رافد وربه (Huervy) والذي يسمى بلطش أيضاً ويصب في نهر الإبرو عند مدينة سرقسطة^(٢).

٦- رافد وادي لوب (Guadlob)^(٣).

ثم يصب نهر إبرو في البحر المتوسط بدلثا واسعة^(٤) حيث ينشطر عند مصبه إلى فرعين بينهما دلثا تسمى جزيرة بودا (Buda)^(٥).

ويبلغ طول نهر إبرو من منابعه إلى مصبه حوالي ٢٠٤ أميالٍ أي نحو ٣٠٠ كيلومتر^(٦) ومما هو جدير بالذكر أن نشير إلى ما قاله ابن خاقان عن نهر سرقسطة في ظل بني هود حيث يقول: « إن المستعين بالله أحمد بن المؤتمن بن هود الجذامي صاحب سرقسطة والثغور ركب نهر سرقسطة يوماً لتفقد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله وهو نهر غزر مأوه وراق، وأزرى على نيل مصر ودجلة والعراق، قد اكتنفته البساتين من جانبيه، وألقت ظلالها عليه، فما تكاد عين الشمس أن تنظر إليه، هذا على اتساع عرضه وبعد سطح الماء من أرضه، وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهالة وأحاطت به إحاطة الطفاوة بالغزالة، وقد أعدوا من مكاييد الصيد ما استخراج ذخائر الماء، وأخاف حتى حوت

= الروض المعطار، ص(٦٦).

(١) العذري: المصدر نفسه، ص(٢٢).

(٢) العذري: المصدر نفسه، ص(٢٢)، القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص(٥٣٤).

(٣) أرسلان: الحل، ص(١٩٧/٢).

(٤) أرسلان: المرجع السابق، ص(٢٧/١-٢٨).

(٥) الحميري: الروض المعطار، ص(١٥٠) ذكر هذه المنطقة باسم القبيطل وسماها أيضاً بالعسكر وانظر: عن جزيرة بودا: أرسلان: الحل، ص(٢٧٠/٢).

(٦) مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص(٦٣).

السما، وأهلة الهالات طالعة من الموج في سحاب وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب، فلا ترى إلا صيوداً كصيد الصوارم، وقدود اللهازم ومعاصم الأبكار النواعم، فقال الوزير أبو الفضل ابن حسداي والطرب قد استهواه وبديع ذلك المرأى استرق هواه:

لله يوم أنيق واضح الغرر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا
نسير في زورق حف السفين به
مدّ الشراع به شراً على ملك
هو الإمام المستعين حولى
مفضض مذهب الآصال والبكر
فيه بعثى وأبدي صفح معتذر
من جانبيه بمنظوم ومنتثر
بذ الأوائل في أيامه الآخر
علياء مؤتمن في هدى مقدر ..
١١ (١)

ومما سبق يتبين لنا أن منطقة الثغر الأعلى عامة وسرقسطة خاصة تعتمد على الأنهار بشكل كبير لزراعة أراضيها، لاسيما أن مدينة سرقسطة ذاتها مبنية على الأنهار^(٢).

ب- العيون:

وهي المصدر الثاني للمياه في سرقسطة وتعتمد عليها بصورة خاصة المدن والقرى التي تكون بعيدة الموقع عن الأنهار، حتى إن أهل الأندلس كانوا يوصفون بأنهم يونانيون في استنباطهم للمياه^(٣).

(١) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص(١٥٨-١٨٦)، الأزدي: علي بن ظافر: بدائع البدائة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص(٣٦٧-٣٦٨) العمري: ابن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق احمد زكي باشا، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، ١٣٤٢هـ- ١٩٢٤م، ص(٧٦/١-٧٧).

(٢) ويذكر العذري أن مدينة سرقسطة بنيت على خمسة أنهار ومنها نهر الإبرو وجلق وشلون ووربه ونهر فنتش. انظر: العذري: نصوص الأندلس، ص(٢٢).

(٣) ابن غالب: محمد بن أيوب: فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، قطعة نشرها لطفي عبدالبديع، مجلة =

وتتوفر العيون في مدينة سرقسطة في الأماكن التالية:

١- في إقليم بلشر أحد أقاليم سرقسطة ويقول العذري في ذلك « عين ينبعث بماء غزير له محبس إذا أحب أهله إطلاقه أطلق، وإذا أحبوا حبسه حبس، قد دبَّه الأولُ على هذا، وأجروه في صخر منقوب يوثق فيه ويطلق منه وعلى رأس ثلاثين ميلاً من مدينة سرقسطة »^(١).

٢- في قرية بلطش بالقرب من سرقسطة بجانب نهر وره توجد عين بلطش ويذكر لنا العذري: (وقرب بلطش قرية فيها عين يابسة العام كله، فإذا كان أول ليلة من شهر أو غشت انبعث بالماء من تلك الليلة، ومن الغد إلى حد الزوال، فإذا غربت الشمس جف فلا يجري فيها ماء أصلاً إلى تلك الليلة)^(٢).

٣- إقليم فنتش (Fuentes) أحد أقاليم سرقسطة، ويذكر لنا العذري، وجود عين غزيرة المياه تسقي نواحي مدينة نوبة، وتسير مياهها في قنوات مجهزة للري والزراعة بطول عشرين ميلاً حتى تصب في نهر إبرو^(٣).

ج- الأمطار:

يعتبر حوض نهر الإبرو من بين أجف مناطق أسبانيا، بسبب إحاطة المرتفعات بمعظم جوانبه وعزلته عن التأثيرات البحرية ووقوعه في ظل مطر جبال البرت^(٤).

وهناك رياح قطبية تسمى حديثاً ليفانتي (Liveante) تهب من الشمال أو

= معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، ربيع الأول ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥، ص(٢٨١).

(١) العذري: نصوص، ص(٢٤).

(٢) العذري: المصدر السابق، ص(٢٤).

(٣) العذري: المصدر السابق، ص(٢٤).

(٤) السامرائي: الثغر الأعلى، ص(٤٧).

الشمال الشرقي وتكون في الغالب مصحوبة بسقوط مطر غزير يتحول ذلك على الجبال وتعتبر مصادر مياه هامة لحوض نهر الإبرو وروافده^(١).

٢-توفر التربة الصالحة:

اشتهرت مدينة سرقسطة بأراضيها الخضراء البديعة، وذكرنا في السابق أنها مبنية على الأنهار فزاد ذلك في خصوبة أراضيها، ومن أهم تلك الأنهار نهر إبرو الذي يجري في جنوبي شرقيها وفيه وادي كسبة وافر الخصب كثير الحاصل^(٢).

ونتيجة لتوفر التربة الصالحة للإنبات في سرقسطة ازدهرت الزراعة فيها وكثرت محاصيلها الزراعية بمختلف أنواعها، ولكثرة الفواكه في أراضيها استعمل أهل سرقسطة الفواكه سماطاً للأرض^(٣).

٣-توفر المناخ الملائم:

يتميز مناخ سرقسطة بما فيها حوض نهر الأبرو بالجفاف لوقوعه في منطقة ظل مطر جبال البرت التي تكون حاجزاً مناخياً فاصلاً وإحاطة المرتفعات بحوض النهر في معظم جوانبه، وبالتالي عزلته عن التأثيرات البحرية^(٤) وبالرغم من أن مناخ مدينة سرقسطة ينتمي إلى مناخ البحر المتوسط كان فيه شيء من القارية حيث يتميز مناخ البحر المتوسط بتوسط أمطاره في نصف السنة الشتوى، كما يتميز شتائه بالاعتدال وبالسماة المشمسة الساطعة التي يكون لها أثر في

(١) السامرائي: المرجع نفسه، ص(٤٨)، الهامش (٥).

(٢) البستاني: دائرة المعارف، ص(٥٧٨/٩).

(٣) الحميري: الروض المعطار، ص(٣١٧).

(٤) السامرائي: الثغر الأعلى، ص(٤٧).

نضج الفاكهة^(١).

فقد ساعد ذلك المناخ على نمو مختلف أنواع المحاصيل.

٤- توفر العامل البشري:

من أهم مقومات الزراعة توافر العناصر البشرية، فقد سكنت مدينة سرقسطة القبائل العربية وكان معظمها من القبائل اليمينية المشهورة بمعرفة أحوال الزراعة والري فقد اشتهر أهل اليمن من قديم الزمان ببناء السدود لخرن مياه الأمطار واستخدامها في الزراعة^(٢).

ومما لا شك فيه أن وجود مثل هذه القبائل اليمينية التي اشتهرت بمعرفتها للزراعة وما يرتبط بها من أعمال كان له دور كبير في ازدهار الزراعة في مدينة سرقسطة وتنوع محاصيلها الزراعية.

وجدير بالذكر أن الثغر الأعلى بصفة عامة هو مجتمع زراعي يعتمد على بعض الحيوانات في حرث الأرض ويستفيد من بعضها الآخر في الأكل والحمل، فكانت تربية الحيوانات في الثغر الأعلى من الأمور المألوفة، حيث تنتشر المراعي الخضراء في بعض مدنه ومنها لا ردة وتطييلة وطرطوشة^(٣).

(١) السامرائي: المرجع نفسه، ص(٤٨) الهامش (٢).

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٦٨م، ص(١٦٠/٧-١٦١)، مؤنس: رحلة الأندلس، ص(٢٣١).

(٣) الحميري: الروض المعطار، ص(١٣٣-٣٩٠-٣٩١).

أهم المحاصيل الزراعية بمدينة سرقسطة:

تشتهر مدينة سرقسطة بزراعة الحبوب، وتعتبر هذه الحبوب من المواد الضرورية التي يخزنها السكان في سراديب خاصة تكون مؤنة لهم عند الحاجة^(١) ومن أهم محاصيلها:

١- القمح والفلو والحمص:

حيث يوجد بها القمح من مائة عام، والفلو والحمص من عشرين سنة وأكثر^(٢) فمن خواص مدينة سرقسطة أنه لا يتسوس فيها شيء من الطعام ولا يعفن من جميع الفواكه والحبوب.

٢- الزيتون:

يعتبر الزيتون من المحاصيل الزراعية التي يكثر إنتاجها في مدينة سرقسطة^(٣).

٣- العنب والخوخ والأجاص (الكمثرى).

اشتهر أهالي مدينة سرقسطة بتجفيف الفاكهة ومنها العنب حيث تكثر زراعته في سرقسطة ويتميز بخصائص معينة منها كبر الحجم كما احتفظوا به معلقاً لمدة طويلة^(٤).

وأيضاً من الفواكه المجففة في سرقسطة الخوخ والكمثرى^(٥).

(١) القزويني: أثار البلاد، ص(٥٤٥).

(٢) الزهري: الجغرافية، ص(٨٢٩)، المقرئ: النفع، ص(١٩٧/١).

(٣) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٥٦)، ياقوت: معجم البلدان، ص(٢٢٧/١).

(٤) العذري: المصدر نفسه، ص(٥٦)، الزهري: الجغرافية، ص(٨٢).

(٥) الزهري: المصدر السابق، ص(٨٢)، المقرئ: النفع، ص(١٩٧/١).

٤- التفاح:

تكثر أشجار التفاح في أقاليم سرقسطة ، ولكثرة بساتين التفاح أصبحت هذه الفاكهة رخيصة السعر جداً ، حتى إن أهل سرقسطة في كثير من الأحيان يستعملون الفواكه سماناً للأرض لأن ثمنها لا يسد أجور النقل^(١).
وأيضاً كان وسق التفاح يباع بسعر الأبطال اليسيرة من غيره من المحاصيل^(٢).

٥- التين والقراسيا:

يكثر إنتاج التين في سرقسطة ويشتهر أهلها بتجفيفه^(٣) وأيضاً من فواكه سرقسطة القراسيا (حب الملوك)^(٤) وهو من الفواكه المجففة عندهم.

(١) الحميري: الروض المعطار، ص(٣١٧).

(٢) الحميري: المصدر نفسه، ص(٣١٧).

(٣) الزهري: الجغرافية، ص(٨٢).

(٤) المقرئ: النفع، ص(١٩٧/١).

٢- الصناعة:

١- صناعة النسيج:

اشتهرت مدينة سرقسطة بصناعة المنسوجات، فقد كان سكان سرقسطة غاية في المهارة في صناعاتهم، فيصنعون أقمشة قيمة ذات شهرة عالمية، وهي الثياب المعروفة بالسرقسطية.

وفي ذلك يقول عدد من المؤرخين « ولأهل سرقسطة فضل الحكمة في صنعة السمور^(١) والبراعة فيه بلطف التدبير (يقوم بطرزها بكمالها) منفردة بالنسيج في منوالها ولا تحكى في أفق من الآفاق، وهي الثياب المعروفة النسبة بالسرقسطية^(٢) ».

ويذكر المقرئ نقلاً عن الحجاري في المسهب ، أن السمور الذي يعمل من وبرة الفراء الرفيعة يوجد في البحر المحيط بالأندلس من جهة جزيرة بريطانيا، ويجلب لسرقسطة^(٣).

تعتبر هذه المنسوجات المعروفة بالثياب السرقسطية من الصناعات التي انفردت بها سرقسطة عن غيرها من مدن الأندلس.

٢- الملح الذرءاني:

يوجد في سرقسطة منجم لملاح معدني يسمى بالملح الذرءاني، شديد البياض

(١) حيوان بري يشبه السنور ويمتاز بالجرأة على الإنسان ولا يصاد إلا بالحيل وذلك بأن يدفن له جيفه فيغتنال بها ويتخذ منه الفراء، الدميري: كمال الدين: حياة الحيوان الكبرى، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ، ص(٣٤/٢).

(٢) انظر: العذري: نصوص، ص(٢٢)، ابن غالب، فرحة الأنفس، ص(٢٨٧)، ياقوت، معجم البلدان، ص(٢٤٠/٣).

(٣) المقرئ: النفع، ص(١٩٧/١).

والصفاء^(١) ولا يوجد في غيرها من مدن الأندلس.

ويصفه ابن الشباط^(٢) ويتناول كلمة ذرءاني بالشرح والتحليل فيقول إنها من الذرءارة وهو بياض الشيب والمعنى هنا مجازى أي الملح الأبيض، ثم يضيف ولا تقل ذرءاني بالبدال المعجمة ولكن بالذال المنقوطة وهذه الإشارة مهمة، لأن بعض الكتاب كتبها بالبدال^(٣).

وفي هذا الصدد يذكر لنا العذري أن: « من أهلها من يقول إن فيها طلسمًا للحنائش ومنهم من يقول إن أكثر مدينة سرقسطة مبني من الرخام الذي يجلب إليها، وهو رخام رخو، وهو صنف من الملح الذراني الذي لا تقدر الحنائش على دخول موضعه »^(٤).

٣- الصناعات الخشبية:

تعتبر صناعة السفن من أهم الصناعات الخشبية التي ازدهرت في الأندلس، وتعد طرطوشة من أهم دور الصناعة التي اختصت بالمراكب الكبار المصنوعة من خشب الصنوبر الذي ينمو بجبالها^(٥).

٤- المعادن:

توجد في سرقسطة معادن الرصاص والنحاس والتتلك والكبريت إلا أنها مهمة لا يستخرج منها إلا القليل^(٦) كما يوجد بها الجص والجير حيث اشتهرت

(١) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٢٢)، ياقوت: معجم البلدان، ص(٢٤٠/٣).

(٢) ابن الشباط: وصف الأندلس، ص(١٤٨).

(٣) انظر: الحميري: الروض المعطار، ص(٣١٧)، المقرئ: النفح، ص(١٥٠/١)، ابن غالب: فرحة الأنفس، ص(٢٨٧).

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٢٣)، الحميري: الروض المعطار، ص(٣١٧).

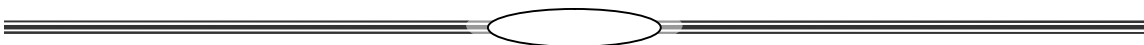
(٥) الحميري: الروض المعطار، ص(٣٩١).

(٦) البستاني: دائرة المعارف، ص(٥٧٨/٩).



سرقسطة بإنتاجه ولكثرته سميت بالمدينة البيضاء^(١).

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص(٥٥٤/٢).



٣- التجارة:

يذكر ابن خلدون أن التجارة هي « محاولة الكسب بتنمية المال أي بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيا كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحاً »^(١).

وتنقسم التجارة إلى قسمين:

أ- التجارة الداخلية:

كانت المواصلات البرية في الأندلس لها أثر فعال في النشاط الاقتصادي والتجاري وفي تنمية العلاقات التجارية بين مدينة سرقسطة وغيرها من مدن الأندلس. وكانت معظم الطرق تقريباً تتفرع من مدينة قرطبة، ومن هذه الطرق:

الطريق من مدينة قرطبة إلى مدينة سرقسطة، يقول العذري: « من قرطبة إلى الصخرة إلى بنى ..، إلى أرميش، إلى جيان زيد، إلى كركي، إلى قلعة رباح، إلى أرينش إلى قصر بني عطية، إلى أرطتش، إلى إقليش من شنت برية، إلى ولبة، إلى كونكة، إلى عقبة الهوارين، إلى وادي بني عبدالله، إلى بلاله، إلى تيرول، إلى غرادش، إلى قلمشة، إلى دروقة إلى فحص الحمام، إلى سرقسطة »^(٢).

وبذلك يوضح لنا العذري مدى إسهام هذه الطريق في ربط المدن بعضها ببعض وبالتالي مساهمتها الفعالة في نقل التجارة.

ومما لا شك فيه أن التجارة الداخلية الأندلسية ساعدت على إغناء الشعب وحكامه، فمدينة سرقسطة كانت تصدر إلى قرطبة وغيرها من مدن الأندلس، الملح الصافي الملمس الذي يسمى بالملح الذراني، إلى جانب الثياب المعروفة

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص(٣٩٤).

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٢١).

بالسرقسطية حيث امتاز أهل سرقسطة بأنهم في غاية المهارة في صناعاتهم، فيصنون أقمشة ذات شهرة عالمية تعمر وقتاً طويلاً^(١). كذلك السمور الذي يصنع منه الفراء الرفيعة في سرقسطة^(٢).

ومن الأمور الهامة في التجارة الداخلية تجارة الرقيق، حيث كان في كل مدينة في الأندلس سوق خاصة بالرقيق وبلغت الأسعار فيها حداً خيالياً، ووصلت براعة التجار في خداع المشتريين وإغرائهم مدى لا يتصوره العقل، وكان ثمن العبيد الأبيض يزيد على السود، فكانت الجارية الحسنة من غير صناعة على جمالها بألف دينار وأكثر^(٣).

وكما ذكرنا سابقاً أن مدينة سرقسطة كانت من أهم مراكز تجارة الرقيق حيث كانت تصدرها إلى قرطبة وإلى جميع مدن الأندلس.

وجدير بالذكر كان هناك الرقيق من الصقالبة وطريقه الرئيسي في العالم الإسلامي هو الطريق الذي يبتدىء من شرق ألمانيا إلى إيطاليا وفرنسا ومنها إلى الأندلس^(٤).

واستطاعت مدينة سرقسطة بحكم موقعها الجغرافي بين الممالك الأسبانية ومجاورتها لدول الفرنجة الشمالية أن تلعب دوراً كبيراً في ترويج التبادل التجاري حيث كانت تصدر الصقالبة إلى قرطبة وغيرها من مدن الأندلس^(٥). وأخيراً لا ننسى دور سرقسطة في التبادل الثقافي والحضاري حيث كانت

(١) العذري: المصدر السابق، ص(٢٢)، ابن غالب: فرحة الأنفس، ص(٢٨٧-٢٨٨).

(٢) المقرئ: النفع، ص(١٩٧/١).

(٣) الأصبخري: مسالك الممالك، ص(٣٧)، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري نقله إلى العربية محمد عبدالهادي أبو ريده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م، ص(٢٦٦/١).

(٤) آدم متز: المرجع السابق، ص(٢٦٨/١).

(٥) محمد رضا: الثغر الأعلى، ص(٣٨٧/٢).

تحتل مكانة كبيرة في تكاملها الاقتصادي والعلمي إضافة أنها كانت تنعم بالاستقلال السياسي، وخاصة في عهد بني هود حيث كانت مهبط الفرسان النصارى من كل جنس حيث كانوا يجدون ساحة رحبة في بلاط بني هود الباذخ، وأيضاً كانت مركزاً لأشعار الفروسية والشعر الغنائي، الذي كان ينتشر في أرجاء قطلونية وأرجوان ونافار، ومنها كانت تنتقل المقطوعات الغنائية الأندلسية إلى المجتمعات النصرانية المجاورة، فتؤثر في الملاحم والأناشيد القومية^(١).

ب-التجارة الخارجية:

قد وجد ارتباط بين علاقات سرقسطة الاقتصادية الخارجية التجارية وبين القوى البحرية، فسيطرت مدينة سرقسطة على جزء كبير من حوض البحر المتوسط الذي تطلّ عليه أغلب الموانئ الأندلسية، ساعد ذلك على سهولة الاتصال بين هذه الموانئ الأندلسية وغيرها من موانئ البحر المتوسط، وقد ترتب على ذلك نشاط حركة التجارة الخارجية في ثغريها الكبيرين طركونة وطرطوشة^(٢).

وكانت طرطوشة من أهم المراكز التجارية وأشهرها، فارتبط كثير من الأغنياء في طرطوشة بعلاقات تجارية مع الأسواق التجارية الدولية الكبرى وأصبحت تجارة بيزنطة والبندقية وجنوه تباع في أسواق قرطبة وسرقسطة وباقي أسواق الأندلس وبلاد المغرب^(٣).

وكان ميناء طرطوشة مركزاً للأسطول السرقسطي الذي عن طريقه تصدر منتجاتها الزراعية والصناعية، فمن صادراتها الزراعية: الفواكه التي كان لها فضل على سائر فواكه الأندلس مثل التفاح حيث تكثر أشجاره في أقاليم

(١) عنان: دول الطوائف، ص(٢٩٦).

(٢) عنان: المرجع السابق، ص(٢٩٦)، محمد رضا: الثغر الأعلى، ص(٣٨٥/٢).

(٣) محمد رضا: المرجع السابق، ص(٣٨٦/٢).

سرقسطة^(١).

ومن الصادرات الصناعية: الثياب السرقسطية فقد حظيت صناعة المنسوجات في سرقسطة بنصيب كبير في تجارة الصادرات^(٢).

كذلك ازدهرت صناعة السفن في طرطوشة لتوفر الأخشاب اللازمة لها^(٣).

أما عن ما تستورده سرقسطة فهو الرقيق الذي نشطت حركة تجارته في القرن الرابع الهجري والذي كان يمر في غالبية عن طريق الثغر الأعلى القريب من حدود الفرنجة حيث ظلت فردان مركزاً لتجارة الخصيان مع مسلمي الثغر الأعلى^(٤).

وأيضاً تستورد سرقسطة من مصر مجموعة من السلع المختلفة التي اشتهرت مصر بصناعتها واستوردت الكماليات من بلاد الهند عن طريق مصر ثم إلى ميناء الإسكندرية ومنها إلى طرطوشة^(٥).

وقد ترتب على حركة التصدير والاستيراد انتعاش لموارد سرقسطة الاقتصادية وخاصة في عهد ملوك الطوائف إذ كان ملوك سرقسطة (بنو هود) يجنون من وراء ذلك أرباحاً طائلة، سواء من المكوس أو الوساطة التجارية، فقد كانوا من أغنى ملوك عصرهم^(٦).

ومما هو جدير بالذكر أن بني هود استطاعوا بهذه الأموال الوفيرة أن

(١) ياقوت: معجم البلدان، ص(٢٤٠/٣)، الحميري: الروض المعطار، ص(٣١٧).

(٢) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٢٢).

(٣) الحميري: المصدر السابق، ص(٣٩١).

(٤) ارشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م، ص(٢٧٤).

(٥) محمد رضا: الثغر الأعلى، ص(٣٨٨/٢).

(٦) عنان: دول الطوائف، ص(٢٩٦).



يجتذبوا الفرسان والمرزقة النصارى لخدمة سياستهم، كما أنهم استطاعوا بدفع الإتاوات للملوك النصارى أن يتقوا عدوانهم أطول وقت ممكن ومن ثم فقد لبثت سرقسطة عصراً طويلاً بمنجاة من تلك الغزوات المخربة^(١).

ومن الأمور المتعلقة بالحياة الاقتصادية (العملة) فلا بد أن نشير إلى العملة في سرقسطة ففي أوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي سك الخليفة عبدالرحمن الناصر ديناراً أندلسياً على قاعدة من الذهب لا الفضة التي جرى الأخذ بها كقاعدة للنقد في أواخر أيام القوط الغربيين وأوائل حكم المسلمين وانتشر الدينار الذهبي في الشرق^(٢).

كما عهد الناصر إلى أحد كبار موظفيه بالإشراف على دار السكة^(٣) وعرف باسم صاحب السكة^(٤) وغدت خطة السكة بعد ذلك من الخطط الهامة والرفيعة في الدولة^(٥) وأصبح اسم صاحب السكة يضرب على العملة مع اسم ولقب الخليفة وأحياناً يضرب اسم الحاجب وكذلك اسم ولي العهد، وبقي الحال على ذلك حتى سقوط الخلافة.

وعلى غرار الطراز الأموي الأندلسي سك بنو هود دنانيرهم، حيث حرص ملوك بني هود على تسجيل اسم الخليفة الأموي إضافة إلى تسجيل أسمائهم وألقابهم، مع التركيز على تسجيل عبارة (ابن هود) في وجه النقود^(٦).

(١) عنان: المرجع السابق، ص(٢٩٦).

(٢) ارشيبالد: القوى البحرية، ص(٢٦١).

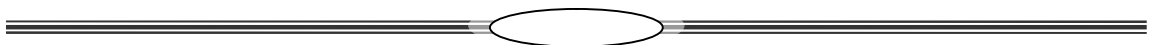
(٣) ابن عذاري: البيان، ص(١٩٨/٢).

(٤) ابن حيان: المقتبس، تحقيق الحجي، ص(٤١-٤٣-١٨٧)، اب عذاري: البيان، ص(٢٤٣/٢).

(٥) ابن حيان: المصدر السابق، ص(٧٢-١٧٠)، ابن عذاري: المصدر السابق، ص(١٩٨/٢-٢١٥-٢٥٢).

(٦) الانترنت: www.islamiccoins.

=



= نموذج للعملة التي سكنت في سرقسطة في عهد بني تجيب وبني هود:

وجه القطعة	ظهر القطعة	الهامش
لا إله إلا الله وحده لا ريك له محمد رضا: الثغر الأعلى، ص(٢/٣٢٥).	الحاجب الإمام هشام أمير المؤمنين المعتد بالله منذر	بسم الله ضرب هذا الدينار بسر سطة سنة ٤٢٣ هـ وقد أضيف اسم حاكم سرقسطة
لا إله إلا الله وحده لا شريك له الانترنت: www.islamiccoins	الله المستعين الإمام هشام أمير المؤمنين المؤيد بالله	بسم الله ضرب هذا الدينار بسر سطة سنة ٤٣٦ هـ في عهد سليمان المستعين.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية

١- عناصر السكان:

- العرب:

كان اليمانيون الذين استقروا في مدينة سرقسطة يمثلون الغالبية بين قبائل العرب التي نزلت سرقسطة فكانت منطقة الثغر الأعلى هي الناحية الرئيسة التي استقر بها التجيبيون بالأندلس حيث نزلوا في قلعة أيوب ودروقة وسرقسطة وغيرها من مدن الثغر الأعلى^(١).

وكان التجيبون في سرقسطة يسيطرون عليها ويلعبون دوراً مؤثراً في أحوالها السياسية حتى نهاية عصر الخلافة الأموية في الأندلس^(٢).

ومن القبائل اليمانية التي استقرت بسرقسطة قبيلة عذرة التي منها بنو فوارتش^(٣) وأيضاً قبيلة الأنصار « الأوس والخزرج » الذين دخلوا الأندلس بقيادة أحفاد سعد بن عبادة ومنهم الحسين بن يحيى بن سعد بن عبادة الذي استقر في « قربلان »^(٤) قرب سرقسطة^(٥) وقبيلة غافق التي التحق بعض منها بجيش موسى بن نصير واستوطنوا سرقسطة^(٦) وقبيلة مراد، فتشير المصادر إلى انتشار أعداد

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص(٥٠٠).

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص(١٢٣-١٢٤)، العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٤١-٥١).

(٣) ابن الأبار: التكملة، ص(٣٦٥/١)، ابن حزم/الجمهرة، ص(٤٥٠).

(٤) يذكرها الحميري في الروض المعطار، (قربليان). انظر: الحميري: المصدر نفسه، ص(١٥١).

(٥) ابن حزم: الجمهرة، ص(٣٦٥)، المقرئ: النفع، ص(٢٩٤/١).

(٦) من سلالتهم أبو عبدالله بن أبي الخصال الكاتب الذي استوطن سرقسطة، انظر: ابن الأبار، التكملة، ص(١٩٩/١-٢٠٠).

كثيرة من هذه القبيلة في سرقسطة^(١). ومن القبائل اليمانية التي أقام بعض أفرادها في مدينة سرقسطة قبيلة الأزد^(٢) وقبيلة حجر^(٣) وقبيلة جهينة، حيث استقرت هذه القبيلة عند هيج الربز^(٤).

وهناك أيضاً عدد من القبائل اليمانية استوطنت سرقسطة وهي قبيلة معافر^(٥) وقبيلة حضرموت^(٦) وقبيلة كلب^(٧).

أما طالعة بلج بن بشر فلم تشر المصادر إلا إلى جند حمص الذين كانوا يعدون من أجناد اليمن، ومنهم حضرموت التي تفرعت منها قبيلة الصدف واستقرت في سرقسطة وتطيلة^(٨).

ولم تذكر المصادر عن عرب الشمال أو القيسية المستقرين في سرقسطة سوى بعض أفراد قلائل من قبائل قريش وهذيل وبني زهرة، وبني عبدالدار وقيس وبني كنانة^(٩).

مما سبق يتبين لنا أن معظم العرب الذين تكون منهم المجتمع في سرقسطة كانوا من العرب اليمانية.

(١) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص(٣٤١/١).

(٢) ابن الفرضي: المصدر نفسه، ص(٦٧/٢).

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص(١٩/٢).

(٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص(٢١-٢٠/١).

(٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص(٣٧/١).

(٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص(٢١٣/١).

(٧) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٢٥).

(٨) من مشاهيرها محمد بن سلمة بن حبيب بن قاسم، انظر: ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ص(١٤/٢).

(٩) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص(١٣٦/١)، ص(٢٠٩-١٥/٢)، الضبي، بغية الملتبس، ص(٢٧١)، ابن حزم، الجمهرة، ص(١٢٦-١٢٧)، ابن الأبار: الحلة السيراء، ص(٣٤٤/٢).

ويلاحظ أن جميع العرب الذين دخلوا شبه الجزيرة الأيبيرية، دخلوها رجالاً بدون نساء، ثم اتخذوا النساء من أهل البلاد، وتوسعوا في ذلك، فكثرت نساؤهم وكثر عيالهم أيضاً^(١).

وقد كان العرب، رغم ما اتصفوا به من العنف في خصوماتهم بينهم ورغم اعتزازهم بأصولهم العربية فقد كانوا يحسنون العشرة بعيدين-كأفراد أو جماعات صغيرة- عن نزعات السيادة والتعالي التي تمسك بها من سبقهم من الرومان والقوط فلم يكونوا سادة أو حكاما بقدر ما كانوا مساكنين أو معاشين، فأمن إليهم الناس وأقبلوا عليهم^(٢).

- البربر:

كان تيار هجرة البربر واستقرارهم متصلاً، بحكم الجوار أولاً، وبحكم الجاذبية الخاصة التي كانت لشبه الجزيرة الأندلسية على بربر الشمال الأفريقي ثانياً، ولأسباب سياسية ثالثاً^(٣) وقد زودنا ابن خلدون بأسماء قبائل أربعة كان يتألف منها جيش طارق الذي دخل الأندلس، وهي مطغرة، ومديونة، ومكناسة، وهوارة، وكلها متفرعة من زناته^(٤).

ثم يضيف ابن حزم قائمة بقبائل أخرى وفدت إلى الأندلس وهي مغيلة وملزوزة ونفزة، وأوربة، ومصمودة^(٥).

ومن خلال دراستنا لما أورده ابن حزم من معلومات غاية في الأهمية، عن

(١) حسين مؤنس: فجر الأندلس، دار المناهل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ص(٤٠٨).

(٢) مؤنس: المرجع السابق، ص(٤٠٩).

(٣) مؤنس: المرجع السابق، ص(٤٢٠).

(٤) ابن خلدون: العبر، ص(٩١/٦).

(٥) ابن حزم: الجمهرة، ص(٤٩٨-٥٠١).

منازل البربر في الأندلس ، اتضح لنا أنه كان يحيط بحوض نهر الإبرو مجموعات من قبائل البربر ، شكلت تلك البيوتات الهامة لهم بالثغر الأعلى ودام نفوذهم على تلك المناطق وورثوها في الأعقاب^(١).

ومن أهم قبائل البربر التي استقرت في سرقسطة، بنو صنهاجة، حيث استقروا بالقرب من قوس سريْنغُو، وهي ضاحية من ضواحي سرقسطة^(٢).

وأيضاً بعض من قبيلة زناتة حيث استقروا في المكان المسمى (عقبة مليلة)^(٣) ومما هو جدير بالذكر أن العرب في سرقسطة كانوا أكثر من البربر، ويؤكد لنا ذلك، أنه عندما ثار البربر على العرب في الأندلس في شمالها وجنوبها، بسبب استئثار العرب بالأراضي الخصبة دون البربر، كان البربر ينتظرون فرصة مواتية فيثبون على العرب، وسنحت لهم الفرصة، عندما بلغهم ظهور بربر العدو على عربها وأهل الطاعة فوثبوا في أقطار الأندلس، وأخرجوا عرب جليقية وقتلوهم، وأخرجوا عرب أسترقه والمدائن التي خلف الدروب فلم يرع ابن قطن^(٤) إلا فلهم قد قدم عليه وانضم عرب الأطراف كلها إلى وسط الأندلس، إلا ما كان من عرب سرقسطة وثرهم فإنهم كانوا أكثر من البربر فلم يهجم عليهم البربر^(٥).

وكان لهؤلاء البربر أثر عظيم في انتشار الإسلام في الأندلس، لقربهم من حيث المزاج والطبع، من العرب ومنهم قبيلة زناتة فكانوا أقرب للعرب وأشبه بهم

(١) انظر: ابن حزم: المصدر السابق، ص(٤٩٨-٥٠١).

(٢) محمد رضا: الثغر الأعلى، ص(٣٩٨/٣)، نقلاً عن: Cesar Dubler: op.cit.p. ١٩٣.

(٣) العذري: نصوص، ص(٥٥-٥٦).

(٤) ابن قطن: هو عبدالملك بن قطن الفهري، تولى أمر الأندلس مرتين، الأولى عام ١١٤ هـ، والثانية ١٢٢ هـ في الفترة ما بين (٩٢-١٣٨ هـ)، وهو ما يعرف بعصر الولاة، انظر: ابن عذاري: البيان، ص(٢٨/٢-٣٠).

(٥) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص(٣٨)، ابن عذاري: البيان، ص(٣٠/٢)، عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص(١٢٤).

من الصنهاجيين^(١).

- المولدون والمستعربون:

كان الإيبيريون الرومان شعباً مسالماً جداً حسن العشرة، لم يلبث أن أنس إلى العرب وأنسو إليه، وارتبط الكثيرون من العرب والبربر بعلاقات مصاهرة مع أهل البلاد وعاشوا معهم متجاورين متساوين، وعن طريق هذا التجاور انتشر الإسلام بين أهل شبه الجزيرة الإيبيرية. فلما بدأ أهل البلاد يدخلون في الإسلام أطلق على من أسلموا منهم المسالمة، ثم أطلق على أولادهم الذين نشأوا على الإسلام اسم المولدين^(٢).

ولم يكن هناك فرق في الأحوال بين المسالمة والمولدين والمسلمين الفاتحين عرباً وبربراً فقد كان الذمي إذا أسلم انتقل إلى وضع المسلمين دون تفریق أو تمييز، فأصبح غير المسلمين كلهم أهل ذمة دون تمييز ومن أسلم منهم دخل المجموعة الإسلامية وتلاشى كل شيء يتصل بأصله^(٣). فكان منهم العبيد ورقيق الأرض والزراع وأهل المدن بشتى صنوفهم الأشراف والأوساط وأهل الأسواق، وكان فيهم موال وغير موال فتساووا جميعاً في رحاب الإسلام واحتفظ بعض هؤلاء المولدين بعد إسلامهم بأسمائهم القديمة، وظلوا يعرفون بها مثل بني قسي في تطيلة والثغر الأعلى في عهد بني أمية^(٤).

(١) مؤنس: فجر الأندلس، ص(٤٣١-٤٣٢-٤٣٣).

(٢) مؤنس: المرجع السابق، ص(٤٥٧-٤٥٩-٤٦٠)، لطفي عبدالبديع: الإسلام في اسبانيا، ص(٢٤-٢٦).

(٣) مؤنس: فجر الأندلس، ص(٤٦٤)، عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين، ص(١٢٧).

(٤) مؤنس: المرجع نفسه، ص(٤٦٥)، سالم المرجع نفسه، ص(١٢٨-١٢٩)، ولمزيد من التفاصيل عن المولدين في الأندلس انظر: محمد عبده حتاملة: جيل المولدين في المغرب والأندلس ودورهم في الفتح وأثرهم في الحياة العامة، المكتبة الوطنية، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص(١٠٤) وما بعدها.

وذكر ابن حزم أن قسياً كان قومساً^(١) بالثغر الأعلى في أيام القوط فلما افتتح المسلمون الأندلس لحق (قسي) بالشام وأسلم على يدي الخليفة الوليد بن عبدالمك فكان ينتمي إلى ولائه، لذلك كان بنو قسي في أول أمرهم إذا وقعت العصبية بين المضرية واليمينية يكونون في جملة المضرية^(٢).

وتعتبر أسرة بني قسي من أكبر الأسر المولدة بالثغر الأعلى منذ القرن الثاني الهجري حتى أوائل القرن الرابع، وقد تعاقب بنو قسي على رئاسة الثغر الأعلى واستقرت في مدينة تطيلة، ثم توسعت وسيطرت على سرقسطة وغيرها من مدن الثغر الأعلى^(٣) ثم بدأ الدور السياسي لأسرة بني قسي يضعف بعد سنة ٣١٢هـ- ٩٢٤م وذلك نتيجة الانشقاق العائلي بها ومقتل معظم زعمائها، ومقاومة أسرة بني تجيب لها بشدة، بجانب نزاعها مع أسرة بني الطويل وجهادها لنصارى الشمال وأخيراً إخراج الخليفة عبدالرحمن الناصر لجميع أسرة بني قسي من الثغر الأعلى إلى قرطبة في سنة ٣١٢هـ^(٤).

كما ورثت أسرة بني الطويل أسرة بني عمروس في حكم مدينة وشقة ونواحيها عندما ثار محمد بن عبدالمك الطويل على مسعود بن عمروس، وقتله عام ٢٧٣هـ وتغلب على وشقة ونواحيها، واستقرت هذه الأسرة في وشقة ونواحيها حتى نهاية عصر الخلافة^(٥).

(١) قومس: وهي كلمة مشتقة من اللاتينية Comes، وهو الكونت الذي يقطع منطقة، وهو ما بين الدوق أو الوالي consul- والبارون Baron، انظر: أشباخ: تاريخ الأندلس، ص(١٢٧).

(٢) ابن حزم: الجمهرة، ص(٥٠٢).

(٣) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٣٦-٣٧).

(٤) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص(١٢٤).

(٥) العذري: نصوص عن الأندلس، ص(٦٢-٧٣).

- المستعربون (Mozarabes):

أطلق المسلمون على العناصر الأصيلة التي حافظت على دينها القديم مسمى نصارى، على أنهم أطلقوا عليهم -كذلك- مسميات أخرى من هذه المسميات (المستعربون، بفتح الراء)^(١). يطلق لفظ المستعربين على نصارى الأسبان الذين كانوا يعيشون المسلمين ويتكلمون العربية مع احتفاظهم بدينهم ولذلك عرفوا بالمستعربين^(٢).

وكان العرب يسمونهم بعجم الذمة، أما من كان لهم عهد منهم فقد سماوا بالمعاهدين^(٣). وقد تمتع المستعربون بالثغر الأعلى بكافة حقوقهم فكانوا يؤدون شعائرهم الدينية دون أن يتعرضوا لضغط من قبل الحكومة الإسلامية، فقد ترك العرب للجماعات النصرانية نظامها المدني الذي كان جارياً أيام القوط، وهو نظام مدني وإداري أيضاً يتصل بجميع أمور نصارى الذمة، فيقوم القائمون به بجمع ضرائبهم ويؤدونها إلى بيت المال نيابة عنهم ويعينون القضاة الذين يفصلون في منازعاتهم بحسب القانون القوطي ويشرفون على كنائسهم، ويتولون أمور قساوستها، أما في القضايا التي بين المسلمين وغير المسلمين، فكان ينظر فيها قضاة المسلمين ويحكمون فيها بشريعة الإسلام^(٤).

وقد ألف المستعربون في الثغر الأعلى جزءاً مهماً من السكان، وكان الأخوان فوتو (voto) وفيلكس (Felix) من أغنياء النصارى في سرقسطة، فلما رأيا تكاثر المسلمين في هذه الناحية وانتشار الإسلام بين أهلها باعاً ممتلكاتهما

(١) عبادة كحيلة: تاريخ النصارى في الأندلس، مكتبة الجيزة العامة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ص(٧٧) وما بعدها.

(٢) سالم: تاريخ المسلمين، ص(١٣٠)، لطفي عبدالبديع الإسلام في أسبانيا، ص(٢٧).

(٣) سالم: المرجع السابق، ص(١٣٠).

(٤) مؤنس: فجر الأندلس، ص(٤٧٩-٤٨١).

وفرقاها على الفقراء، ومضيا إلى جبل أرويل حيث انشأ "دير بينيا"، مما يدلنا على أن المسلمين حينما نزلوا هذه الناحية لم يستولوا على ما بيد أهلها النصارى من الأملاك، بل تركوهم على حالهم، حيث صالحت سرقسطة على نفسها بشروط طيبة ضمنت لأهلها الحرية في كل شيء، وقصة هذين الأخوين ترينا كيف كانت عناصر المقاومة النصرانية تتكون في ببطء منذ أوائل الحكم الإسلامي، وتدل كذلك على أن المسلمين تركوا النصارى من أهل البلاد في الثغر الأعلى أحراراً في إنشاء ما يريدون من الأديرة^(١).

واحتل المستعربون حيا خاصا بهم لكنائسهم في سرقسطة، ويقع في الشمال الغربي فيها^(٢). ومما يدل أيضاً على حرية النصارى في ممارسة شعائرهم الدينية، أنهم كانوا يقرعون نواقيسهم، رغم ما كان يسببه هذا من إزعاج المسلمين وإثارة بعض المتعصبين منهم عليهم^(٣). فهذا يدل على تسامح المسلمين وتركهم النصارى يمارسون شعائرهم الدينية في حرية تامة. وقد نظم ابن حزم أبياتاً ذكر فيها قرع النواقيس ومنها:

أثبتني وهلال مطلع قبيل قرع النصارى للنواقيس^(٤)

وقد كان دور المستعربين وهم عنصر فعال في الحياة الأندلسية من العوامل الهامة في نقل الحضارة العربية إلى أسبانيا^(٥).

(١) مؤنس: المرجع السابق، ص(٥٣٣-٥٣٤).

(٢) سالم: تاريخ المسلمين، ص(١٣١)، كحيلة: تاريخ النصارى، ص(١٠٥)، بلباس: المدن الاسبانية الإسلامية، ص(٣٠١).

(٣) سالم: المرجع السابق، ص(١٣١).

(٤) ابن حزم: طوق الحمامة، ص(٣٤٧).

(٥) لطفی عبدالبيدیع: الإسلام في اسبانيا، ص(٣٠).

- اليهود:

تمتع اليهود بتسامح كبير من جانب العرب، وذلك لوقوف اليهود إلى جانب المسلمين أثناء الفتح، فكانوا يدلونهم على عورات البلاد وثغرات الأسوار وما إلى ذلك وكان من الطبيعي أن يكافئهم المسلمون على ذلك فاتخذوا منهم حرساً لما يفتحونه من البلاد إلى جانب الحرس الإسلامي^(١). وقد لقي اليهود بعد ذلك تسامحاً مطلقاً من العرب سواء خلال عصر الولاة أو ما بعده، فكانت لهم بيعهم ورجال دينهم^(٢).

ولقد كان الأندلس والثغر الأعلى بصفة خاصة جذّة اليهود خلال العصور الوسطى كلها، فيقول بنيامين التطيلي عن رحلته عندما رحل عن مدينة سرقسطة أن عدد اليهود بها في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، بلغ أكثر من خمسة آلاف وكان لهم اثنتا عشرة كنيسة، ونبغوا في ضروب الصناعة كالصباغة والنسيج^(٣).

وركب بنيامين النهر إلى طرطوشة، فوجد بها مناحيم بن سرون الطرطوشي الشهير واضع أول قاموس للغة العبرية، ثم وصل إلى مدينة طركونة وكان يقال لها مدينة اليهود لكثرتهم فيها، ثم وصل إلى برشلونة فوجد بها طائفة من اليهود وجماعة من العلماء^(٤).

وجدير بالذكر أن اليهود قد بلغوا مكانة رفيعة من التقدم العلمي في الثغر الأعلى عامة وسرقسطة خاصة، وسيأتي الحديث عن العلماء اليهود الذين نبغوا

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، ص(١٠١)، مؤنس: فجر الأندلس، ص(٥٤٤).

(٢) مؤنس: المرجع السابق، ص(٥٤٤).

(٣) بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين، تحقيق عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م، ص(٤٩).

(٤) بنيامين التطيلي: المصدر سابق، ص(٤٩-٥٠).

في سرقسطة فيما بعد.

كما بلغ بعض اليهود مبلغ الوزارة، ونظر إليهم المسلمون بعين التقدير والاحترام حتى أصبح الأندلس والثغر الأعلى موئلاً لليهود، بل إن حركة بعث اللغة العبرية والأدب العبري بدأت في الثغر الأعلى على يد مناحيم بن سرون الطرطوشي، ونشأت ونمت بين أظهر المسلمين وتحت أعينهم، ولقد استعرب اليهود منذ زمن مبكر، فأخذوا لغة العرب وملابسهم واندرجوا في غمارهم^(١). وقد اتخذ اليهود في مدينة سرقسطة حياً خاصاً بهم، ويقع في الجانب الجنوبي الشرقي لسور المدينة^(٢).

كذلك ينبغي ان نضيف إلى العناصر السابقة عنصراً آخر لعب دوراً كبيراً في الحياة الأندلسية وهو عنصر الرقيق من الصقالبة، الذين جلبوا من أوروبا من صغرهم، ثم ربوا تربية عسكرية إسلامية، وانخرطوا في وظائف القصر والجيش حتى صاروا قوة لها خطرهما في الدولة الأموية بالأندلس^(٣).

ومما سبق يتبين لنا أن المجتمع الأندلسي يتألف من مجموعة من العناصر غير المتجانسة تتشكل من العرب والبربر والمولدين واليهود والصقالبة، بالإضافة إلى أهل البلاد الأصليين الذين كانوا يمثلون الغالبية العظمى فيها.

(١) مؤنس: فجر الأندلس، ص(٥٤٤).

(٢) بلباس: المدن الإسبانية الإسلامية، ص(٣١٦).

(٣) أحمد مختار العبادي: الإسلام في أرض الأندلس، مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، المجلد العاشر، الكويت، ١٩٧٩م، ص(٦٠).

٢- طبقات المجتمع:

- الطبقة الخاصة:

وتتكون من العناصر العربية والبيوتات الكبيرة من المولدين، وتحظى هذه الطبقة بالرئاسة والشرف وتقنتي الضياع الواسعة والأراضي الخصبة والثروات الوفيرة وتتوفر لديها الثقافة الرفيعة والمعرفة التي تؤهلها لتولي المناصب العليا، كما يدخل فيها القضاة وكبار الكتاب والفقهاء والعلماء والتجار وكبار الملاك، وقد تمتعت هذه الطبقة بدخل مرتفع وبوضع اقتصادي واجتماعي مرموق خاصة منذ قيام دويلات الطوائف^(١).

وتتمثل هذه الطبقة في أسرتين عربيتين استطاعت أن تتولى الزعامة في سرقسطة وهي أسرة بني تجيب وأسرة بني هود.

ولا ننسى دور الأسر المولدة مثل بنو قسى وبني الطويل التي ظهرت في الثغر الأعلى عامة وسرقسطة فكانت ذات جاه ونفوذ وعصبية قوية وكان لها تأثير في التاريخ السياسي الأموي بصفة عامة وتاريخ منطقة الثغر الأعلى خاصة^(٢).

- الطبقة العامة:

وتمثل هذه الطبقة الغالبية العظمى من السكان وتشتمل على الطبقة الوسطى والسفلى، وتتكون من أصحاب المهن والحرف والتجار والمزارعين وجميع

(١) صلاح خالص: إشبيلية القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ص(٣٩، ٤٠)،
كمال السيد: تاريخ بلنسية، ص(٢٣٩).

(٢) لتفاصيل أكثر عن الأسر المولدة التي ظهرت في الثغر الأعلى انظر: كمال السيد أبو مصطفى،
بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،
١٩٩٣م، ص(٤٥-٧٥).

الوظائف المدينة الأقل أهمية^(١) وتتمثل هذه الطبقة في مجموعة من العناصر غير متجانسة من العرب والبربر والمولدين والمستعربين واليهود حيث سكن كل من اليهود والمستعربين في أحيائهم الخاصة في سرقسطة^(٢).

- طبقة العبيد:

لقد كون العبيد طبقة هامة في المجتمع الأندلسي، فكان لها دورها الخطير في مساندة الأرستقراطية وتمكين نفوذها^(٣).

ووجد في سرقسطة أسواق للرقيق، وذلك لوقوعها على الطرق التجارية للرقيق القادم من بلاد الصقالبة والفرنجة^(٤) وجنى عدد كبير من الناس أرباحاً عظيمة من هذه التجارة.

كما احتوت أسواق الرقيق في سرقسطة على مختلف أجناس الرقيق من السودان والأماكن الأخرى في إفريقيا، بجانب الرقيق البيض من الصقالبة من أوروبا الشرقية والغربية، والرقيق من نصارى الشمال الأندلسي^(٥) وقد كانوا يشتغلون بالأعمال المنزلية وغيرها.

وعلى سبيل المثال كان بعض الذكور الصقالبة يخدمون ليخدموا مع الحرير في القصور والمنيات والمنازل^(٦).

(١) خالص: إشبيلية في القرن الخامس، ص(٥٣)، محمد رضا: الثغر الأعلى، ص(٤١٣/٣).

(٢) محمد رضا: المرجع السابق، ص(٧٠-٧٢).

(٣) خالص: إشبيلية في القرن الخامس، ص(٧٠-٧٢).

(٤) العبادي: الصقالبة في أسبانيا، المعهد المصري، مدريد، ١٩٥٣م، ص(٨-٩)، آدم متز: الحضارة الإسلامية، ص(٢٦٨/١).

(٥) العبادي: الصقالبة، ص(٩).

(٦) العبادي: المرجع نفسه، ص(٩).

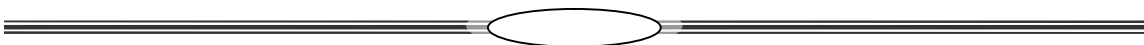


- المرتزقة النصارى:

استعان بعض أمراء سرقسطة بالجند المرتزقة، وكان منهم المنذر بن يحيى التجيبي^(١) كذلك اعتمد بنو هود -ملوك سرقسطة- في عصر دول الطوائف على الجند النصارى في حماية ملكهم^(٢).

(١) ابن عذاري: البيان، ص(٣/١٢٦-١٢٧)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٦٦-٢٦٧).

(٢) ابن عذاري: المصدر نفسه، ص(٣/٢٢٨-٢٢٩)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٩٥).



أهم مظاهر الحياة الاجتماعية:

- النظافة:

شعب الأندلس شعب شديد العناية بالنظافة في ملابسهم ومفرشهم، وفي هذا الصدد يقول أحد المؤرخين: «وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها»^(١) كما عُرف عنهم حسن تدبيرهم وبعدهم عن الإسراف والتبذير^(٢).

- الأعياد والاحتفالات:

كانت الأعياد بالأندلس كثيرة ومتنوعة، فهناك أعياد دينية شاركت فيها الأندلس العالم الإسلامي كدولة إسلامية مثل عيدي الفطر والأضحى غير أن هناك أعياداً لها طابع ذاتي مستقل انفردت بها الأندلس بحكم البيئة المحلية والموقع الجغرافي الأوربي الذي تميزت به، وأول ما نلاحظه في هذا الصدد هو أن يوم الأحد كان عطلة رسمية عند الأندلسيين^(٣) كذلك شارك الأندلسيون المسيحيين في أعيادهم مثل عيد القديس سان خوان (الذي يسميه العرب عيد العنصرة)، ويحتفل به في ٢٤ يونيو من كل عام^(٤).

وعلى الرغم من أن أهل المشرق الإسلامي شاركوا مواطنيهم المسيحيين في احتفالاتهم بأعيادهم على أساس نظرة الاحترام، التي يكنها المسلمون للمسيح إلا

(١) المقرئ: النفح، ص(٢٢٣/١).

(٢) المقرئ: المصدر نفسه، ص(٢٢٣/١).

(٣) العبادي: الإسلام في أرض الأندلس، ص(١٠٦).

(٤) العبادي: المرجع السابق، ص(١٠٦-١٠٧).

أن هذه المشاركة لم تبلغ مستوى المشاركة الروحية الجماعية التي كانت سائدة في الأندلس والتي ترجع إلى الحياة المشتركة التي عاشها المسلمون والمسيحيون^(١).

ومن الأعياد التي احتفلت بها مدينة سرقسطة عيد العصير (ALacir) وكان يقام عند جنى محصول العنب وعصره، وهو من المحاصيل الرئيسة في مدينة سرقسطة ويكثر إنتاجه فيها، فكان الأهالي يغادرون بيوتهم إلى حقول الكروم حيث يقيمون أياماً يجمعون خلالها محصول الكروم ثم يحتفلون بذلك في جو يسوده المرح والغناء والرقص^(٢).

وجرت العادة أن يحتفل أهل الأندلس عامة بأعيادهم ومواسمهم وانتصاراتهم وزواجهم وأعدار أبنائهم بوسائل مختلفة أهمها: الغناء والموسيقى وألعاب الفروسية وسباق الخيل ومصارعة الوحوش، والاحتفالات الدينية التي تقام في المساجد والزوايا والبيوت، حيث كانت تتلى آيات من الذكر الحكيم، وينشد الشعراء القصائد المناسبة للمقام إلى جانب الأناشيد والموشحات الدينية وحلقات الذكر التي كان يصحبها العزف على بعض المزامير، ثم تقدم في آخر الليل الأطعمة والحلوى^(٣).

- الزواج:

كان النساء في سرقسطة وفي الأندلس عامة يتمتعن بحرية كبيرة، فقد كانت تتيح لهن الفرصة بأن تتعلم المرأة وتنقده وتدرس الأدب، وكان كثير من الأمراء والأعيان يعينون مؤدبات لبناتهن يعلمنهن أطرافاً من الثقافة الأدبية وعلوم

(١) العبادي: المرجع السابق، ص(١٠٧)، العبادي: الأعياد في مملكة غرناطة، معهد الدراسات الإسلامية مدريد، المجلد الخامس عشر، ١٩٧٠، ص(١٤١).

(٢) الزهري: الجغرافية، ص(٨٢)، العبادي: الإسلام في أرض الأندلس، ص(١٠٧).

(٣) العبادي: المرجع السابق، ص(١٠٨).

الدين^(١).

فقد كان نصيب المرأة الأندلسية من العلم والمعرفة أكثر من نصيب أختها في الجانب الشرقي من العالم الإسلامي، ويشهد على ذلك أشعارهن وسيرهن حيث كثر عدد الشاعرات الأندلسيات بالقياس إلى عددن في المشرق^(٢).

ومما يدل أيضاً على مكانة المرأة الأندلسية خروجها للمشاركة في أيام الأعياد والاحتفالات وهذه الحرية لا تنقص من قيمة المرأة الأندلسية وعفتها فقد عرفت بالثقافة وإحسان تدبير شؤونها والبيت، لذلك فإنها تحتل مكانة مرموقة في مجتمعها.

أما عن ما يتعلق بالزواج فيتم ذلك عن طريق عدة مراحل وهي الخطبة والعقد وحفلة الزفاف^(٣).

(١) مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي وموضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٣م، ص(٤٦).

(٢) الشكعة: المرجع نفسه، ص(٤٦).

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر: د. خالد عبدالكريم البكر، تقاليد الزواج عند المسلمين في الأندلس من عصر الإمارة الأموية حتى نهاية عصر الطوائف، ١٣٨-٤٨٣هـ- ٧٥٥-١٠٩٠م، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، العدد السابع، السنة الرابعة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، ص(٧٢-٥٣).

وسائل اللهو والتسلية:

- مجالس الطرب والأنس:

تعتبر مجالس الطرب من الظواهر المألوفة في المجتمع الأندلسي، حيث كان أمراء الأندلس وملوكها يعقدون مجالس الطرب في ظاهر المدن أو في البساتين والمنتزهات وأبهاء القصور والمنتزهات^(١)، ففي هذه المجالس كان يجتمع الإخوان والأصدقاء بين الأرواح والخمائل الخضرة لسماع نغمات المثاني والمثالث^(٢) وكانوا يفترشون الوسائد ويأكلون ويشربون ويتربون، وقد يرقصون على إيقاع الدفوف والمزامير.

- الصيد بالبزة والجوارح^(٣):

يعتبر الصيد من أهم وسائل التسلية والرياضة حيث يشترك فيها جميع طبقات الشعب من الخاصة والعامة وكان الملوك والأمراء من هواة الصيد بالبزة يدرّبون صقورهم وجوارحهم على الصيد في نواحي أشبونة وجبال شرق الأندلس وجزر البليار^(٤).

وقد زخرت كتب الأدب الأندلسي بعدد من الأمثلة التي تشير إلى ولع بعض أمراء بني أمية بهواية الصيد، واستمر هذا التقليد متبعاً في الأندلس طوال العصر الإسلامي كله، بل انتقل منها إلى أسبانيا المسيحية^(٥) ومن بين الجوارح التي كانوا

(١) السيد عبدالعزيز سالم: صور من المجتمع الأندلسي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد التاسع عشر، ١٩٧٦م-١٩٧٨م، ص(٦٢-٦٤).

(٢) سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢، ص(١٠٩/٢-١١٠).

(٣) الصيد بالبزة والجوارح يعرف بالببيرة، وهي لفظة مشتقة من كلمة بازيار أي حامل الباز. انظر: عبدالعزيز سالم: صور من المجتمع الأندلسي، ص(٧٢).

(٤) سالم: المرجع السابق، ص(٧٢).

(٥) ابن الأبار: الحلة، ص(٤١/١)، سالم: صور من المجتمع الأندلسي، ص(٧٢).



يستخدمونها في ذلك الشواهين (نوع من الصقور البيضاء) والبزاة والصقور والعقبان وغيرها، وكانت تصيد الطيور بأنواعها طيور الماء، والحمام والغرائق والكراكي، أما الكلاب والفهود فتصيد الحيوانات مثل الأرانب والثعالب والغزلان والظباء والبقر الوحشي^(١).

- سباق الخيل وألعاب الشطرنج:

كان لأهل الأندلس عدة هوايات يمضون بها أوقات فراغهم، فقد كانوا ينظمون سباق الخيل والفروسية كما كانت لعبة الشطرنج من الألعاب الرائجة عندهم^(٢).

- الاهتمام بالتعمير والتشييد:

شغف أمراء بني أمية بالحياة في أحضان الطبيعة بعيداً عن أنظار الرعية وطلباً للمتعة والبهجة والسرور وترويحاً عن النفس فأقاموا لذلك المنيات والجنات^(٣).

كما أنه زاد الإقبال على فن البناء والتعمير بوجه خاص في عصر ملوك الطوائف حيث أسرف ملوك الطوائف في الترف وتفننوا في صنوف من البذخ، فكانوا يبنون القصور وينفقون في هندستها أموالاً باهظة في سبيل تحقيق متعهم، وهذا يتضح لنا في قصر الجعفرية الذي بناه المقتدر بن هود.



(١) سالم: المرجع نفسه، ص(٧٤).

(٢) محمد رضا: الثغر الأعلى، ص(٤١٩/٣).

(٣) كمال السيد: بلنسية، ص(٢٥٠).

الفصل الثالث

الحياة العلمية

وفيه خمسة مباحث : -

✧ المبحث الأول: الاتصال العلمي بين سرقسطة والمدن الإسلامية.

✧ المبحث الثاني: ازدهار العلوم والآداب في سرقسطة.

✧ المبحث الثالث: علوم الأدب واللغة.

✧ المبحث الرابع: العلوم الاجتماعية.

✧ المبحث الخامس: العلوم التطبيقية والبحث.

* * * * *

المبحث الأول: الاتصال العلمي بين سرقسطة والمدن الإسلامية

إذا كنت الأندلس قد نجحت سياسياً في الإنسلاخ عن المشرق الإسلامي منذ بداية تاريخها (أي في العصر العباسي) فإنها لم تستطع أن تتخلص من التبعية له في المجال العلمي والثقافي، فكانت على بُعدها عنه قطعة منه قبل أن تكون قطعة من أوربا، ولم يمنعها بُعدها عن قلب العالم الإسلامي من أن يتدفق عليها التراث العربي من المشرق في شتى العصور وذلك عن طريق الدارسين من أهل الأندلس في مراكز الثقافة الإسلامية بالمشرق أو الوافدين على الأندلس من شيوخ المشرق ويتأصل فيها ثم يؤتي أكله بعد ذلك^(١).

وكان للرحلة العلمية مكانتها في التقاليد العلمية عند المسلمين بل كانت أساساً قوياً لبناء الشخصية العلمية حتى قال ابن خلدون بأن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم^(٢) ومن المعروف أن الرحلة في طلب العلم ولقاء شيوخ العصر كانت دائماً من أقوى الأسباب التي أعانت على خلق البيئة الثقافية^(٣) وعن طريقها يحدث تواصل وتفاعل في الأفكار التي ينقلها شيوخ العلم والمعرفة أينما حلوا إلى المراكز العلمية التي يسعون إليها.

ومما هو جدير بالذكر أن كتب التراجم الأندلسية قد أمدتنا بأمتلة عديدة توضح لنا ذلك التواصل العلمي الذي نشأ بين سرقسطة ومراكز الثقافة في الأندلس، والأقطار الأخرى في العالم الإسلامي، وبطبيعة الحال كان طلاب العلم يتلقون علومهم على شيوخ عصرهم حيث تكون بدايتهم في نفس المدينة التي

(١) لطفی عبدالبدیع: الإسلام في أسبانيا، ص(٣٩).

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص(٥٤١).

(٣) لطفی: المرجع نفسه، ص(٣٩).

نشأوا فيها، فإذا انتهوا من هذه المرحلة الأولية سعوا إلى لقاء شيوخ العصر في حواضر الأندلس إشباعاً لرغبتهم في طلب العلم والاستزادة منه.

ونستدل من كتب التراجم الأندلسية على أن عدداً كبيراً من علماء سرقسطة رحلوا في طلب العلم إلى المشرق الإسلامي ومن بين الأسماء الواردة ما يلي:

١- ثابت بن حزم بن عبدالرحمن العوفي (ت ٣١٣هـ- ٩٢٥م) من أهل سرقسطة ويكنى بأبي القاسم، درس بالأندلس على يد محمد بن وضاح، والخشني، وعبدالله بن مسرّة، وغيرهم، ورحل إلى المشرق مع ابنه قاسم، فدرس على يد عبدالله بن علي بن الجارود، وغيره، وبمصر على يد أحمد بن عمرو البزّار، وأحمد بن شعيب النسائي، وكان ثابت بن حزم عالماً متفنناً بصيراً بالحديث والفقہ والنحو والغريب والشعر^(١).

كما أدخل ليه قاسم كتباً كثيرة، أهمها كتاب العين وألف القاسم كتاباً في شرح الحديث سماه «كتاب الدلائل» بلغ فيه الغاية من الإتقان وتوفي قبل أن يتمه فأكمّله أبوه من بعده (ت ٣٠٢هـ- ٩١٤م)^(٢).

٢- الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد العمري (ت ٣٩٢هـ- ١٠٠١م) من أهل سرقسطة عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري-العاشر الميلادي، دفعته الرغبة في المعرفة إلى أن يقوم برحلة إلى شمال إفريقيا وإلى المشرق، فدرس بإفريقية وطرابلس المغرب على يد أبي الحسن علي بن أحمد بن زكريا المعروف بابن زكرون الهاشمي الإطرابلسي، كما درس في مصر على يد الحسن بن رشيق، ولم يكتف بما تلقاه منهما فقصدهم أهم المراكز الثقافية في الشام والعراق وخراسان وما وراء النهر، وحضر بهراة دروس أبي علي منصور بن عبدالله الخالدي، كما حضر دروس كثير من العلماء الآخرين، وألف كتاباً سماه

(١) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص(١١٩/١)، الحميدي: جذوة المقتبس، ص(١٧٤).

(٢) ابن الفرضي: المصدر نفسه، ص(٤٠٢/١-٤٠٣)، الحميدي: الجذوة، ص(٣١٢).

(كتاب الوجازة) ^(١).

٣- عبدالله بن محمد بن زرقون المرادي، من أهل سرقسطة، يكنى بأبي محمد، له رحلة وسماع ودراسة، استقضاه على سرقسطة حاكمها محمد بن عبدالرحمن التجيبي واستمر قاضياً بها حتى توفي، وكان له تلاميذ يرحلون إليه للسماع منه، وقد حدث عنه محمد بن وضّاح وأثنى عليه ووصفه بالخير ^(٢).

٤- عبدالله بن يحيى القيسي المعروف بابن الخشاب، من أهل سرقسطة، كان من أصحاب محمد بن وضّاح في رحلته، وقد روى عنه، وصفه البعض بالأمانة، تولى القضاء بسرقسطة، كما كان له تلاميذ يرحلون للسماع منه، توفي بمكة ^(٣).

٥- يوسف بن عابس المعافري، من أهل سرقسطة، اشتهر بالفضل والعلم في سرقسطة ومقدمات على أهل بلده عقلاً وأدباً ومروءة، وكانت له رحلة إلى المشرق لقي فيها يحيى بن عمر وغيره ^(٤).

٦- عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله المعروف بابن فورتنش (ت ٣٨٦هـ- ٩٩٦م) من أهل سرقسطة، سمع بها العلم من الزيايدي وغيره، كما سمع بقرطبة من أبي بكر بن القوطية وغيره، وله رحلة سماع إلى المشرق، تولى قضاء سرقسطة واستمر قاضياً بها إلى أن توفي ^(٥).

٧- عبدالله بن أحمد بن محمد الأنصاري (ت ٣٩٢هـ- ١٠٠١م) المعروف بابن البرجولش سمع بسرقسطة من ابن الزيايدي وغيره، ودرس بقرطبة على يد

(١) الضبي: بغية الملتمس، ص(٤٨٠-٤٨١)، ابن بشكوال: الصلة، ص(٦٠٧/٢)، الحميدي: الجذوة، ص(٣٣٩-٣٤٠).

(٢) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص(٢٥٢/١)، الحميدي: الجذوة، ص(٢٣٢).

(٣) ابن الفرضي: المصدر نفسه، ص(٢٥٢-٢٥٣).

(٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص(٢٠٣/٢).

(٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص(٣٠٩/١).

ابن القوطية وغيره، ورحل إلى المشرق فدرس بمصر على يد الحسن بن رشيق وغيره وعندما عاد كان يحفظ الموطأ وله حظ من الأدب وقول الشعر وولى القضاء بسرقسطة بعد عبدالرحمن بن فورتش^(١).

ومن بين أسماء العلماء والمهاجرين وأصحاب الرحلات الوافدين على سرقسطة للسمع وطلب العلم ما يلي:

ففي مجال الطب برزت شخصية أبي عبدالله محمد بن الحسين، اشتهر بابن الكتاني وهو من أصل قرطبي، حيث كانت قرطبة أول مركز لنشاطه العلمي، عاصر فترة الفتنة القرطبية وسقوط الخلافة ثم رحل إلى سرقسطة مع بداية الفتنة وأقام بها^(٢).

ويعتبر الطب من العلوم التي نبغ فيها هذا العالم، ومما يؤكد ذلك هو اشتغاله كطبيب خاص للحاجب المنصور بن أبي عامر وولده عبدالملك المظفر، وعندما قرر الاستقرار في سرقسطة حمل معه كل ثمرات التطور العلمي في حقل الطب وهو ما كانت تحتاجه مدينة سرقسطة^(٣).

ومما هو جدير بالذكر أن العالم ابن الكتاني كان يتميز بذكاء خارق وأفق

(١) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص(٢٨٩/١).

(٢) صاعد: صاعد بن أحمد: طبقات الأمم، تقديم لويس شنجو، بيروت، ١٩١٢م، ص(٨٢)، الضبي: بغية الملتمس، ص(٦٧).

(٣) اشتهر في قرطبة في القرن ٤هـ - ١٠م الجراح الشهير أبو القاسم الزهراوي وذلك في مجال التشريح، فأبرز أهمية التشريح بصورة قاطعة وتوصل إلى كثير من المعلومات حتى في الحيوانات فابتكر طريقاً وتطبيقات علاجية جديدة واصبح عبقرى الطب في العصور الوسطى، فأتاحت في قرطبة أكبر الخبرات والتجارب أمام الأطباء الذين تعلموا فيها كابن الكتاني ومن هنا تأتي أهمية وصوله لسرقسطة لتفاصيل أكثر عن الزهراوي. انظر: ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نقل وتصحيح امرؤ القس بن الطمان، الطبعة الأولى بالمطبعة الوهبية ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م، ص(٥٢/٢).

واسع إذ جمع بين دراسة الطب والعلوم والمنطق والفلك وغيرهما فكان يميل إلى الاستنتاج والاستقراء، فقد أثرت كل هذه الصفات بالإضافة إلى ما تمتع به من وضع اجتماعي في كل أعماله التي اكتسبت شهرة كبيرة وتوفي عام ٤٢٠ هـ- ١٠٢٩ م^(١) ونرى أن ابن الكتاني قام بدور هام عند استقراره في سرقسطة وهو أنه أورد بعض المعلومات التي تلقى جانباً من الضوء على النشاط الفكري الذي قام به في سرقسطة.

وأيضاً في مجال الطب والهندسة برزت شخصية أبي الحكم عمرو بن عبدالرحمن أحمد بن علي الكرمانى، من أهل قرطبة، طاف بمدن المشرق العربي ووصل إلى مدينة حران القديمة بين نهر دجلة والفرات على طريق الموصل والشام، التي ينسب إليها الكثير من أهل العلم ومهد علوم الحساب والعلوم الفلكية فانكب على دراسات الطب والهندسة، وبعد فترة من الزمن عاد إلى الأندلس، حيث اجتذبه المناخ العلمي المبهر لبلاط المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود بسرقسطة، فاستقر هناك.

ومما هو جدير بالذكر أن الكرمانى قد جلب معه إلى سرقسطة الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا، لا نعلم أحداً أدخلها الأندلس قبله^(٢).

ومن بين هؤلاء النحويون واللغويون الذين هاجروا من قرطبة ومن جنوب الأندلس إلى الثغر الأعلى ومنهم عبدالله بن محمد بن عيسى بن وليد النحوي، يعرف بابن الأسلمي من أهل مدينة الفرج، يكنى بأبي محمد، روى عن ابن رشيق واستقر في سرقسطة في عهد المنذر التجيبي، وله مؤلفات منها كتاب تفيقه الطالبين ثلاثة أجزاء وكتاب الإرشاد إلى إصابة الصواب في الأشرطة، وكان من أهل العلم بالنحو واللغة متحققاً بها، بارعاً فيهما، وكان قد شرع في شرح كتاب

(١) صاعد: طبقات الأمم، ص(٨١)، الضبي: بغية الملتبس، ص(٦٧).

(٢) صاعد: المصدر السابق، ص(٧٠-٧١).

الواضح للزبيدي فبلغ منه نحو النصف، وتوفي قبل إكماله^(١).

أما في مجال الأدب والشعر فيبدو أن سحر بلاط سرقسطة والرخاء الاقتصادي بها قد جذب الكثير من العلماء والأدباء، ومن بين الشعراء الذين اتجهوا إلى سرقسطة أثناء طوافهم بالأندلس برز أبو عمر يوسف بن هارون الكندي، المعروف بالرمادي الذي رحل إلى عبدالرحمن بن محمد التجيبي صاحب سرقسطة ومدحه بالقصيدة الميمية المشهورة، فأعطاه ثلاثمائة دينار ذهب بخلاف نفقة الطريق ذهاباً وعودة إلى قرطبة^(٢) ويعتبر أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي أكبر نموذج لشعراء عصر الخلافة وقد قصد سرقسطة ما بين أعوام (٣٧٥هـ - ٩٨٥م - ٣٧٨هـ - ٩٨٩م) وساهم بصورة كبيرة في تطوير الشعر الغنائي العربي الأندلسي، خاصة في صيغته الشعبية المسماة بالموشحات وتوفي سنة ٤١٢هـ - ١٠٢٢م^(٣).

وأيضاً هناك الشاعر ابن دراج القسطلي (ت ٤٢١هـ - ١٠٣٠م) الذي ينسب إلى قبيلة صنهاجه^(٤) نجد أن شطراً كبيراً من شعره توجه نحو مدح منذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة وابنه يحيى المنذر^(٥) وقد أتيح له في سرقسطة جو

(١) ابن بشكوال: الصلة، ص(٢٥٣/١).

(٢) الضبي: بغية الملتمس، ص(٤٩٣-٤٩٤).

(٣) الضبي: المصدر نفسه، ص(٤٩٥-٤٩٦).

(٤) هو ابن عمر بن محمد بن دراج الأندلسي القسطلي نسبة إلى موضع هناك يعرف بقسطلة دراج، كان كاتباً من كتاب الإنشاء في أيام المنصور ابن أبي عامر، وهو معدود في جملة العلماء والمقدمين من الشعراء، والمذكورين من البلغاء، وشعره كثير مجموع يدل على علمه، وله طريقه في البلاغة والرسائل، تدل على اتساعه وقوته، وأول من مدح من الملوك المنصور ابن أبي عامر، وتوفي سنة ٤٢٠هـ.

انظر: الحميدي: جذوة المقتبس، ص(١٠٢-١٠٦)، ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ص(٥٦/١-٥٧)، ابن بشكوال: الصلة، ص(٤٤/١).

(٥) ابن دراج: ديوان ابن دراج، ص(٧٢).

من الاستقرار لم ينعم به منذ فارق قرطبة سنوات الفتنة، ولعله رأى في حياته في ظل التجبيين صورة من حياته الماضية في رحاب العامريين حين كان شاعر دولتهم الرسمي وكاتب الرسائل في ديوانهم وتعود على حياته الجديدة فلا يدع مناسبة تمر إلا وأنشد فيها شيئاً، ويبدو أنه قد أتيح له شيء من الثراء خلال إقامته بسرقسطة، حيث يتضح من شعره أنه اقتنى ضليعاً وجناناً تحدث عنهما في قصيدتين^(١).

ومما هو جدير بالذكر أنه أحاطت بابن دراج حلقة من التلاميذ والمعجبين بشعره الذين تعلموا منه الكثير، ونقل إلينا ابن الأبار في كتابه «التكملة» أسماء عدد من أدباء الثغر الأعلى ممن أحاطوا بابن دراج وتعلموا على يديه ومن بينهم: محمد بن ميمون القرشي السرقسطي وكان من أهل العلم بالعربية والآداب^(٢) والكاتب أبو الفرج مظفر السرقسطي الذي استقر أخيراً في غرناطة^(٣) وعبد الملك بن هشام التجيبي السرقسطي^(٤) ومحمد بن إبراهيم القيسي، أصله من وشقه وعُني أثناء إقامته بسرقسطة بجمع شعر ابن دراج وترتيبه على حروف المعجم ثم قام بنشره في كل أنحاء الثغر الأعلى^(٥).

وأيضاً في مجال العلوم الدينية حيث اتجه عدد من الفقهاء إلى سرقسطة ومنهم:

الفقيه سراج بن سراج بن محمد من أهل قرطبة يكنى بأبي الزناد، روى عن أبي محمد عبدالله بن إبراهيم الأصيلي وغيره، وقد حدث عنه أبو حفص عمر بن

(١) ابن دراج: المصدر السابق، ص(٧٥).

(٢) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، مكتبة الخانجي بمصر، والمثنى ببغداد، ص(٣٩٦/١).

(٣) ابن الأبار: المصدر نفسه، ص(٧١٣/٢).

(٤) ابن الأبار: المصدر السابق، ص(٣٩٦/١).

(٥) ابن الأبار: المصدر السابق، ص(٤٠٤/١).

كريب السرقسطي عندما التقى به في سرقسطة حيث أقام بها، وكان فقيهاً حاذقاً من العلم والاعتناء به ثقة صدوقاً، توفي بسرقسطة سنة ٤٢٢ هـ - ١٠٣٠ م^(١).

كما هاجر أيضاً من قرطبة إلى سرقسطة الفقيه المحدث أحمد بن محمد بن هشام الأيادي من أهل قرطبة، له رحلة إلى المشرق، وكانت له عناية بالحديث وجمعه وقد روى عنه القاضي محمد بن إسماعيل بن فورتنش عندما لقيه بالثغر الأعلى وصحبه به ، وكان مقيماً بالثغر الأعلى حتى سنة ٤٠٧ هـ - ١٠٢٦ م^(٢).

كما كان للقراء نصيب في الهجرة إلى سرقسطة ومنهم:

محمد بن معافى بن صميل وهو من علماء القراءات، أصله من جيان وسكن قرطبة سنة ٣٨٨ هـ، وقرأ على محمد بن يوسف، ثم رحل إلى المشرق، ولقى أبا الطيب بن غلبون وقرأ عليه بقراءة قالون، عن نافع وحج وعاد إلى قرطبة حيث أقرأ الناس فيها وعلم الصبيان بها، وهاجر أثناء الفتنة القرطبية إلى الثغر الأعلى، ومر على طليطلة فأقرأ بها سنة ٤٠٢ هـ، ثم انتقل عنها إلى سرقسطة وأقرأ بها إلى أن توفي سنة ٤١٠ هـ - ١٠١٩ م^(٣) وهناك العالم أحمد بن مطرف المشهور بابن الحطاب، من أهل قرطبة، يكنى بأبي بكر أخذ القراءة عرضاً عن أبي الحسن الأنطاكي، وأبي الطيب بن غلبون، وسمع من أحمد بن ثابت التغلبي، وأبي أحمد السامرائي، وأبي حفص بن عراك، وقد هاجر أثناء الفتنة القرطبية إلى الثغر الأعلى واستمر مقيماً به حتى وفاته سنة ٤١٦ هـ - ١٠٢٥ م^(٤).

ونعرض أخيراً لشخصية عالم فاضل ، هو عبيد الله بن سلمة بن حزم اليحصبي من أهل قرطبة، يكنى بأبي مروان، هاجر إلى الثغر الأعلى وسكن به

(١) ابن بشكوال: الصلاة، ص(٢٢١/١).

(٢) ابن بشكوال: المصدر السابق، ص(٣٣/١).

(٣) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ص(٤٧٦/٢).

(٤) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ص(٤٠/١).

وقام برحلة إلى المشرق، وحج فيها، وكتب عن أبي بكر عزره وغيره وأخذ القراءة عن عبدالله بن عطية والمظفر بن أحمد بن برهام، وعلي بن محمد بن بشر، وعبدالمنعم بن عبيد الله، وسمع من جماعة وكتب عنهم، ومن تلاميذه أبو عمرو المقرئ الذي تعلم منه عامة القرآن في الثغر الأعلى، واستمر عبيد الله بن سلمة مقيماً بالثغر حتى توفي في الفتنة القرطبية سنة ٤٠٥ هـ - ١٠١٤ م^(١).

ونستنتج من خلال ما ذكرنا سابقاً أن أحداث الفتنة القرطبية أدت إلى تدهور الأحوال السياسية والاجتماعية وهو ما أدى إلى هجرة شخصيات كثيرة بارزة من العلماء والأدباء وغيرهم من قرطبة إلى مناطق أكثر أمناً في شمال الأندلس كالثغر الأعلى (سرقسطة) حيث أناروا بعلومهم ومعارفهم تلك البقاع وتلقى وادي الإبرو المؤثرات العلمية من قرطبة ومن جنوب الأندلس على أيدي هؤلاء العلماء الذين تشبعوا بدورهم بالحضارة الإسلامية المشرقية.

مما سبق يتبين لنا أن مناخ الاستقرار السياسي والاقتصادي بسرقسطة في عصر الخلافة هياً المجال لنشأة حركة الهجرة وجذب العلماء من جميع أنحاء الأندلس إلى سرقسطة، ونشأت رغبة واسعة في البحث عن هؤلاء العلماء الذين عادوا من المشرق واستقروا بسرقسطة أو الذين هاجروا من قرطبة وجميع بلاد الأندلس واستقروا بسرقسطة أيضاً، فأصبحت سرقسطة من المراكز الثقافية الهامة في مدن الثغر الأعلى وذلك عن طريق الرحالة والمهاجرين والعلماء ذوي الشهرة العلمية العالية وتلاميذهم فانتشرت المعارف الجديدة في ميادين الشريعة والفقه والحديث والنحو والأدب والشعر ثم في الطب ومختلف العلوم التطبيقية الأخرى.

وقد ساعد الرخاء الاقتصادي في عصر الخلافة وعصر ملوك الطوائف على ازدهار هذه النهضة العلمية الكبيرة ونموها وتطورها في مختلف مدن

(١) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ص(١/٢٩٠).



حوض الإبرو، وأصبحت سرقسطة من أشهر المراكز الثقافية في الثغر الأعلى.
وبذلك شهدت فترة حكم التجيبين وبني هود بسرقسطة أسس الازدهار
الفكري الكبير، ذلك الازدهار الذي غذاه الشرق عن طريق قرطبة وشمل جميع
أنحاء حوض الإبرو.



المبحث الثاني: ازدهار العلوم والآداب في سرقسطة

العلوم الدينية:

- علوم القرآن:

يقصد بعلوم القرآن ما يتعلق به من علوم كالقراءات والتفسير .

أ- علم القراءات:

وهو من العلوم التي برز فيها الأندلسيون وفاقوا غيرهم من علماء الأقطار الإسلامية^(١) وقد ذاعت بين المسلمين سبع قراءات كانت معتمدة في قراءة القرآن الكريم، واختصت تلك القراءات بأصحابها الذين اشتهروا بروايتها^(٢) .

وقد حظيت القراءات في مدينة سرقسطة بمزيد من الاهتمام والعناية من العلماء ويأتي في مقدمتهم:

إسماعيل بن خلف بن سعيد الأنصاري (٤٥٥هـ-١٠٦٣م) مقرئ من أهل سرقسطة يكنى أبا الطاهر، كان إماماً في علوم الآداب، ومنتقناً لعلم القراءات، وله فيها مصنفات منها كتاب (العنوان) في القراءات، كما اختصر كتاب (الحجة) لأبي علي الفارسي^(٣) .

ومنهم محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي (ت ٥٣٣هـ-

(١) لطفي عبدالبديع: الإسلام في أسبانيا، ص(٤٥).

(٢) لتفاصيل أكثر عن القراء السبعة انظر: ابن النديم: الفهرست، ص(٤٦-٤٧)، الذهبي: شمس الدين محمد ابن أحمد، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، حققه بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص(١١٨-٨٢/١).

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص(٢٣٣/١).

١٣٨م) يكنى أبا جعفر من أهل سرقسطه سكن غرناطة ثم مدينة فاس، كان مقرباً مجوداً، محققاً بعلم الكلام وأصول الفقه، متقدماً في النحو، حافظاً للغة، وله مؤلفات منها شرح «إيضاح الفارسي» وصنف في الجدل مصنفين كبيراً وصغيراً^(١).

وأيضاً عثمان بن يوسف بن عبدالبر الأنصاري (ت ٥٧٧هـ-١١٨١م) مقرباً من أهل سرقسطه، يكنى بأبي عمرو، ويعرف بالبلجيطي، وهو مقرباً بارع محقق أخذ القراءات عن أبي زيد الوراق ويحيى بن محمد القطعي، كما أخذ قراءة نافع عن أبي زيد بن حيوة^(٢) ومن قراء سرقسطه محمد بن عبدالعزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري (٥١٨هـ-١١٢٤م) كان عارفاً بالأصول والفروع، وقد اعتنى بعلم القراءات وجودها وأتقن طرقها وكان حافظاً للقرآن الكريم^(٣).

وخلف بن موسى بن فتوح، يكنى بأبي القاسم ويعرف بالأشبري، وأشبره قرية من سرقسطه، وتصدر للإقراء، وقرأ القرآن على أبي الطيب بن غلبون، وأخذ عنه أبو علي بن مبشر السرقسطي وغيره^(٤).

ومنهم علي بن عبدالله بن موسى بن طاهر الغفاري (ت ٥٣٦هـ-١١٤١م) يكنى بأبي الحسن البرجي نسبة إلى بركة أحد أعمال سرقسطه، قرأ بالسبع على أبي المطرف بن الوراق، كان لغويّاً أدبياً، له حظ من رواية الحديث، كتب بخطه الكثير وجوده وأقرأ ببلده في حياة شيخه ابن الوراق وتجول في أقطار الأندلس^(٥).

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، ص(٧٢/٣-٧٣)، ابن فرحون: الديباج، ص(٢٦٣/٢-٢٦٤).

(٢) ابن الجزري: شمس الدين محمد بن محمد: غاية النهاية في طبقات القراء، عنى بنشره ج. برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٥١هـ-١٩٣٢م، ص(٥١٠/١-٥١١).

(٣) ابن بشكوال: الصلة، ص(٥٤٣/٢).

(٤) ابن الأبار: التكملة، ص(٢٩٥/١).

(٥) المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الخامس، ص(٢٣٧-٢٣٨).

واستقر به المقام في وادي آش^(١).

وأحمد بن سعيد بن عبدالله بن سراج السبيء (ت ٥٢٠هـ-١١٢٦م) يكنى بأبي جعفر من أهل مدينة الفرّج وسكن سرقسطة، يعرف بالحجّاري أخذ القراءات السبع إلا قراءة الكسائي وبعض قراءة حمزة عن سعيد بن محمد الحجاري، كان مقرّناً نحويّاً وتصدر للإقراء وتعلم العربية كثيراً بسرقسطة^(٢).

ومنهم سليمان بن يحيى بن سعيد المعافري (ت ٥٤٠هـ-١١٤٥م) يكنى بأبي داود من أهل سرقسطة وسكن قرطبة، كان مقرّناً محققاً مجوداً ماهراً حتى عرف بأبي داود الصغير، أقرأ القرآن، ودرس العربية بمسجد ابن السقاء بقرطبة^(٣).
وممن أسهم في نشاط القراءات قراء كان لهم نصيب في الهجرة إلى سرقسطة ومنهم:

محمد بن عافى بن صميل من علماء القراءات (ت ٤١٠هـ-١٠١٩م) أصله من جيان^(٤)، سكن قرطبة سنة ٣٨٨هـ وقراً على محمد بن يوسف ثم رحل إلى المشرق ولقي أبا الطيب بن غلبون فقرأ عليه بقراءة قالون عن نافع وحج وعاد إلى قرطبة حيث أقرأ الناس فيها، وعلم الصبيان بها، وقد هاجر أثناء الفتنة القرطبية إلى الثغر الأعلى، ومرّ على طليطلة فأقرأ بها سنة ٤٠٢هـ ثم انتقل عنها إلى سرقسطة وأقرأ بها إلى أن توفي^(٥).

(١) وادي آش: مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة، كبيرة خطيرة، تطرّد حولها المياه والأنهار، الحميري: الروض المعطار، ص(٦٠٤).

(٢) المراكشي: الذيل والتكملة، القسم الأول، ص(١٢٠-١٢١)، ابن الأبار: التكملة، ص(٣٣/١).

(٣) المراكشي: المصدر نفسه، السفر الرابع، ص(٩٦-٩٧).

(٤) جيان: مدينة بالأندلس، وهي كثيرة الخصب، رخيصة الأسعار، كثيرة اللحوم والعسل، الحميري: الروض المعطار، ص(١٨٣).

(٥) ابن بشكوال: الصلة، ص(٤٧٦/٢).

وأحمد بن مطرف المشهور بابن الحطاب (ت ٤١٦ هـ- ١٠٢٥ م) من أهل قرطبة أخذ القراءة عرضاً عن أبي الحسن الأنطاكي، وأبي الطيب بن غلبون وسمع من أحمد بن ثابت التغلبي وأبي أحمد السامري وأبي الحفص بن عراك، وقد هاجر في الفتنة القرطبية إلى الثغر الأعلى، ثم انتقل إلى جزيرة ميورقة وتوفي بها^(١).

وعبيدالله بن حزم اليحصبي (ت ٤٠٥ هـ- ١٠١٤ م) من أهل قرطبة، هاجر إلى الثغر الأعلى وسكن به، وقام برحلة إلى المشرق وحج فيها، وكتب عن أبي بكر بن عزرة وغيره وأخذ القراءة عن عبدالله بن عطية والمظفر بن أحمد بن برهام، وعلي بن محمد بن بشر وعبدالمنعم بن عبيد الله، وسمع من جماعة وكتب عنهم، ومن تلاميذه أبو عمرو المقرئ الذي تعلم منه عامة القرآن في الثغر الأعلى، واستمر عبيد الله مقيماً بالثغر حتى توفي^(٢).

ولدينا عدد كبير من القراء ولكنهم أقل درجة ممن ذكرناهم ويمكن الرجوع إليهم في مصادر عديدة^(٣).

ب- علم التفسير:

ويمثل علم التفسير جانباً مهماً من علوم القرآن، ويهتم بتوضيح معاني القرآن الكريم وشرح أسباب نزول السور والآيات، ودراسة أحكامه وما يتعلق به وقد نال هذا العلم جلّ عناية واهتمام الأندلسيين حيث ظهر في الأندلس عدد من العلماء البارعين في هذا الحقل وكان لهم مؤلفات ضخمة.

(١) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ص(٤٠/١).

(٢) ابن بشكوال: المصدر السابق، ص(٢٩٠/١).

(٣) ابن بشكوال: المصدر السابق، ص(١٤١/١)، ص(٣٩٨/٢)، ابن الأبار: التكملة، ص(٨١/١)، ص(٥١٤/٢)، المراكشي: الذيل والتكملة، القسم الأول، ص(١١٦-١١٧)، ابن الجزري: غاية النهاية، ص(٣٦٩/١).

أعلام الفقه والحديث ومنهم أبو ذر الهروي^(١).

ويأتي في الصدارة من علماء الحديث العلامة الحسين بن محمد بن فيرة الصدي ت (٥١٤هـ - ١١٢٠م) يكنى أبا علي، الملقب بابن سُكره، أصله من مدينة سرقسطة ونشأ فيها وروى عن علمائها مثل أبي الوليد الباجي وعبدالله بن محمد بن إسماعيل وغيرهما ثم انتقل إلى بلنسية والمريّة والتقى بعلمائها ومنهم أبو العباس العذري، ومحمد بن سعدون القروي، وفي عام ٤٨١هـ رحل أبو علي إلى المشرق وسمع من كبار العلماء والمحدثين بمكة ومصر والعراق والشام^(٢) ثم رجع إلى الأندلس في عام ٤٩٠هـ وقصد مدينة مرسية واستوطنها وأخذ يبيث علومه ومعارفه بجامعها، وقصده الناس يدرسون عليه ويأخذون عنه حيث كان عالماً بالحديث وطرقه عارفاً بعلمه وأسماء رجاله ونقلته يبصر المعدلين منهم (والمجرحين)^(٣) وكان أبو علي حسن الخط مما ساعده على أن يكتب بخطه علماً كثيراً، وقد ركز اهتمامه على العناية بصححي البخاري ومسلم وسنن الترمذي، فكان حافظاً ذكراً لمتونها وأسانيدها^(٤) ومما يؤكد ذلك ما ذكره القاضي عياض (ولقد حدثني الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر أنه قال له: خذ الصحيح وانكر أي متن شئت منه أذكر لك سنده، أو أي سند شئت أذكر لك متنه)^(٥).

وقد استشهد أبو علي الصدي في وقعة كتندة بثغر الأندلس^(٦).

ومنهم رزين بن معاوية بن عمار العبدي الأندلسي (ت ٥٢٤هـ - ١١٢٩م)

(١) ابن بشكوال: الصلاة، ص (١٩٧/١).

(٢) المقرئ: أزهار الرياض، ص (١٥٢-١٥١/٣).

(٣) ابن بشكوال: الصلاة، ص (١٤٤-١٤٣/١).

(٤) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ص (١٤٤/١).

(٥) المقرئ: نفخ الطيب، ص (٩٢/٢).

(٦) الضبي: بغية الملتمس، ص (٢٦٩)، ابن فرحون: الديباج المذهب، ص (٢٨٨/١) وما بعدها.

يكنى بأبي الحسن، من أهل سرقسطة «جاور بمكة شرفها الله أعواماً وحدث بها عن أبي مكتوم عيسى بن ذر الهروي وغيره»^(١) وكان عالماً بالحديث وغيره وله فيه مؤلفات^(٢) منها تجريد الصحاح الستة، وأخبار مكة والمدينة وفضلهما وكتاب في جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخاري والموطأ والسنن للنسائي والترمذي، وهو كتاب جليل مشهور في أيدي الناس بالمشرق والمغرب^(٣).

ومن حفاظ الحديث محمد بن هاشم الهاشمي، يكنى بأبي عبدالله وهو من أهل سرقسطة، وهو علامة محدث، كان يقرأ من حفظه صحيح البخاري على طلبه العلم بين صلاة المغرب والعشاء وهو في ذلك حافظ للسند دقيق في سرده لا يخل بشيء منه^(٤) ومنهم عبدالله بن عيسى الشيباني (٥٣٠هـ-١١٣٥م) يكنى بأبي محمد، من أهل سرقسطة، وهو علامة محدث، كان يحفظ صحيح البخاري وسنن أبي داود، واعتنى بصحيح مسلم، وصنف في شرحه كتاباً لم يتمه^(٥).

وأيضاً القاسم بن الفتح بن محمد بن يوسف (ت ٤٥١هـ-١٠٥٩م) يكنى أبا محمد، ويعرف بابن الرُّيالي كان عالماً بالحديث ضابطاً له وله فيه مؤلفات عديدة أكثرها رسائل وكان قد شرع في جمع الحديث في كتاب أسماه «الاستيعاب» ولكن توفي قبل أن يكمله^(٦).

ويتضح لنا مما سبق أن علماء الحديث الأندلسيين تناولوا كتب الصحاح والسنن المشهورة واهتموا بها اهتماماً بالغاً فدرسوها وشرحوها، وكان هناك عدد

(١) ابن بشكوال: الصلاة، ص(١٨٥/١)، الضبي: بغية الملتبس، ص(٢٩٣)، ابن فرحون: الديباج المذهب، ص(٣٢٠/١-٣٢١).

(٢) ابن بشكوال: الصلاة، ص(١٨٥/١).

(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب، ص(٣٢٠/١-٣٢١)، بالنثيا: تاريخ الفكر، ص(٣٩٦).

(٤) ابن بشكوال: الصلاة، ص(٥٢٢/٢-٥٢٣).

(٥) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ص(٢٨٥/١).

(٦) ابن بشكوال: المصدر السابق، ص(٤٤٦/٢).

منهم من يحفظ صحيح البخاري مع فهمه لأحاديثه .

- الفقه وأصوله:

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه^(١).

وعلم الفقه من العلوم الدينية التي كان لها مكانة رفيعة عند الأندلسيين، وفي هذا الصدد يقول أحد المؤرخين « وللفقه رونق ووجاهة »^(٢) فكانت سمة الفقيه عندهم جليلة حتى إن المرابطين كانوا يُسمُّون الأمير العظيم الذي يريدون تنويبه بالفقيه، وقد يقولون للكاتب والدَّحوي واللغوي فقيه لأنها أرفع السمات^(٣) وكان المذهب السائد عند أهل الأندلس هو مذهب الإمام مالك^(٤) « ولا مذهب لهم إلا مذهب مالك، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يبحثون به بمحاضر ملوكهم نوي الهمم في العلوم »^(٥).

ومما هو جدير بالذكر أن علماء الأندلس في عصر ملوك الطوائف قد بلغوا الغاية في علوم الفقه والحديث والتفسير والقراءات، وقد أشار إلى ذلك الأمير عبدالله بن بلقين في مذكراته بقوله: «ولم تزل الأندلس قديماً وحديثاً عامرة

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص(٤٤٥).

(٢) المقرئ: نفع الطيب، ص(٢٢١/١).

(٣) المقرئ: المصدر نفسه، ص(٢٢١/١).

(٤) مالك بن أنس بن أبي عامر، صاحب المذهب المالكي، وهو من حمير، وكان فقيه الحجاز وسيدها في العلم ومن مؤلفاته: كتاب الموطأ، توفي سنة ١٧٩ هـ - ٧٩٥ م، ابن النديم: محمد بن اسحاق بن محمد: الفهرست، اعتنى بها وعلق عليها إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ص(٢٤٧).

(٥) المقرئ: نفع الطيب، ص(٢٢١/١).

بالمعلماء والفقهاء وأهل الدين وإليهم كانت الأمور مصروفة»^(١).

وقد زحزت سرقسطة بعدد من الفقهاء النابغين الذين أسهموا بقدر عظيم في النهوض بذلك العلم ومنهم:

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الباجي القرطبي (ت ٤٧٤هـ- ١٠٨١م) وهو من أشهرهم، يكنى بأبي الوليد، وكان من بين العلماء المعدودين في بلاط بني هود في سرقسطة، حيث كان المقتدر بالله أحد ملوك سرقسطة في عصر الطوائف يفخر بوجوده في بلاطه وبين علماء مملكته، فقد كان الباجي فقيهاً بارعاً ومحدثاً لامعاً، وله منزلة رفيعة بين علماء عصره^(٢) وفي عام ٤٢٦هـ- ١٠٣٤م رحل الباجي إلى المشرق ليدرس الفقه ويكتب الحديث، فأقام ببغداد ثلاث سنوات، ولقي الباجي في رحلته هذه مجموعة من الفقهاء يأتي في مقدمتهم أبو الطيب طاهر بن عبدالله الطبري وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشافعي، والقاضي الحسن بن علي الصميري، وكان مقامه بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاماً ثم عاد إلى الأندلس وأخذ في نشر علومه فقصده الفقهاء وطلبة العلم من كل صوب^(٣).

ومما هو جدير بالذكر أنه كان لأبي الوليد الباجي مناظرات علمية مع علماء عصره مثل أبي الحزم الظاهري وقد أقر له العلماء بالقدر الجليل والمنزلة الرفيعة، ومن بينهم خصمه ابن حزم الذي ذكر أنه لم يكن لأتباع المذهب المالكي بعد _____ د عب _____ د الوهاب^(٤)

(١) عبد الله بن بلقين: التبيين، ص(١٧).

(٢) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص(١٩٦-١٩٧)، الضبي: بغية الملتمس، ص(٣٠٢-٣٠٣).

(٣) ابن بسام: الذخيرة، ق ٢، ص(٧٦/١-٧٧)، ابن خاقان: قلائد العقيان، ص(٩٦-٩٧)، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص(٤٠٤/١-٤٠٥)، ابن بشكوال: الصلة، ص(١٩٧/١)، ابن عماد: شذرات الذهب، ص(٣٤٤/٧-٣٤٥).

(٤) هو عبدالوهاب بن علي بن نصر التغلبي، وهو من كبار فقهاء المذهب المالكي في المشرق. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص(٣٨٧/٢).

مثل أبي الوليد الباجي.

وقد ناظر الباجي ابن حزم بجزيرة ميورقة^(١) (Mallorca) فأضعف من شأن مذهبه، مما كان سبباً في إحراق كتبه، ولكن ابن حزم رغم ذلك لم ينكر منزلته أو يعض من شأنه^(٢) وأيضاً من العلماء الذين أقروا له بالقدر الجليل أبو علي بن سكرة الصدفي حيث قال: « ما رأيت مثل أبي الوليد الباجي، وما رأيت أحداً على هيئته وسمته وتوقير مجلسه »^(٣) ثم ذكر أنه عندما كان في بغداد قدم ابن لأبي الوليد يكنى أبا القاسم، فسار أبو علي معه إلى مجلس قاضي القضاة الشاشي، فعرف أبو علي الشاشي على أبي القاسم ووصفه بأنه ابن شيخ الأندلس فقال الشاشي لعله ابن الباجي، فقال أبو علي نعم فرحب به وقرب مجلسه^(٤).

وكان لأبي الوليد مصنفات قيمة، فمنها في الفقه كتابان في شرح الموطأ ويسمى كتابه الأول (بالاستيفاء) ثم انتقى منه فوائد سماها « المنتقى » في سبع مجلدات ويعتبر هذا الكتاب أحسن مصنف في مذهب الإمام مالك لأنه شرح فيه أحاديث الموطأ وفك غامضها، وله أيضاً « إحكام الفصول في أحكام الأصول » و « الإيماء » و « مختصر المختصر » في مسائل المدونة و « الإشارة في أصول الفقه » و « الحدود » و « السراج في الخلاف » وغير ذلك^(٥).

(١) ميورقة هي جزيرة في البحر الزقاقى ويحدها من الشرق جزيرة سرديانية، وغربيها جزيرة يابسة، وميورقة أم هاتين الجزيرتين وهما بنتاهما، وافتتحها المسلمون عام ٢٩٠هـ. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص(٥٦٧-٥٦٧).

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق٢، ص(٧٧/٣).

(٣) المقرئ: نفع الطيب، ص(٦٧/٢).

(٤) المقرئ: المصدر السابق، ص(٦٧/٢).

(٥) المقرئ: المصدر نفسه، ص(٦٩/٢)، حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله: كشف الظنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص(١٩٠٧/٢-١٩٠٨)، أنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، نقلة من الأسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ١٩٥٥م، ص(٤٢٤-٤٢٥).

ومن علماء الفقه أيضاً عبدالله بن أحمد بن محمد الأنصاري (ت ٣٩٢هـ-
١٠٠١م) يكنى بأبي محمد ويعرف بابن البرجولش، من العلماء المبرزين في الفقه،
حيث كان يحفظ الموطأ، وولي القضاء بسرقسطة بعد عبدالرحمن بن فورتش إلى
جانب اهتمامه بالأدب والشعر سمع بسرقسطة من أبي عبدالله وبقرطبة من ابن
القوطية وغيره، وبمصر من الحسن بن رشيق، وكانت له رحلة إلى المشرق^(١).

ومنهم إبراهيم بن جعفر الزهدي (ت ٤٣٥هـ- ١٠٤٣م) يكنى بأبي إسحاق
ويعرف بابن الأشيري، كان فقيهاً عالماً، حافظاً للرأي واختصر كتاب أبي محمد بن
أبي زيد في المدونة، وله رحلة إلى المشرق لقي فيها طاهر بن غلبون وأخذ عنه^(٢).

ورافع بن نصر بن رافع بن غريب (٤٣٥هـ- ١٠٤٣م) يكنى بأبي الحسن،
وكان فقيهاً حافظاً، وممن شهد على أبي عمر الطلمنكي بخلاف السنة، وحدث عنه
القاضي موسى بن خلف بن أبي درهم^(٣).

وعبدالرحمن بن موسى بن محمد بن عقبة الكلبي (٤٦٨هـ- ١٠٧٥م) يكنى
بأبي زيد، كان فقيهاً عظاماً، زاهداً ورعاً، وأراد المقتدر بالله أن يوليه الأحكام
بسرقسطة فأبى عليه وحلف ألا يقبلها فأعفاه منها، وكان من المفتين بالمسح، على
الرغم من أنه لم يمسخ على الخفين قط^(٤).

ومنهم عبدالرحمن بن عمر بن محمد بن فورتش (ت ٤٦٨هـ- ١٠٧٥م)
يكنى أبي المطرف وهو من الذين نبغوا في الفقه والأدب، وكان فصيح اللسان
عارفاً بعقد الشروط وكتب لابن عمه القاضي محمد بن إسماعيل^(٥).

(١) ابن الفريسي: تاريخ العلماء، ص(٢٨٩/١).

(٢) ابن بشكوال: الصلة، ص(٩٦/١)، ابن فرحون: الديباج المذهب، ص(٢٢٢-٢٢١/١).

(٣) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ص(١٨٤/١).

(٤) ابن بشكوال: المصدر السابق، ص(٣٢٤/١).

(٥) ابن بشكوال: المصدر السابق، ص(٣٢٤/١).

وأيضاً هناك العديد من الفقهاء المعدودين في سرقسطة الذين خلدت لنا كتب التراجم أسماءهم إلا أنهم أقل منزلة ممن سبق ذكرهم ويمكن الرجوع إليهم في مصادر عديدة^(١).

(١) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص(٣٤/١)، ابن بشكوال: الصلة، ص(٧١/١) - ١٧٠-١٩٩، الضبي: بغية الملتمس، ص(١٤١ - ٣٠٠)، ابن الأبار: التكملة، ص(٣٤/١) - ١٣٥-١٨٠-٣٠٠-٣٠١، المرakشي: محمد بن محمد بن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الصلة والموصول، تحقيق محمد بن شريفه وإحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٤٠هـ-١٩٢٠م، ق١، ص(١٤٨-٧٧)، ق٢، ص(٤٢٩) السفر الرابع، ص(٤٢-٧١-١٠٠).

علم الكلام:

هو علم يتضمن الحجاج (الجدل) عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد^(١).

وكانت عناية الأندلسيين بهذا العلم محدودة وفي هذا الصدد يقول ابن حزم « وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم، ولا اختلفت فيها النحل فقلّ لذلك تصرفهم في هذا الباب، فهي على كل حال غير عرية عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار على أصوله، ولهم فيه تواليف »^(٢).

ومن المشتغلين بعلم الكلام في مدينة سرقسطة:

محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق (ت ٥٣٨هـ-١١٤٣م) يكنى بأبي جعفر من أهل سرقسطة، وجده ذو الوزارتين محمد بن أحمد، استقر بمدينة فاس، وروى أحكامها وأفتى بها، وأقرأ العربية، كان متفنناً ذا حظ من علم الكلام، حسن الخلق قوالاً بالحق^(٣).

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص(٤٥٨)، ولتفاصيل أكثر عن علم الكلام انظر: ابن خلدون: المصدر نفسه، ص(٤٥٨) وما بعدها.

(٢) المقرئ: نفع الطيب، ص(١٧٦/٣).

(٣) ابن الأبار: التكملة، ص(٤٤١/١).

المبحث الثالث: علوم الأدب واللغة

اللغة والنحو:

حظيت الدراسات اللغوية والنحوية باهتمام وعناية الأندلسيين، « فكانوا يروون أبناءهم الفصيح من المنثور والمنظوم ليربوا فيهم الملكات الأدبية جارين في ذلك على السنة العربية القديمة »^(١).

وعلم النحو أحد علوم اللغة الذي كان له مكانة رفيعة وفي هذا الصدد يقول أحد المؤرخين (وكل عالم في أي علم لا يكون متمكناً من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتميز ولا سالم الازدراء)^(٢).
ومما هو جدير بالذكر أن علماء اللغة والنحو احتلوا مكانة سامية في عصر الخلافة وملوك الطوائف.

ومن علماء اللغة والنحو الذين ظهوروا في مدينة سرقسطة ما يلي:

محمد بن مبارك (ت ٤٨٣هـ - ١٠٩٠م) مولى المنصور بن أبي عامر، من أهل سرقسطة، يكنى بأبي عبدالله، ويعرف بابن الخباز، كان حافظاً للغة، غزير الأدب أخبارياً وجيهاً في بلده، وله مؤلفات جيدة^(٣).

وسليمان بن أحمد بن محمد السرقسطي (ت ٤٨٩هـ - ١٠٩٥م) يكنى بأبي الربيع الأندلسي، مقرئ لغوي^(٤).

(١) لطفی عبدالبدیع: الإسلام في أسبانيا، ص(٧٣).

(٢) المقرئ: نفع الطيب، ص(٢٢١/١).

(٣) ابن الأبار: التكملة، ص(٤٠٠/١).

(٤) القفطي: جمال الدين علي بن يوسف أنباه الرواه على أنباه النحاة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص(١٤١/٢) وما بعدها.

ومنهم علي بن إسماعيل بن سعيد بن أحمد بن لب بن حزم الخزرجي الشارقي الأندلسي النحوي، وشارقة « حصن بقرب سرقسطة » قرأ النحو على ابن طراوة المالقي وكان أبوه إسماعيل مقرئاً نحويّاً، وكان على هذا حفظة^(١).

ويوسف بن موسى الكلبّي الضرير (ت ٥٢٠هـ- ١١٢٦م) من أهل سرقسطة يكنى بأبي الحجاج كان نحويّاً أصولياً إماماً، أخذ عن أبي بكر المرادي، وكان مختصاً به وله تصانيف حسان وأراجيز مشهورة، وانتقل إلى العدو وتوفي بها^(٢).
ومن علماء النحو في سرقسطة سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطي، كان متحققاً إماماً في علم النحو واللغة، وله مؤلفات في الموسيقى والفلسفة، ذكرناها سابقاً^(٣).

وعبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي، (ت ٥٢١هـ- ١١٢٧م) من أهل بطليوس كان عالماً بالأدب واللغات، متبحراً فيها، مقماً في معرفتها، يجتمع الناس إليه ويقروون عليه ويقتبسون منه، وكان حسن التعليم، جيد التلقين، ثقة افظاً ابطاً^(٤) وكان لمكانته العلمية وغازاة علمه أن اجتذبه المستعين بن هود، حيث حل عليه ضيفاً فقبول بالحفاوة والتكريم، فلم يبق هناك طويلاً حيث خرج من سرقسطة واتجه إلى طليطلة^(٥).

وله العديد من المصنفات منها كتاب (المثلث) في اللغة، وكتاب «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب» و كتاب «الأنساب الموجبة لاختلاف الأمة» وكتاب «شرح الموطأ» وكتاب «شرح سقط الزند» وكتاب «إصلاح الخلل الواضح في

(١) القفطي: المصدر نفسه، ص(٢٢١/٢).

(٢) الضبي: البغية، ص(٤٩٢)، المقرّي: أزهار الرياض، ص(١٦١/٣).

(٣) صاعد: طبقات الأمم، ص(٦٨-٦٩).

(٤) القفطي: أنباه الرواة، ص(١٤١/٢) وما بعدها.

(٥) المقرّي: أزهار الرياض، ص(١٢١/٣)، البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص(٣٧٣).

شرح الجمل» وكتاب «شرح أبيات الجمل» وكتاب «التذكرة الأدبية»^(١).

علم الأدب:

- الشعر:

كان لطبيعة سرقسطة الساحرة وجمال مناظرها وكثرة بساطتها أعظم الأثر في ازدهار الشعر وظهور عدد كبير من الشعراء المبدعين الذين تغنّوا بجمال طبيعتها كما امتدحوا بعض ملوكها وأمرائها، ومنهم ابن دراج، حيث كانت له قصائد في مدح المنذر، ومنها عندما مدح ابن دراج الخليفة المرتضى عام ٤٠٧ هـ - ١٠١٧ م عندما وقعت المعركة بين الخليفة المرتضى والبربر، كما ذكرنا ذلك سابقاً، فقد اختص ابن دراج منذر بن يحيى بجانب كبير من هذه القصيدة، ولعله كان يبيت في نفسه منذ ذلك الحين التوجه إلى منذر في سرقسطة للاختصاص به^(٢)، وأخيراً قصد ابن دراج سرقسطة حيث كان المنذر قائماً بالأمر وأولى القصائد التي مدح بها ابن دراج منذرًا التجيبي وذلك عند قدومه إلى سرقسطة في عام ٤٠٨ - ١٠١٨ م هي التي استهلها بقوله:-

بشراك من طول الترحل صبح بروح السفر لاح فأسفرا
والسرى

فقد أتى لابن دراج جوٌّ من الاستقرار لم ينعم به منذ فارق قرطبة في سنوات الفتنة، وفي بلاط منذر وابنه يحيى بعده قضى ابن دراج نحو عشر سنوات تمتع خلالها ببعض الهدوء والنعمة وإلى هذين الملكين وجه ابن دراج شطراً كبيراً يبلغ نحو الثلث من إنتاجه الشعري^(٣).

وبقى ابن دراج في كنف الأمير الجديد يحيى بن منذر (المظفر) على حاله

(١) القفطي: المصدر نفسه، ص(١٤١/٢) وما بعدها.

(٢) ابن دراج: ديوان ابن دراج، ص(٦٩-٧٠).

(٣) ابن دراج: المرجع السابق، ص(٧١-٧٢).

الأول مادحاً له مسجلاً كل ما وقع في عهده من أحداث مهمة بالإضافة إلى شعر المناسبات والتهنئات^(١). وفي هذا الصدد يقول ابن حيان: (فلم يزل عنده [أي عند عند المنذر] وعند ابنه بعده مادحاً لهما، مثنياً عليهما غير لبغٍ بدلاً بجوارهما إلى أن مضى لسبيله)^(٢).

وقد حفلت مدينة سرقسطة بعدد من الشعراء ومنهم:

أحمد بن محمد بن سهل، سرقسطي، ويكنى أبا جعفر بن الخراز و(هو معدود في شعراء بني هود، وكان من أهل القرآن والأدب والشعر) وله قصائد مطولات في مدح بني هود وابن صمادح، وتوفي أحمد بن سهل في عهد المستعين الأصغر^(٣).

وأبو العرب الصقلي من شعراء الأندلس وسكن سرقسطة ومدح المستعين بن هود بشعر^(٤).

ومن شعراء سرقسطة سليمان بن مهران السرقسطي، يكنى بأبي ربيع أديب شاعر وله شعر كثير وإحسان مشهور وله جلاله وقدر^(٥).

والأمير عبدالله بن هود (ذو الوزارتين) ويكنى بأبي محمد، وهو أحد النجباء الأدباء من ملوك سرقسطة والثغر الأعلى، نفاه ابن عمه المقتدر عن سرقسطة فقصد طليطلة عند ابن ذي النون ثم مل الإقامة هنالك، وجعل يضطرب ما بين

(١) ابن دراج: المرجع السابق، ص(٧٥-٧٦).

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ص(١٤٩/١).

(٣) المراكشي: الذيل والتكملة، القسم الثاني، ص(٤٣٦-٤٣٥).

(٤) الأصفهاني: عماد الدين: خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق عمر الدسوقي وعلى عبدالعظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٦٤م، ص(٥٠/٢) هامش (٢).

(٥) الحميدي: جذوة المقتبس، ص(٢٠٩)، الضبي: بغية الملتبس، ص(٣٠٠-٣٠١)، ابن بسام:

الذخيرة، ق ٣، ص(٢٣٦/٥)، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص(٤٤٢/٢).

ملوك الطوائف إلى أن استقر عند المتوكل ابن الأفتس فولاه مدينة الأشبونة من أعماله ثم صُرف عنها^(١)، وكان ممن تندر له الأبيات وتستظرف له بعض المقطوعات كقوله بعد خروجه من سرقسطة:

ضللتكم جميعاً يال هود عن الهدى
وشنتم يمين المُلْك بي فقطعتم
وما أنا إلا الشمس غير غياهب
وإن طلعت تلك البدور أهلة
فلا تقطعوا الأسباب بيني وبينكم
وضيعتم الرأي الموفق أجمعاً
بأيديكم منها وبالغدر إصبعاً
دجت فأبت لي أن أنير وأسطعاً
فلم يبق إلا أن أغيب وأطلعاً
فأنفكم منكم وإن كان أجدعاً^(٢)

ومن شعراء سرقسطة علي بن خير التطيلي، يكنى بأبي الحسن، كان من أحفظ أهل عصر ملوك الطوائف للأدب والأنساب والأخبار، وكان شاعراً مجيداً، رحل من بلده (تطيلة) إلى بلاط بني هود في سرقسطة، فقبول بكل تقدير واحترام، كما أنه استطاع أن ينال منزلة رفيعة بين شعرائهم وذلك بإمتداحه لملك سرقسطة المقتدر بن هود^(٣).

ومنهم محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي طالب القيسي، من أهل وشقة وسكن سرقسطة، يكنى بأبي طالب، كان من أهل الأدب واللغة، عارفاً بهما مدرساً لهما حسن الخط مشاركاً في النظم والنثر، وجمع شعر أبي عمر القسطلي على حروف المعجم وزاد فيه كثيراً على ما بأيدي الناس وذلك في سنة ٤٦٧ هـ- ١٠٧٤ م^(٤).

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق ٢، ص (٦٠٦/٤)، ابن الأبار: الحلة السيرة، ص (١٦٥/٢)، ابن سعيد: المغرب، ص (٤٣٩/٢).

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق ٢، ص (٦٠٦/٤).

(٣) ابن سعيد: المغرب، ص (٤٥٠/٢-٤٥١).

(٤) ابن الأبار: التكملة، ص (٤٠٤/١-٤٠٥).

وإبراهيم بن معلي الطرسوني ، يكنى بأبي إسحاق، فقد ذاع اسمه في بلاط بني هود ومدح ملكهم المقتدر بن هود، ووصف بالبراعة في نظم الشعر، وقرض القصائد الطويلة التي تتم عن تمكن وطول نفس، ومن أشعاره في الرثاء:

رزء بكت منه العلا ومصاب شقت عليه جيوبها الأحباب
وظفقت ألتمس العزاء فخانني نفس تذبذبُ وأدمع تنساب
وتلجلج الناعي به فسألته عود الحديث لعله يرتاب^(١)

ويحي بن الجزار السرقسطي ، كان في دكان له بسر قسطة يبيع اللحم، ولكن تعلقت نفسه بقول الشعر فبدع فيه ومكنه ذلك من مدح ملوك بني هود حيث كانت له قصائد عديدة ثم ترك الأدب والشعر وعاد إلى القصابة مرة أخرى فأمر ابن هود وزيره ابن حسداي أن يوبخه على ذلك فخاطبه بأبيات منها:

تركت الشعر من ضعف الإصابه وعدت إلى الدناءة والقصابه
فرد عليه الجزار بقصيدة منها قوله:

تعيب على مألوف القصابه ومن لم يدر قدر الشيء عابه^(٢) .

ومنهم الكميت بن الحسن، يكنى بأبي بكر، سكن سرقسطة، شاعر أديب يمدح الأمراء، وكان من شعراء عماد الدولة أبي جعفر بن المستعين بن هود، قال الحميدي: «لقبته وقرأت عليه كثيراً من شعره» ومنه:

(١) ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، ص (٦/٦٣٣، ٦٣٧)، ابن سعيد، المغرب، ص (٢/٤٥٧-٤٥٨)،

البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص (٣١٧).

(٢) ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، ص (٦/٦٨٤)، ابن سعيد: المغرب، ص (٢/٤٤٤-٤٤٥).

سقى البرق ما بين العُذيب وبارق وواصل ما بين النجاج ومنبج
منازل لم تقصر بها ظباؤها ولا نهيت غزلانها عن تبرج
ليالي أبناء الهوى من هوائها معاً تحت ظل سايع البرد

(١١)

كما ظهر أيضاً شعراء في سرقسطة ولكنهم أقل درجة ممن سبقوهم ومنهم:

محمد بن يوسف بن عبدالله التميمي (ت ٥٣٨هـ-١١٤٣م) من أهل سرقسطة
سكن قرطبة، يكنى أبا الطاهر، كان مقدماً في اللغة العربية، شاعراً محسناً وله
مقامات من تأليفه^(٢).

ومروان بن جراح المرادي (ت ٥٠١هـ-١١٠٧م) من أهل سرقسطة، يكنى
بأبي جعفر، كان أديباً متفنناً أستاذاً في العربية^(٣).

وأيضاً محمد بن أحمد بن محمد بن سهل الأنصاري، من أهل
سرقسطة وسكن بلنسية، يكنى بأبي عبدالله يعرف بابن الخراز، كان أديباً شاعراً
راوية كثيراً حسن الخط^(٤) وقد أشرنا إلى والده في بداية حديثنا عن علم الأدب.

- النثر:

(إن علم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر أنبل علم عند أهل
الأندلس)^(٥).

وينقسم النثر إلى نوعين:

١- النثر الفني ٢- النثر التأليفي الأدبي.

(١) الحميدي: الجذوة، ص(٣١٤)، ابن الأبار: التكملة، ص(٣٤٨/١).

(٢) ابن بشكوال: الصلة، ص(٥٥٦/٢).

(٣) ابن الأبار: التكملة، ص(٦٩٤/٢).

(٤) ابن الأبار: المصدر نفسه، ص(٤٢٣/١).

(٥) المقرئ: نفع الطيب، ص(٢١٢/١).

ويقصد بالنثر الفني أسلوب الرسائل الديوانية، والإخوانيات والوصايا
والمناظرات وغير ذلك من مواضع النثر الفني^(١).

ولقد اعتنى أهل الأندلس بالنثر الفني وخاصة في عصر الخلافة وملوك
الطوائف حيث برز عدد كبير من الكتاب، كما حظي كاتب الرسائل عندهم بمنزلة
رفيعة، ولسمو منصب الكتابة كان صاحبها يحظى بالتشريف والتوقير في
المخاطبات^(٢).

وقد ظهر في مدينة سرقسطة عدد من الكُتّاب الماهرين ومنهم:

الكاتب عمر بن القلاس وهو من كبار الكتاب في مدينة سرقسطة ويقول ابن
بسام (من عليه كُتّاب الثغر الأعلى) فقد كان له من النثر البديع ما ينم عن أدب
غزير وتمكن من اللغة^(٣).

ومنهم يوسف بن جعفر الباجي، يكنى بأبي عمر، وهو شاعر وأديب له
مكانته ووصف بالإعجاز في البلاغة والبيان، وتمكن أبو عمر من أن يحتل منزلة
سامية في بلاط بني هود عند المقتدر بالله وفي هذا الصدد يقول ابن خاقان
(فتهادته الرياسات وقادته تلك السياسات فانتقل إليهم انتقال الشمس في مطالع
السعود ومقل روض الأمانى ناضر العود واستدعاه المقتدر بالله فعرف محله
وأحله من الحظوة ما أحله فاستحسن ملكه واستطابه وملاً بعوارفه عيابة ووطابة
ولقي من أهل سرقسطة كل ضاحك بسام..)^(٤).

(١) مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي، ص(٥٧٠)، البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك
الطوائف، ص(٣٣١).

(٢) المقرئ: النفع، ص(٢١٧/١).

(٣) ابن بسام: الذخيرة، ق٣، ص(٣١٤/٥)، البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف،
ص(٣٣٩).

(٤) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص(١٠٦-١٠٧)، ابن بسام: الذخيرة، ق٢، ص(١٤٨/٣) وما بعدها،
=

كما برز أيضاً في سرقسطة عبدالله بن السيد، يكنى بأبي محمد (ت ٥٢١هـ- ١٢٧م) وهو أديب ولغوي له منزلته الرفيعة، فقد حل على بلاط المستعين أحمد بن هود بعد طول ترحال (فلم يخفف على المستعين اختلاله، ولم تخف لديه خلاله فذكره معلماً به ومعرفاً وأحضره منوهاً له ومشرفاً) (١).

وهناك العديد من الأدباء والكتّاب في مدينة سرقسطة ويمكن الرجوع إليهم في عدد من المصادر (٢).

أما النثر التأليفي الأدبي: يقصد به تأليف كتب أدب بالمفهوم السائد في القرنين الثالث والرابع الهجريين - العاشر والحادي عشر الميلاديين لكلمة أدب، والذي كان يقصد به الثقافة العربية الخالصة التي يستهدف بها التأديب والتهديب (٣) ولكن للأسف لم تحظ سرقسطة بهذه الفئة من الأدباء.

= ابن سعيد: المغرب، ص (٤٠٥/١)، الأصفهاني: خريدة القصر، ق ٤، ص (٣٣٧/٢-٣٣٨).
(١) المقري: أزهار الرياض، ص (١٢١/٣)، البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص (٣٤٠).

(٢) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص (١١٠-١١١)، ابن بسام: الذخيرة، ق ٣، ص (٢٣٦/٥) وما بعدها، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص (٤٤٠/٢)، الأصفهاني، ق ٤، ص (٣٤٩/٢-٣٥٠) ابن الأبار: التكملة، ص (٧١٣/٢-٧١٤).

(٣) البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص (٣٤٧).

المبحث الرابع: العلوم الاجتماعية

التاريخ:

للتاريخ مكانة رفيعة عند الأندلسيين تتجلى في كثرة ما ألفوا في أحوال بلادهم وقد باهى ابن حزم بتفوق قومه في هذا الحقل، فذكر أنه قلما خص أبناء مص من الأمصار الإسلامية بلدهم بتأليف دون سائر البلاد كالأندلسيين^(١).

والتاريخ الأندلسي تاريخ عربي إسلامي، وقد سلك مسلك المشاركة في منهجه وروايته، فهناك طريقة الحوليات أي: الكتابة على ترتيب السنين، وهناك تواريخ الخلفاء والملوك التي تعالج دولة كل منهم على حدة، وهناك كتب التراجم والطبقات وما يتبعها من ذيول وصلات، هذا إلى جانب تواريخ المدن المحلية التي فاق الأندلسيون فيها إخوانهم المشاركة، كذلك اتبع الأندلسيون في معالجة تاريخهم تلك الطرق التي اتبعها إخوانهم المشاركة والتي تقوم على النقل والاقْتباس أو المشاهدة العينية وتحري الحقائق في جمع المعلومات أو الاستعانة بالوثائق والمراسلات والآثار المادية، أو على تحليل الأحداث والتعرف على عللها والنفوذ إلى أسرارها^(٢).

ومن أبرز مؤرخي مدينة سرقسطة:

علي بن خير التطيلي، يكنى أبا الحسن، كان من أحفظ أهل عصر ملوك الطوائف للآداب والأسباب والأخبار، وكان شاعراً مجيداً رحل من بلده (تطيلة) إلى بلاط سرقسطة فقبول بالحفاوة والتكريم^(٣).

(١) لطفی عبدالبدیع: الإسلام في أسبانيا، ص(٦٦).

(٢) العبادي: الإسلام في أرض الأندلس، ص(٧٢).

(٣) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص(٤٥٠/٢-٤٥١).

﴿ الجغرافيا: ﴾

يرتبط علم الجغرافيا بعلم التاريخ ارتباطاً وثيقاً، إذ لا نجد مؤرخاً أندلسياً إلا وكان جغرافياً في نفس الوقت، وقد عُرف عن الأندلسيين ولعهم الشديد بالرحلة والأسفار والتنقل، لهذا ظهر من بينهم نخبة ممتازة من الرحالة الذين زاروا كثيراً من نواحي الأندلس، وسجلوا ما شاهدوا وعايروا في وصف تلك البلاد، ومما لا شك فيه أنّ وصفهم للأندلس كان يحتل مكانة بارزة في مؤلفاتهم فتحدثوا بالتفصيل عن خططها ومسالكها ومدنها وكورها وأنهارها وجبالها، والتوزيع الإداري لأقاليمها ونسبة كل إقليم إلى الآخر من الوجهة الجغرافية^(١).

كذلك اهتموا بضبط أسماء هذه الأماكن الجغرافية ضبطاً صحيحاً بحيث يتفق نطقها العربي مع نطقها الأسباني ولم تقتصر دقة الأندلسيين على ذلك بل تتجلى دقتهم أيضاً في محاولة الرجوع إلى أصولها اللاتينية أو الإغريقية، لتفسير معناها حسب ما هو موجود لديهم في كتابات الإغريق والرومان^(٢).

ومما هو جدير بالذكر أن مدينة سرقسطة تعتبر من أشهر مراكز الثقافة بالثغر الأعلى، حيث ظهرت فيها طائفة كبيرة من العلماء المعدودين في شتى العلوم والمعارف وخاصة العلوم الدينية والعلوم التطبيقية، ولكن من المؤسف أن الذي وصل إلينا من الإنتاج العلمي الأندلسي في ميدان الجغرافيا يعد ضئيلاً، وبالنسبة لمدينة سرقسطة يُعد شبه معدوم .

(١) العبادي: الإسلام في أرض الأندلس، ص(٧٩).

(٢) العبادي: المرجع نفسه، ص(٧٩).

الفلسفة:

مرت الفلسفة في الأندلس بعصور قوة وعصور ضعف، ويعتبر عصر الخليفة الحكم المستنصر عصر نهضة للفكر الفلسفي^(١) فقد وجدت الفلسفة في الأندلس ثباتاً ودراسين لها، فأثر البعض السكوت والاختفاء، وأثر البعض الآخر الخروج عن الأندلس في حين تسترت فئة منهم بالاشتغال بالطب والفلك والرياضيات.

وجدير بالذكر أن أول من نسب إليه الاشتغال بالفلسفة هو محمد بن عبدالله بن مسرة القرطبي^(٢).

ومن أبرز الفلاسفة الذين ظهرُوا في مدينة سرقسطة في عصر الخلافة وملوك الطوائف ما يلي:

سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف «بالحمار السرقسطي» يكنى بأبي عثمان كان متحققاً إماماً في علم النحو واللغة، وقد ألف كتاباً في المدخل إلى علوم الفلسفة أسماه «شجرة الحكمة» وأيضاً صنف رسالة في تعديل العلوم، وكان معاصراً للحاجب المنصور بن أبي عامر ونال على يده شيئاً من التنكيل، حيث سجنه ثم أطلقه بعد ذلك فخرج من الأندلس إلى صقلية^(٣).

وقد استطاع هذا الفيلسوف أن يحتل منزلة رفيعة بين العلماء حتى قال فيه ابن حزم (وأما الفلسفة فلي رأيها رسائل مجموعة وعيوناً مؤلفة لسعيد بن

(١) أحمد فؤاد الأهواني: الفلسفة في الأندلس، مجلة كلية الآداب، مطبعة جامعة فؤاد الأول، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، ١٩٥٣، ص(٨٩).

(٢) ابن حيان: المقتبس، ص(٢٠/٥) وما بعدها، بالنيابة: تاريخ الفكر الأندلسي، ص(٣٢٩-٣٣٠).

(٣) صاعد: طبقات الأمم، ص(٦٨-٦٩).

فتحون السرقسطي المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعة^(١).

ومن فلاسفة سرقسطة أيضاً عمرو بن أحمد الكرمانى (ت ٤٥٨ هـ ١٠٦٥ م) يكنى بأبى الحكم، ذكرنا سابقاً أن الرحلات العلمية إلى المشرق كان لها أثر فى اقتباس الأندلسيين من تيارات كلامية وأفكار فلسفية، ومما يؤيد ذلك رحلة الكرمانى حيث رحل إلى المشرق وتلقى علومه فى الطب والفلسفة على علماء المشرق، ثم عاد إلى الأندلس وهو يحمل معه رسائل إخوان الصفا وقد نسب إليه أنه أول من أدخلها إلى الأندلس^(٢).

ومنهم العالم الموسوعى الذى عُنِيَ بالفلسفة والفلك والطب ابن باجه، وهو محمد بن يحيى التجيبى السرقسطى (ت ٥٣٣ هـ - ١١٣٨ م) يكنى بأبى بكر، ويعرف بابن الصائغ، وعرف عند الغرب باسم (Avempace)^(٣).

ولد ابن باجة فى مدينة سرقسطة فى أواخر القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى. وعاش فيها حتى مطلع شبابه^(٤). وعندما دخل المرابطون سرقسطة استطاع ابن باجه أن يكسب ثقتهم واتخذهم عاملهم على سرقسطة أبو بكر إبراهيم بن تيفلويت وزيراً له^(٥) ولما سقطت سرقسطة فى أيدي النصارى، غادر ابن باجة سرقسطة فاتجه إلى إشبيلية ثم إلى غرناطة وأقام بها حيناً ثم رحل إلى المغرب فكان موضع الإجلال لدى أمراء المرابطين حيث استوزره علي بن يوسف بن تاشفين عشرين سنة^(٦).

(١) المقرئ: نفع الطيب، ص (١٧٥/٣).

(٢) صاعد: المصدر السابق، ص (٧٠-٧١)، ابن أبى أصيبعة، ص (١٩٥/٣-١٩٦).

(٣) عنان: دول الطوائف، ص (٢٩٤)، بالنتيـا: تاريخ الفكر، ص (٣٣٥-٣٣٦).

(٤) الأصفهاني: خريدة القصر، ق ٤، ص (٢٨٣/٢) الهامش، عنان: دول الطوائف، ص (٢٩٤).

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة، ص (٤٠٦/١).

(٦) الأصفهاني: خريدة القصر، ق ٤، ص (٢٨٣/٢) الهامش، بالنتيـا: تاريخ الفكر، ص (٣٣٦).



وكان ابن باجة محل تقدير العلماء والمؤرخين فقالوا عنفه علامة وقته ومن أكابر فلاسفة الإسلام^(١) كما نال ابن باجة مكانة عالية عند حكام الأندلس، فكان لهذه المكانة قد ناله أذى من بعض معاصريه حيث أثارت عليه حسد عدد من الوزراء فكتب فيه الفتح بن خاقان « هو رمد جفن الدين وكمد نفوس المهتدين، اشتهر سخفاً وجنوناً وهجر مفروضاً ومسنوناً، فيما يتشرع ولا يأخذ غير الأباطيل ولا يشرع.. »^(٢).

وسبب حقد ابن خاقان على ابن باجة، هو أن الأخير ازدراه في أحد المجالس، كما ترصد له زملاؤه الأطباء وحاولوا قتله أكثر من مرة لنبوغه في الطب وعلو مكانته فكان ينجو مرة بعد مرة حتى مات مسموماً ودفن في مدينة فاس، كما اتهم ابن باجة بالإلحاد والزندقة لاشتغاله بعلم الفلسفة^(٣).

وترك لنا ابن باجة مصنفات عديدة في شتى العلوم فمنها كتب في الطب والرياضيات والمنطق والفلسفة والطبيعة والنبات والأدوية، ولكن ضاع معظمها ولم يبق منها إلا رسائل وصفحات في ترجمات لاتينية وعبرية^(٤).

فمن شروحه وتعليقاته العلمية ما يلي:

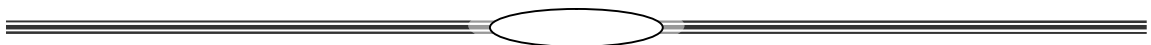
١- شرح كتاب « السماع الطبيعي » لأرسطو.

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص(٢٧١/٣)، العلوم عند العرب، إشراف، إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر، ص(١٨١/٤).

(٢) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص(٣١٣).

(٣) الأصفهاني: خريدة القصر، ق٤، ص(٢٨٣/٢) الهامش(١)، أحمد أمين: ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص(٢٣٩/٣-٢٤٠)، بالنثيا: تاريخ الفكر، ص(٣٣٥-٣٣٦).

(٤) لطفی عبدالبدیع: الإسلام في أسبانيا، ص(٤٨-٤٩)، بالنثيا: تاريخ الفكر، ص(٣٣٦-٣٣٥)، محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص(٥٨/١).



٢- قول على بعض كتاب « الكون والفساد » وكتاب « الآثار العلوية » و
«الحيوان» لأرسطو.

٣- كلام على شيء من كتاب « الأدوية المفردة » لجالينوس.

٤- شرح منطق الفارابي.

٥- كتاب « التجريبتين على أدوية ابن وافد اللخمي » .

٦- تعاليق الهندسة وعلم الهيئة.

ولم يكتف ابن باجة بالشرح والتعليق والاختصار بل ألف كتباً أودعها علمه الخاص ومنها مقال في البرهان ومقال آخر في الاسم والمسمى، وكتاب عن اتصال الإنسان بالعقل الفعال، وكتاب تدبير المتوحد، ورسالة الوداع، وغيرها كثير^(١).

وتعتبر مدينة سرقسطة مركزاً كبيراً لظهور عدد من فلاسفة اليهود ومنهم:

الطبيب الفيلسوف منجم بن الفوال، كان ماهراً في علم المنطق وعلوم الفلسفة وله تأليف في المنطق سماه « كنز العقل » رتبته على المسألة والجواب وضمنه جملاً من قوانين المنطق وأصول الطبيعة^(٢).

وسليمان بن يحيى المعروف بابن جبرول السرقسطي ويطلق عليه النصارى اسم أفيسبرون (Avicbron) وقد قرأ كتب فلاسفة العرب واستفاد من ذلك، فصنف كتاب « ينبوع الحياة » باللغة العربية، وقد تأثر في تأليفه بأراء ابن مسرة القائمة على فلسفة ابن ذقليس ومذهب الأفلاطونية الحديثة، وحظي الكتاب بشهرة واسعة بين النصارى وذلك عن طريق ترجمته اللاتينية التي قام بها

(١) بالنتيا: تاريخ الفكر، ص(٣٣٦-٣٣٧).

(٢) صاعد: طبقات الأمم، ص(٨٩)، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص(٢٣٦/٣).

(دومنجدالد) (١).

ولابن جبرول مؤلفات أخرى كتبها أيضاً باللغة العربية وهي « إصلاح الأخلاق » و « مختار اللآلي » وهو مجموعة من الحكم لعدد من فلاسفة اليونان (٢).

ومن فلاسفة اليهود أيضاً أبو الفضل حسداي بن يوسف ابن حسداي السرقسطي عني بعدد من العلوم والمعارف منها الرياضيات والفلك والشعر والبلاغة والموسيقى وأتقن علم المنطق وتمرس في البحث والنظر ثم ترقى إلى علم الطبيعة فبدأ منه بسماع كتاب « الكيان » لأرسطو طاليس حتى أحكمه ثم شرع في كتاب السماء والعالم (٣).

(١) بالنتيا: تاريخ الفكر، ص(٤٩٣)، عمر رضا كحالة: العلوم البحتة في العصور الإسلامية مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢، ص(٤٧).

(٢) بالنتيا: المرجع السابق، ص(٤٩٤).

(٣) صاعد: طبقات الأمم، ص(٩٠)، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص(٢٣٨/٣).

المبحث الخامس: العلوم التطبيقية والبحث

الطب والصيدلة:

يعتبر علم الطب وما يتصل به من علوم أخرى كالصيدلة من أبرز العلوم التي حظيت باهتمام وعناية الأندلسيين ، وقد بلغت الدراسات الطبية في الأندلس مكانة رفيعة، ويأتي في مقدمة العلوم التطبيقية من حيث عناية الأندلسيين ونشاطهم وأيضاً وفرة الإنتاج العلمي، فقد اشتغل به عمالقة أشاد بذكرهم العلماء والمؤرخون وفي هذا الصدد يقول بالنتيا: « أزه علم الطب زاهراً عظيماً بين مسلمي الأندلس »^(١).

وكان علم الطب من العلوم التي أسهم فيها علماء سرقسطة بنصيب وافر، ومن أشهر العلماء الذين نبغوا في هذا المجال:

محمد بن الحسين، المعروف بابن الكتاني (ت ٤٢٠هـ - ١١٢٩م) ويكنى بأبي عبدالله، وكان متقدماً في علم الطب فقد أخذه من عمه محمد بن الحسين، وإلى جانب علم الطب كان له حظ من المنطق والنجوم وكثير من علوم الفلسفة، وقد استطاع ابن الكتاني أن يحتل منزلة رفيعة في بلاط المنصور بن أبي عامر لنبوغه في علم الطب حيث اشتغل طبيباً خاصاً له ولابنه عبدالملك المظفر، ولما وقعت الفتنة القرطبية رحل إلى سرقسطة وأقام بها إلى أن توفي^(٢) ومنهم عمرو بن عبدالرحمن بن علي الكرمانى ت(٤٥٨هـ - ١٠٦٥م) ويكنى بأبي الحكم فقد عُني هذا العالم بعدد من العلوم كالطب والفلسفة والرياضيات والهندسة، ولكنه اشتهر بمعرفته الواسعة بالهندسة، والطب، وقد أسهم بقدر كبير في ميدان الجراحة

(١) بالنتيا: تاريخ الفكر، ص(٤٦١).

(٢) صاعد: طبقات الأمم، ص(٨٢)، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص(٢١٨/٣).

الطبية حيث كان له نفوذ مشهور في الكي والقطع والشق والبطّ وغير ذلك من أعمال الصناعة الطبية^(١).

والكرماني من علماء قرطبة البارعين، ثم رحل إلى بلاد المشرق فقصده مدينة حران بين نهري دجلة والفرات، وعُني هنالك بدراسة الطب والهندسة ثم ما لبث أن عاد إلى الأندلس واستوطن مدينة سرقسطة وأخذ يبيث علومه بين تلاميذه ومن أتى إليه من العلماء^(٢).

ويونس بن إسحق بن بكلارش، طبيب يهودي، (من أكابر علماء الأندلس في صناعة الطب وله خبرة واعتناء بالغ بالأدوية المفردة)^(٣) فقد استطاع ابن بكلارش أن يحتل منزلة سامية في بلاط بني هود حيث خدمهم بصناعة الطب في سرقسطة كما ألف لأحد ملوكهم وهو المستعين بالله كتاباً أسماه «المجدولة» في الأدوية المفردة وللكتاب اسم آخر وهو «المستعين» نسبة إلى المستعين بن أحمد بن المؤتمن، ووضع هذا الكتاب على صورة جداول يذكر في كل جدول اسم الدواء وطبيعته ومنافعه، وجعل له مقدمة في معرفة قوى الأدوية وخصائصها^(٤). ومنهم منجم بن الفوال، طبيب يهودي، من سكان سرقسطة كان متقدماً في علم الطب^(٥).

ومروان بن جناح السرقسطي يهودي من أهل سرقسطة، وقد برع هذا العالم

(١) صاعد: المصدر السابق، ص(٧٠-٧١)، ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص(١٩٥/٣).

(٢) صاعد: المصدر السابق، ص(٧٠-٧١)، محمد الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص(٥١/١).

(٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص(٢٤٧/٣).

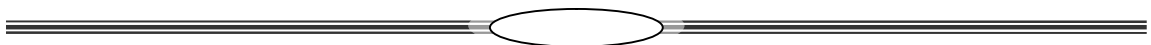
(٤) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص(٢٤٧/٣)، الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص(٥٥/١).

(٥) صاعد: طبقات الأمم، ص(٨٩)، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص(٢٣٦/٣).



في عدد من العلوم ومن بينها الصيدلة، فألف كتاباً في الأدوية المفردة وتحديد المقادير المستعملة في صناعة الطب والأوزان والمكاييل^(١).

(١) صاعد: المصدر نفسه، ص(٨٩)، ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص(٢٣٧/٣)، الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ص(٥٥/١).



الرياضيات والفلك:

علم الرياضيات والفلك من علوم الأوائل التي لم تجد لها تربة خصبة في الأندلس في بادئ الأمر وفي هذا الصدد يقول أحد المؤرخين (وبقيت على ذلك أيضاً لا يُنَى أهلها بشيء من العلوم إلاّ بعلوم الشريعة وعلم اللغة إلى أن توطد الملك لبني أمية بعد عهد أهلها بالفتنة فتحرّك نورو الهمم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لإشارة الحقائق)^(١).

والرياضيات تتضمن الحساب والهندسة وهما علما اشتغل بهما الأندلسيون واحتاجوا إليهما، فالحساب احتاجوا إليه في ميدان الفرائض والضرائب وغيرهما من الميادين التي تستند في نشاطها إلى الأرقام الحسابية، والهندسة احتاجوا إليها في ميادين البناء والعمارة والري^(٢).

ومما هو جدير بالذكر أن العلوم الرياضية والفلكية لم تزدهر إلا في عصر الخلافة وامتد هذا الازدهار إلى عصر ملوك الطوائف حيث كان أمراء وملوك هذا العصر أنفسهم من المتفوقين في هذا العلم وفي مقدمتهم ملوك سرقسطة (بنو هود).

ومن أشهرهم المقتدر بن هود (٤٣٨-٤٧٣هـ / ١٠٤٧-١٠٨١م) كان المقتدر عالماً في الرياضيات والفلك حيث اشتهر بتفوقه وبراعته فيها في عصره وفي هذا الصدد يقول أبو الوليد الشقندي (وهل لكم في علم النجوم والفلسفة ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة فإنه كان في ذلك آية)^(٣).

كما برع ابنه أيضاً في الدراسات الرياضية فكان يوسف المؤتمن (٤٧٣هـ-

(١) صاعد: طبقات الأمم، ص(٦٢).

(٢) البشري: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الخلافة، معهد البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص(٣٥٦-٣٥٧).

(٣) المقرئ: نفع الطيب، ص(١٩٣٩/٣)، عنان: دول الطوائف، ص(٢٨٣).

١٠٨١ م / ٤٧٧ هـ - ١٠٨٥ م) مثل أبيه المقدر بن هود، ووصفه الأمير عبدالله بقوله
كان المؤتمن رجلاً عالماً، وقد طالع الكتب مع ما كان عنده من الآثار.. (١).

ومما يدل على براعة المؤتمن في دراسة الرياضيات والاهتمام بها أنه
صنف فيها كتابين هما « الاستكمال » و « المناظر » (٢).

ومنهم عبدالله بن أحمد السرقسطي (ت ٤٤٨ هـ - ١٠٥٦ م) كان عالماً متفوقاً
في الرياضيات والفلك، وقعد لتعليم ذلك في بلده، كما أنه برع في علم الهندسة (٣).

وأبو الفضل حسداي بن يوسف، كان بارعاً في علوم كثيرة ومنها
الرياضيات والفلك، وقد امتدحه صاعد وأثنى عليه (٤).

ومنهم عمرو بن عبدالرحمن الكرمانى، وقد سبقت الإشارة إليه في ميدان
الطب والفلسفة، وكانت له معرفة واسعة في ميدان الهندسة حتى قال عنه صاعد
(أخبرني عنه تلميذة الحسين بن أحمد بن الحسين بن يحيى المهندس المنجم أنه ما
لقي أحداً يجاربه في علم الهندسة ولا يشق غباره في فك غامضها وتبين مشاكلها
واستيفاء أجزائها) (٥).

(١) ابن بلقين: مذكرات الأمير عبدالله، ص (٧٨).

(٢) المقرئ: النفع، ص (٤٤١/١)، بالنبثيا: تاريخ الفكر، ص (٤٥٤) ولتفاصيل أكثر عن كتاب
الاستكمال ومضمونه ومكانته. انظر: تاريخ العلوم عند العرب: إعداد مجموعة من الأساتذة
الجامعيين المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقق والدراسات، بيت الحكمة، تونس، ١٩٨٩ م،
ص (٣٣-٤٤).

(٣) صاعد: طبقات الأمم، ص (٧٢-٧٣).

(٤) صاعد: المصدر السابق، ص (٨٨-٨٩).

(٥) صاعد: المصدر نفسه، ص (٧٠).

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

لقد أمكننا التوصل من خلال تلك الدراسة لتاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر
الخلافة حتى سقوطها في أيدي النصارى إلى عدد من النتائج منها:

- تميزت مدينة سرقسطة بموقعها الجغرافي الهام، فكان لها أهمية بالغة في
أحداث الأندلس الداخلية والخارجية، كما كانت مركزاً من مراكز الثورة
والعصيان ضد حكومة قرطبة .

- لم تكن العلاقة بين بني تميم حكام سرقسطة والأمويين على وفاق دائم،
لما يملكون من الطموح والطمع في الاستقلال .

- نجح الخليفة عبد الرحمن الناصر من إخضاع سرقسطة للخلافة .

- كانت سرقسطة قوة عسكرية استعان بها الأمويين في جهاد النصارى
وحروبهم في المغرب .

- تمكنت الدولة العامرية من إخضاع سرقسطة لسلطتها، وإخماد المؤامرات
التي قامت بها ضد المنصور .

- دام حكم التجيبين لسرقسطة زهاء قرن من الزمان انتهت بمقتل المنذر
الثاني .

- بلغت سرقسطة إزدهارها السياسي والحضاري في عصر ملوك الطوائف
حيث كانت مملكة بني هود أعظم ملوك الطوائف .

- أدى نفوذ الأسر في سرقسطة وغيرها إلى ضعف الوحدة والقوة الإسلامية
في الأندلس .



- أدى الاضطراب السياسي والاختلاف بين المسلمين ونجاحه في عصر ملوك الطوائف إلى عجزهم عن مقاومة العدوان النصراني بل والتحالف مع العدوان ضد بعضهم البعض مما أدى إلى سقوط سرقسطه وضياع الحكم الإسلامي في الأندلس .

- في عام ٥٠٣هـ-١١٠٩م سقطت مدينة سرقسطه في أيدي المرابطين وهي آخر دولة من دول الطوائف تسقط في أيديهم ومن ثم سقطت في أيدي النصارى عام ٥١٢هـ-١١١٨م بعد محاصرتهم لها .

- بينت الدراسة أبرز معالم مدينة سرقسطه وأهمها المسجد الجامع الذي كان يتوسطها، كما أنها كانت تزخر بعدد من المنشآت المدنية كالقصور مثل قصر الجعفرية والحمامات والفنادق وغير ذلك .

- تحتل مدينة سرقسطه مكانة كبيرة في تكاملها الاقتصادي، فقد أثبتت الدراسة أن مدينة سرقسطه مدينة زراعية، وصناعية، كما كانت تربط سرقسطه علاقات اقتصادية مع القوى البحرية وساعدها على ذلك سيطرتها على جزء كبير من حوض البحر المتوسط ومن النتائج المترتبة على ذلك نشاط حركة التجارة الخارجية في ثغريها الكبيرين طركونه وطرطوشة .

- تميز المجتمع السرقسطي بالتنوع البشري والثقافي .

**** أسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا البحث ****



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم:

ثانياً : المصادر:

- ❖ ابن الأبار (محمد بن أبي عبدالله) ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م
- الحلة السبراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
- المعجم في أصحاب القاضي أبو علي الصدفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- التكملة لكتاب الصلة، مكتبة الخانجي بمصر والمثني ببغداد.
- ❖ ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أحمد بن القاسم) ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نقل وتصحيح امرؤ القس بن الطمان، الطبعة الأولى بالمطبعة الوهبية، ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م.
- ❖ ابن الأثير (علي بن أبي الكرم) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م.
- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
- ❖ الإدريسي (محمد بن محمد بن عبدالله) ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ❖ ابن أبي زرع (علي بن عبدالله) ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م.
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م.
- ❖ الأزدي (علي بن ظافر) ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م.

- بدائع البدائة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

❖ الأخطري (إبراهيم محمد الفارسي) ت٣٤٦هـ/٩٥٧م.

- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، دار الثقافة، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

❖ الأصفهاني (عماد الدين محمد بن محمد بن حامد) ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م.

- خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق عمر الدسوقي، وعلي عبدالعظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.

❖ البتوني (محمد بن لبيب) ت٩٣٨م.

- رحلة الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.

❖ ابن بسام (أبو الحسن علي) ت٥٤٢هـ/١١٤٧م.

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

❖ ابن بشكوال (خلف بن عبدالملك) ت٥٧٧هـ/١١٨٢م.

- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلماؤهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، صححه السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

❖ البغدادي (صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق) ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م.

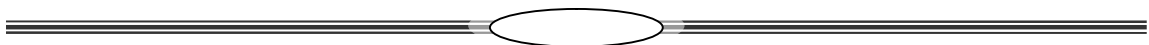
- مراصد الإطلاع على الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

❖ البكري (أبو عبدالله بن عبدالعزيز) ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م.

- جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبدالرحمن الحجى، دار الرشاد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.



- ❖ التطيلي (بنيامين بن يونه التطيلي) ت ١١٧٣/٥٦٩ م.
- رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد، الطبعة الأولى،
١٣٦٤هـ-١٩٤٥ م.
- ❖ ابن الجزري (شمس الدين محمد بن محمد) ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩ م.
- غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره ج. برجستراسر، مكتبة
الخانجي، مصر، ١٣٥١هـ-١٩٣٢ م.
- ❖ حاجي خليفة (مصطف ب عبدالله) ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦ م.
- كشف الظنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ❖ ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد) ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤ م.
- طوق الحمامة في الألف والآلاف، تحقيق صلاح الدين القاسمي، دار أبو
سلامة، تونس، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢ م.
- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة،
الطبعة السادسة، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢ م.
- ❖ الحميدي (محمد بن أبي نصر) ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥ م.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، صححه محمد بن تاويت الطنجي،
مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
- ❖ الحميري (محمد بن عبدالمنعم) ت في أواخر القرن التاسع الهجري - ١٩ م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان،
الطبعة الأولى، ١٩٧٥ م.
- صفة جزيرة الأندلس، نشره ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر، القاهرة، ١٩٣٧ م.
- ❖ ابن حيان (حيان بن خلف) ت ٤٦٩هـ/١٠٧٩ م.



– المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبدالرحمن الحجى، دار الثقافة، بيروت، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

– المقتبس، أعتى بنشره ب. شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه ف. كورنيطي وم.صبح وغيرهما، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م، الجزء الخامس.

– المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود مكي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م.

❖ ابن خاقان (الفتح بن محمد) ت ٥٢٩هـ/١١٣٥م.

- قلائد العقيان، مكتبة السيد محمد عبدالواحد بك الطوبي وأخيه، مطبعة التقدم العلمية، الطبعة الأولى،

❖ ابن الخطيب (لسان الدين محمد التلمساني) ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م.

– أعمال الإعلام فيمن بويغ قبل الأحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٥٦م.

– الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

❖ ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد) ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م.

– تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخير أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

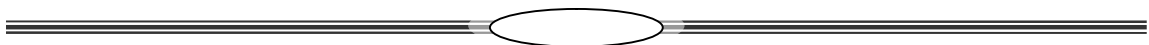
– المقدمة، دار القلم، بيروت، الطبعة الحادية عشر، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

❖ ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد) ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٤١م.



- ❖ ابن دراج القسطلي (أحمد بن محمد) ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م.
- ديوان ابن دراج، تحقيق محمود مكي، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.
- ❖ الدميري (كمال الدين) عاش في القرن ٨هـ/ ١٤م.
- حياة الحيوان الكبرى، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.
- ❖ الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد) ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ❖ ابن رسته (أحمد بن عمر) ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م.
- الأعلام النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١م.
- ❖ الزهري (محمد بن أبي بكر) عاش في القرن ٦هـ-١٢م.
- كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- ❖ ابن زيري (الأمير عبدالله بن بلقين) ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م.
- مذكرات الأمير عبدالله المسماة بكتاب التبيان، نشره ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ❖ ابن سعيد (علي بن وسى) ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م.
- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٥م.
- ❖ السقطي (محمد بن أبي محمد) عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع.
- في آداب الحسبة، تحقيق حسين الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.



❖ ابن الشباط (محمد ب علي) ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م.

- قطعة من وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط،
تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد ١٤،
١٩٦٧-١٩٦٨م.

❖ صاعد (أبو القاسم صاعد بن أحمد) ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م.

- طبقات الأمم، تقديم لويس شنجو، بيروت، ١٩١٢م.

❖ الضبي (أحمد بن يحيى) ت ٥٩٩هـ/١٢٠٣م.

- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي، المكتبة السلفية،
المدينة المنورة، ١٩٦٧م.

❖ الطرطوشي (محمد بن الوليد) ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م.

- سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، تقديم، شوقي ضيف، الدار
المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

❖ ابن عذاري (أحمد بن محمد المراكشي) كان حيًّا سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م.

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الدار العربية للكتاب، بيروت،
الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

❖ العذري (أحمد بن عمر بن أنس) ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م.

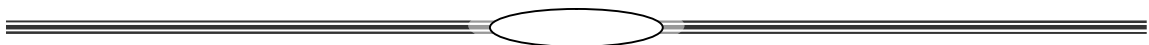
- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في
غرائب البلدان والمسالك إلى جميع البلدان، تحقيق عبدالعزيز الأهواني، معهد
الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م.

❖ ابن عماد (عبدالحي ابن عماد الحنبلي) ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الآفاق، بيروت.

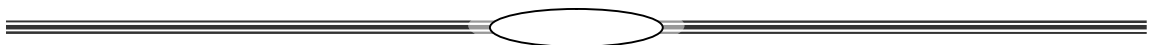


- ❖ العمري (ابن فضل الله) ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م.
- ❖ ابن غالب (محمد بن أيوب) عاش في القرن ٦هـ/١٢م.
- فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، قطعة نشرها لطفي عبدالبديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
- ❖ ابن فرحون (إبراهيم بن علي) ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- ❖ ابن الفرضي (عبدالله بن محمد) ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م.
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، صححه عزت العطار الحسيني، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.
- ❖ أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد) ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م.
- تقويم البلدان، أعتنى بتصحيحه وطبعه رينود، البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.
- ❖ القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م.
- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
- ❖ ابن القطان (حسن بن علي) ت ٦٢٨هـ/١٢٣١م.
- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- ❖ القفطي (جمال الدين علي بن يوسف) ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م.
- أنباه الرواه على أنباه النحاه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.



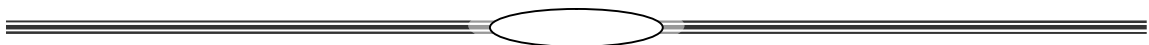


- ❖ القلقشندي (أحمد بن عبدالله) ت ٨٢١هـ/١٤١٨م.
- صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٣هـ/
١٩١٥م.
- ❖ ابن القوطية (محمد بن عمر) ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م.
- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإيباري، دار الكتاب المصري،
القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ❖ ابن الكردبوس (أبو مروان عبدالملك التوزي) عاش في القرن ٦هـ/١٢م.
- تاريخ الأندلس ووصفه، نسان جديان، تحقيق أحمد مختار العبادي، فصله
من صحيفة مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد ١٣، ١٩٦٥م.
- ❖ المراكشي (عبدالواحد بن علي) ت ٦٦٩هـ/١٢٧٠م.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد العرياني، لجنة إحياء
التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
- ❖ المراكشي (محمد بن عبدالملك) ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م.
- الذيل والتكملة لكتابي الصلة والموصول، دار الثقافة، بيروت، ١٣٤٠هـ-
١٩٢٠م.
- ❖ المالكي (عبدالله بن محمد) ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م.
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير
من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد
العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ❖ المسعودي (علي بن حسين) ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار
الفكر، الطبعة الخامسة، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.





- ❖ المقري (أحمد بن محمد) ١٠٤١هـ/١٦٣١م.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- أزهار الرياض في أخبار عياض، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين الحكومة المغربية، وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.
- ❖ مؤلف مجهول (من أهل القرن الثامن الهجري).
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، عبدالقادر زمامه، دار الرشاد، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ❖ مؤلف مجهول:
- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، مدريد، ١٨٦٧م.
- ❖ ابن النديم (محمد بن إسحاق بن محمد) ت ٤٣٨هـ/١٠٤٦م.
- الفهرست، اعتنى بها وعلق عليها إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ❖ الناصري (أحمد بن خالد) ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م.
- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.
- ❖ ياقوت (شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م.
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.



ثانيًا: المراجع:

❖ أرسلان (الأمير شكيب)

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتاب الإسلامي،
القاهرة، ١٣٥٥هـ.

❖ أشباخ (يوسف)

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عنان، مؤسسة
الخانجي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية،
١٣٥٩هـ-١٩٤٠م.

❖ أمين (أحمد)

- ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

❖ الباشا (حسن)

- الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.

❖ بالنثيا (أنخل جنثالث)

- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد،
١٩٥٥م.

❖ البشري (سعد بدالله)

- الحياة العلمية في الأندلس في عصر الخلافة، معهد البحث العلمي وإحياء

التراث الإسلامي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ-١٩٧٧م.

- الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، مركز الملك فيصل

للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

❖ بلباس (ليوبولدو تورس)

- المدن الأسبانية الإسلامية، ترجمة إيود ورودي لابنبا، مراجعة ناديا جمال الدين، عبدالله العمير، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

❖ بول (ستانلي لين)

- قصة العرب في أسبانيا، ترجمة علي الجارم، دار المعارف، ١٩٥٧م.

❖ حتامله (محمد عبده)

- جيل المولدين في المغرب والأندلس ودورهم في الفتح وأثرهم في الحياة العامة، المكتبة الوطنية، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

❖ الحجي (عبدالرحمن بن علي)

- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت.

❖ حسن (زكي محمد)

- فنون الإسلام، دار الرائد العربي، القاهرة، بيروت.

❖ خالص (صلاح)

- أشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.

❖ الخطابي (محمد العربي)

- الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دراسة وتراجم ونصوص، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

❖ دوزي (رينهت)

- المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٤م.

- ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، مطبعة عيسى البابي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ-١٩٣٣م.

❖ زامبور (إدوارد فون)

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، أخرجه زكي محمد حسن، حسن أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

❖ سالم (السيد عبدالعزيز)

- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٩م.

- قرطبة حاضرة الخلافة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.

- تاريخ مدينة المرية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م.

- المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

❖ السامرائي (خليل إبراهيم)

- الثغر الأعلى الأندلسي، دراسة في أحواله السياسية، رسالة دكتوراة منشورة، بغداد، مطبعة أسعد، ١٩٧٦م.

- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

❖ السيد (كمال أبو مصطفى)

- محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٣م.

- تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي، مركز الإسكندرية للكتاب.

- تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب.

بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

❖ الشرقاوي (محمد عبدالله)

- تحقيق رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبو الوليد عليها، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

❖ الشكعة (مصطفى)

- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٣م.

❖ العبادي (أحمد مختار)

- في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت.

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧م.

❖ العبادي (عبدالحميد)

- المجلد في تاريخ الأندلس، جمع وتنسيق محمد إبراهيم الشريف، مراجعة مختار العبادي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م.

❖ عباس (إحسان)

- تاريخ الأدب الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين، دار الشروق، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

❖ عبدالبديع (لطي)

- الإسلام في أسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م.

❖ عبدالحليم (رجب محمد)

- العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، بيروت.

❖ علي (جواد)

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

❖ عنان (محمد عبدالله)

- دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، العصر الأول، القسم الأول والثاني، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

- الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، مؤسسة الخانجي، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة.

- تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

❖ كحاله (عمر رضا)

- العلوم البحثية في العصور الإسلامية، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

❖ كحيله (عبادة)

- تاريخ النصارى في الأندلس، مكتبة الجيزة العامة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

❖ لويس (أرشيبالد)

- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.

❖ متز (آدم)

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م.

❖ محمد (حمدي عبدالمنعم)

- تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

❖ محمود (حسن أحمد)

- قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

❖ مجموعة من الأساتذة الجامعيين.

- تاريخ العلوم عند العرب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، تونس، ١٩٨٩م.

❖ مورينو (مانويل جوميث)

- الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة لطفي عبدالبديع، السيد محمود عبدالعزيز سالم، راجعه جمال محمد محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

❖ مؤنس (حسين)

- فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، دار المناهل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة.

- رحلة الأندلس، الدار السعودية، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.



- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، الطبعة الأولى، مدريد، ١٣٨٦هـ-
١٩٦٧م.

❖ الإنترنت:

www.islamiccoins -



ثالثاً ١: المجالات والدوريات:

❖ مجلة الجمعية التاريخية السعودية:

- تقاليد الزواج عند المسلمين في الأندلس من عصر الإمارة الأموية حتى نهاية عصر الطوائف ١٣٨-٤٨٣هـ/٧٥٥-١٠٩٠م، خالد عبدالكريم البكر، العدد السابع، السنة الرابعة، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

❖ مجلة عالم الفكر:

- المسجد في الإسلام، محمد توفيق بلبع، المجلد العاشر، العدد الثاني، الكويت، ١٩٧٩م.

- الإسلام في أرض الأندلس، أحمد مختار العبادي، المجلد العاشر، العدد الثاني، الكويت.

❖ مجلة كلية الآداب:

- نقط العروس في تواريخ الخلفاء لابن حزم، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، ١٩٥١م.

- الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، حسين مؤنس، مطبعة فؤاد الأول، المجلد الحادي عشر، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٥١م.

- الفلسفة في الأندلس، أحمد فؤاد الأهواني، مطبعة جامعة فؤاد الأول، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٥٣م.

❖ مجلة المجلة:

- التخطيط ومظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى، محمود عبدالعزيز سالم، العدد التاسع، القاهرة، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.

- القصور الإسلامية في الأندلس، محمود عبدالعزيز سالم، العدد العاشر، القاهرة، ٣٧٧هـ-١٩٥٧م.

❖ مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية:

- الأبنية الإسلامية، ليوبولد تورتورس بلباس، العدد الأول، السنة الأولى، مدريد، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.
- صور من المجتمع الأندلسي، السيد عبدالعزيز سالم، المجلد التاسع عشر، مدريد، ١٩٧٦م.
- الأعياد في مملكة غرناطة، أحمد مختار العبادي، المجلد الخامس عشر، مدريد، ١٩٧٠م.
- الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية باللغتين الأسبانية والعربية، محمد عبدالله عنان، مدريد، ١٩٧٦م.
- الصقالبة في أسبانيا، أحمد مختار العبادي، مدريد، ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م.

رابعًا: الرسائل العلمية والموسوعات:

❖ محمد: محمد رضا عبدالعال:

- الثغر الأعلى في القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

❖ موسوعة الديار الأندلسية، محمد عبده حتاملة، المكتبة الوطنية، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

❖ دائرة المعارف الإسلامية: ألفها جماعة من أعلام المستشرقين ونقلها إلى العربية: أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبدالحميد يونس، محمد ثابت الفندي.

❖ دائرة المعارف: بطرس البستاني، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، تهران.

❖ العلوم عند العرب، إشراف إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر.

الملاحق

الملحق الأول

خلفاء بني أمية في قرطبة (فترة الدراسة)

- ١- عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله ٣١٦-٣٥٠ هـ
٩٢٩-٩٦١ م
- ٢- الحكم الثاني المستنصر بالله ٣٥٠-٣٦٦ هـ
٩٦١-٩٧٦ م
- ٣- هشام الثاني المؤيد ٣٦٦-٣٩٩ هـ - ٩٧٦-١٠٠٩ م
٤٠٠-٤٠٣ هـ - ١٠١٠-١٠١٢ م
- ٤- محمد المهدي ٣٩٩-١٠٠٩ م
- ٥- سليمان المستعين ٣٩٩ هـ - ١٠٠٩ م
- ٤٠٣ هـ - ١٠١٣ م
- ٤٠٧ هـ - ١٠١٦ م
- ٤٠٨ هـ - ١٠١٨ م
- ٦- عبد الرحمن (المرتضى) ٤١٤ هـ - ١٠٢٣ م
- ٧- عبد الرحمن المستظهر ٤١٤ هـ - ٤١٦ هـ
- ٨- محمد المستكفي ١٠٢٤ م - ١٠٢٥ م
- ٩- هشام الثالث المعتد ٤٢٠ هـ - ٤٢٢ هـ
١٠٢٩ م - ١٠٣٠ م

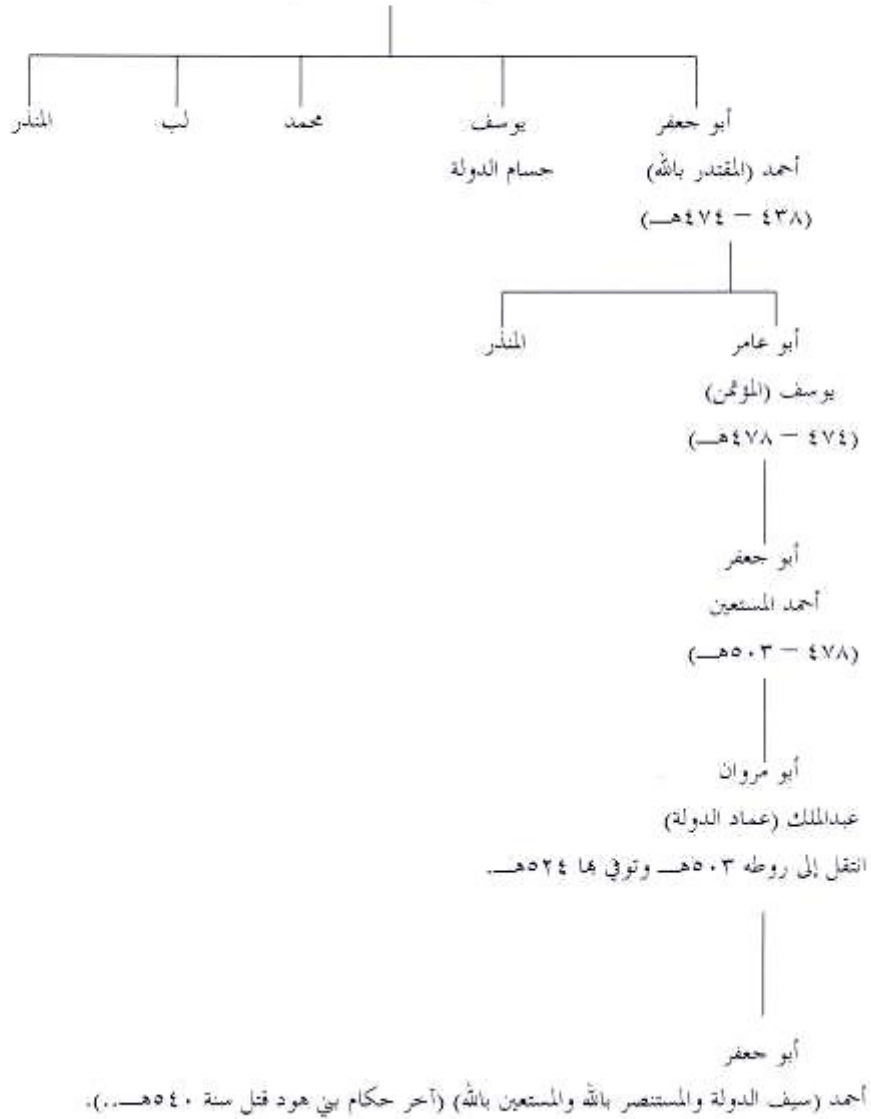
الملحق الثالث

تقلاً عن: ١- ابن الأبار: الحلة، ج ٢ ص ٢٤٥
٢- الحلي: التاريخ الأنلسي من ٣٥٨-٣٥٩.

(قائمة نسب بني هود)

أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود (المستعين بالله)

(٤٣١ - ٤٣٨ هـ)



الملحق الرابع

رسالة من يوسف بن تاشفين إلى المستعين بن هود

نقلًا عن ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص ١٧٣ - ١٧٤.

((من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، إلى المستعين بالله أحمد بن هود - أدام الله تأييده. كتبناه إليك، والله عز وجل يوالي أيام سعدك، ويعالي أعلام مجدك ويطيل في طاعته وعلى أحسن ما ثمنه عمرك، ويشد بتقواه أزرك، ويجري على كل لسان صدق ذكرك؛ من حضرة مراکش، حيث تتلى آيات شرفك، ومآثر السادة القادة سلفك. ونحن نحمد الله لجميع المحامد، ونستهديه أئمن المسالك وأبين المقاصد ونسأله أتم الفوائد، وأعم العوائد، ونصلي على سيدنا محمد صفوة أوليائه، وحاتم رسله وأنبياؤه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا. وأما الذي عندنا - أيدك الله - لجانبك الكريم، ومجدك العميم، ومحللك المعلوم المفهوم، فؤاد صريح، وعقد في ذات الله تعالى صحيح. ووردنا - أدام إقبالك، وأجرى إلى غاية الإفضال آمالك نشأة السادة والفضل، والنباهة والنبل، أبو مروان عبد الملك ابنك ولادة وتنشأ، وابننا ودادة وتقربًا، زاد الله به عينك قرّة، ونفسك مسرة، ومعه وزيرك أبو الأصبغ وأبو عامر - أكرمهما الله بتقواه، وكلاً وفيناه حق نصابه، وآتينا به من بابه، وتلقينا تكريمة بمقتضى دواعيه وأسبابه. وأديا إلينا كتابك الخطير، المقبول المبرور، فوقفنا به على وجه شخصيهما، وأصغينا في تفصيل جملة إلى تلخيصهما؛ فألقينا إليهما مراجعة عن ذلك ما لقناه، وسفرنا لهما عن وجه مقصدنا فيه حتى يستبيناه، من جملة الوفاق، وجماع الانتظام في سلك ما يرضي الله تعالى والاتساق، إن شاء الله)).

الملحق الخامس

(وثيقة تسليم سرقسطة)

عن ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٠٥ - ٤٠٦.

((الأمان لمحمد بن هاشم، وإخوته، وبنيه، وذويه، وجميع أصحابه ورجاله، ومن اتصل به وبهم جميعاً، من أهل مدينة سرقسطة، مدة يرضاها الناصر لدين الله، ويملكه إياها تملكاً، بدخل فيها من يشاء من [أهلها] في العدد الذي يرضاه من رجاله وأحشامه. ويكون أهل مدينة سرقسطة، ومن يبقيه محمد بن هاشم بينهم من أهله وأتباعه، آمين بأمان الله، محفوظين بعهد الله، مستمسكين بمثل أمان محمد بن هاشم، غير متعيقين في أنفسهم ولا مأخوذين بدنب سلف.

وأن يخرج محمد بن هاشم عن سرقسطة بنفسه، ومن أحب إخراجهم معه من خواص عياله وولده، إلى مدينة تطيلة أو غيرها من مدن الثغر، وحصوله مسجلاً له على الموضع الذي يتخيره موسعاً عليهم فيما يتصل به، ويبقى بسرقسطة من أحب منهم في دوره، ويختلف إليهم وكلاؤه. وعلى المولى بسرقسطة بعده إحسان صحبتهم ومحافظة مدة مغيبه عنهم، وعليه أن يباعد منزلة عنهم، فيتخذ لنفسه داراً في أحد جوانب المدينة، لا يقربه شيء من دور محمد بن هاشم مخافة ما يقع بين الحاشية، أو ينزل القصر القديم بعد خروج محمد بن هاشم عنه بجميع ما له فيه.

وعلى أن يسجل الناصر لدين الله لأخيه، يحيى بن هاشم، على ما كان بيده من مدينة لاردة وأحوالها.

فإذا انصرفت المدة التي يضرها الناصر لدين الله لمحمد، توجه إلى الحضرة فوطى البساط بها، وأقام فيها ثلاثين يوماً أو نحوها، مظهرًا لصدق طاعته، ماحيًا لكل ما انتشر في أقطار الأرض من معصيته، وهو في توجهه إليه آمن في طريقه ومدة مقامه ومتصرفه، غير مقطوع به ولا معترض دون الانصراف، إذا انقضت المدة التي وضعت له، ولا مدسوس عليه في ظاهر ولا باطن، ولا متغلب عليه فيمن يتوجه بهم من أصحابه، أو من يخلفهم لسد مواضعه.

وله على السلطان، إذا وفي بما عقد عليه من الشخوص إلى باب سدته، أن يكتب له عهداً على مدينة سرقسطة، ويصرفه إليها عاملاً وقائدًا، ويعزل عنها عامله وقائده، بعد أن يناله من كرامته، ويظهر عليه من آثار نعمته ما يعود معه إلى أحسن الأحوال، التي كان عليها قبل هفوته)).

الحرم سنة ٣٢٦هـ.

الملحق السادس

(الشروط التي يحكم بها محمد بن هاشم)

عن ابن حبان: المقتبس، ج ٥، ص ٤٠٥ - ٤٠٦.

«أن يرهن عن نفسه وما عهد عليه من الوفاء بشروطه أسن ولده، وأحاه هذيلاً من بين إخوته، وأسن ولد معن بن محمد، صاحبه، وأحد ولدي قاسم، وولد كاتبه، ابن العاصي ويكون جماعتهم لدى الناصر لدين الله بحال حفظ وتكرمة، وبسبيل أمان في المسير والمقام يدليهم، إن شاء، سنة أشهر بأكفائهم ونظرائهم من إخوانهم خاصة، إلى أن يظهر لأمر المؤمنين براءة محمد بن هاشم من ممالأة المشركين وتصحيحه طاعة أمير المؤمنين، فيأتي في إعفائه من ذلك مما يراه.

وعلى أن يقطع محمد بن هاشم [حيله] من المشركين في ظاهره وباطنه، من حد بلد برشلونة، إلى سرطانية إلى بنلونة، إلى آلب، إلى القلاع، وإلى حليقية، ولا يكاتبهم ولا يداخلهم ولينبذ إليهم نبد أمير المؤمنين، ويدخل السرايا إلى بلدهم، ولا يصالحهم على طرف من أطراف الثغر، إلا عن إذن أمير المؤمنين وترداد مشورته.

وأن يورد حياية بلده بمحلها، ولا يختسبها عن أمدها، ولا ينقصها من عددها، بعد أن يسقط عنه حياية عام محرم، لما ناله ونال البسيط من معرة الجيش وامتناع التوزيع، ثم يوردها من بعد انصرام العام، كاملة موفرة، بغير رسول يحركه ولا موكل يضغطه، حاشى الكتاب إليه، إن كان عاملاً أو إلى ابنه، إن رأى أمير المؤمنين استعماله.

وألا يتقبل حرّاً نازعاً ولا عبداً أبناً لأمر المؤمنين، ولا لأحد من رعيته، وأن يوثق من ظفريه من هذه الطبقة، ويصرفه إلى مكانه.

وألا يتعقب أحداً ممن سجل له عليه، أو يسجل بعد ممن حاربه مع أمير المؤمنين، وفارقه إليه أيام الطاعة له، أيام معصيته.

وأن يجذب البيعة لأمر المؤمنين، ويلتزم شروطها، ويخلص الطاعة له، ويوفي حقوقها. وأن يغزو مع أمير المؤمنين، ويعادي من عاداه، ويحارب من حاربه، ويسالم من سالمه من أهل الملك وغيرهم، ويقطع نصيبه من كل من أخرج يده عن طاعته، وإن كان ابنه أو أحاه، يلتزم كل ما أكرمه أمير المؤمنين من ظاهر القول وباطن الإرادة، لا ينقص متأول البيعة، ولا يحرف عن التصحيح بالعلة، فقد التزم أمير المؤمنين في عقده مثل ما سأله محمد من ذلك، وأوجه على نفسه له، مع دركه هذه المنزلة من صدق الطاعة، أن يوليه مدينة سرقسطة، وما وقع له في سجله معها ولاية مستمرة، ولا يعزل طول أيامه عنها، ثم لا يؤاخذ به بدين، ولا يعدد عليه افتراء خطأ ولا عمد ولا يقبل فيه مقالة كاشح ولا طعن حاسد.

ويصير ذلك له وصية فيمن بعده، يلزمهم الوقوف عندها، على سبيل الخلفاء في حالات عهودهم، إن شاء الله.

الملحق السابع

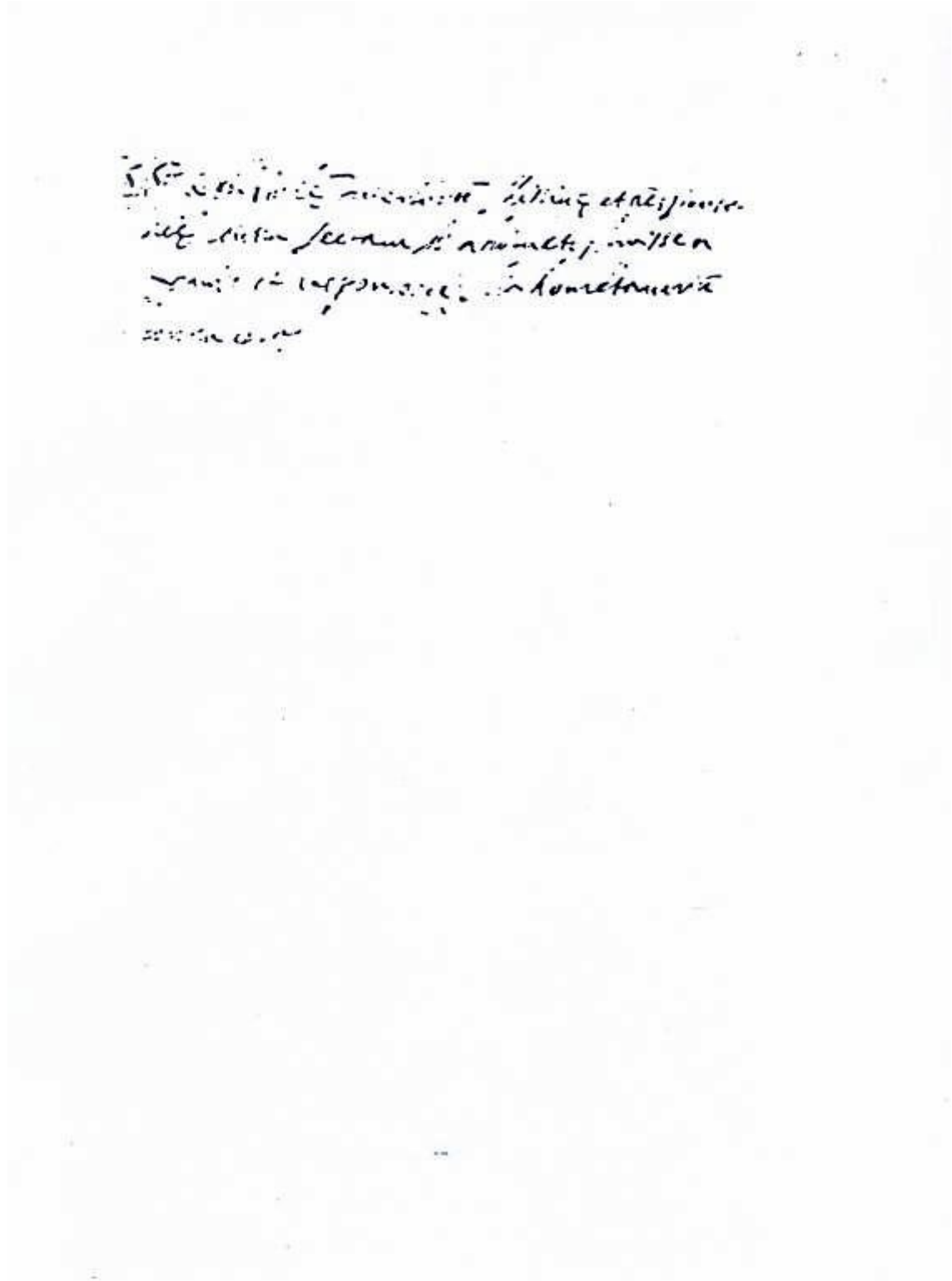
رسالة راهب فرنسا إلى المقتدر بالله أمير سرقسطة

نقلًا عن الشرقاوي، ص ٤١ وما بعدها.

بالحكم الزار وجود البزار فإنت تمشق و سريتك وتغضير حيقك
ولا تزل للمصوور أن تبعث وللمعشر أن تغوث
وتقوم للفناء مع موجد علم النار موفو أن تقووا
تحمي النفوس والأجسام لله شيبته
بسم الله الرحمن الرحيم
رسالة التواضع من أمير نفسه الموقر بالله إلى المقتدر بالله
صاحب سرقسطة

إلى الصديق الحبيب الذي توفقه الله أن يكون خليلاً من أمة المقتدر بالله علم دولته حيزه
الملك الشريف من الراسب أجمع الراسب الراسب في غاية تكميلها بالصالح
البر لله سيدنا الملك المنسى لنا هذا البراهمة الحيز أميرك الراسب مع الدنيا بصيرته
مع تبيينه أحوالنا المعتبرة رأيت أن نراسلنا ونرغوك لتوثق الملك الزاهم على
الملك الزاهل المعاني رأيت فدراسة كتابنا إليك الراسب راجعت شلته مترجمة
فبسته على حسب نصرايل الراسب ولم تكن تحت مصلحتنا من الرافعة الراسب
ولذلك تراضي نمانى برادفة الموقوفات التي تكلف علينا ونحن نتمتع بحقها
أولاً كما نرى على الأكل الراسب أولاً قبل خلق العالم ربه بصيرته وسامحه
سلطكم فمنازلتكم وأمدعوا للإيمان بالله أنه أسلمنا وهو الراسب الراسب
العبود الراسب معرفته لمعشر من معنا أن شرافى غير راحة في تخم من
المصلحة بميل معونة المشية معاً في مسكونة إن أشرك في الراسب الراسب
أخصنا إليك من أحوالنا من نورم عتبة لنا الله ندعها على ما يوفهم الله أيت
ومر حواليك حقيقة دين المشركين ومغرة وأعمرت مع ربه المسيح بصيرتنا
التي لا ينسى لنا الإيمان بأدوسنا ولا نرى في الكربة من الراسب الراسب

صفحة العنوان لرسالة الراهب



الملحق الثامن

(جواب القاضي أبي الوليد الباجي على الرسالة)

نقلًا عن الشرقاوي، ص ٥٢ - ٥٤.

وعمدته بزأبها وتفتزت عن نواتجها ثم إننا نرصد إليه من فصول الهدية المحنة الزاوية
التي نعرضها عليك لم نتوقف عنك عن المحافاة بتأمل أيها الحبيب ما يجوز عليه قدرته
العملية والمصارعة التي واغته ص ما يدبر من اجرائنا بسزا الذمة الزاوية ونسرد
الذرات الزاوية عنك وما منهم أذيات ولا ضاروك وإنما يتبرهن بزور شبيهة
في أن يبرك الله المرطنة والسلاح عنك يا أيها الحبيب من ميسرنا إليه من
أدعية الموت وهمس الشيفر رحمة منه ورثة ما مستغفلات من حيايا الميسر التي
كثفت فيما تقوى إلى الأوز وسئل الله الزيد له الفري والعكفة الترت من اجته عليه
شيو وتزع ونتم غلظت ان يدرك وملتت في نعيمك ما عونا لما ليه وخصه خلا
عليه وإن لم يصبرك يا أيها الحبيب من اجتهنا نوارث على ما تضمنه كتابنا ثواب
التي بأزود ندر اجرائنا لاولادنا وكلعلم على نرك وتالتمثل في نعت ونحسن
نضج الى سيرنا البشوع اشيع ان يتولى رعائك وتكفل بملدنته ويدررك إلى
فيته المقوسر ويدررك باليد من الصبح به امين سنة ٨٥٤ هـ

ومزاجواب العفسيه الفاع الخليل العاطل

ابن الوليد الباجي رحة الله عليه ورضوانه على من اراد برضاة

بسم الله الرحمن الرحيم
العشرة لله والصلوة على رسوله تصيحت ايها الزاوية اللب الوارد من فطنت
وما مقة بر من مومة تك وأشعرتة من صيغتك وانراة مة تك فعملنا
مومة تك لما بلغنا من دكانك عنرا قبل ملنت وانقلنا من جميل ان ادك
وتعشة لغير الله تصيحت على ما يبر منا من ذراتك ولو لا ما كنا نعتقده من غير
فمستغرت وتعدرت وصورا كتبتا اليك انما اجرنا ان تاتي من دارة نرت
منه السبل الاوجب والنت عيرنا جوزا بعرضا المحر عنك وانته انه اليك

صفحة العنوان من جواب القاضي أبي الوليد الباجي

معرقتهم نوراً من صلواتك واملت منيتك عسى ان يصير من جنودك على اجر
 ودرغيتك على الخلق معاً قوتهم رداً في قلوبك له وافيا لك عليه واخرت به والبايد
 انتهى وقد خان ربه عليه نيل من انك واقتررت به من عوى جامله الخلال التوب
 كان يحيا في نوح مخاطب له انه اقل حبر بالدمع من ان يخطى على من له اذنى بهم من
 اذنا اميرت في ارضه باق وانما الغلر اوليتا في ارضه من اذنا وخالق
 جوابه في يقين من يمشى وبلغنا عنك من حضرت الامامة انك ازمسها الاذن
 رانما وانتم تعلمون في تحصيله ولا تعرفون في شئ ان نور على صغما الفقه لم ين
 يدركه من على جماعته من نورها في ارضه ما يعرفه عليه ارضها في
 الرضوخ والنامبرت وانا في ارضه من نور من نور من نورته ونصرت
 ايات منسمة وانما اعتقادك في غلرك لم ينفع شئ به وبليست اصرار
 في نبيج الفقه ونحن نردوا ان نرفعت عن من من المنة وتخلصت من ربه
 ان ربه اعطى الله عونه وتاثيره ونصرت وما ينزف عيننا ريبا لك
 في شئ تعنتت علينا فبا وحيت به حينه من نعتك ومعازضك
 في اخرتاه في نعتك في الفصح الفقه جودنا في ارضه الفقه في امرنا الله به
 انبسم الرسل في عفو عن نعتك على ما استغفناه من نعتك وبجنا
 في نعتك من صبا الزينة الكرام والاسم في نعتك عليهم السلام وما
 نعتك في نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك
 نعتك ونعتك في الرقوت في نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك
 نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك
 نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك
 نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك من نعتك

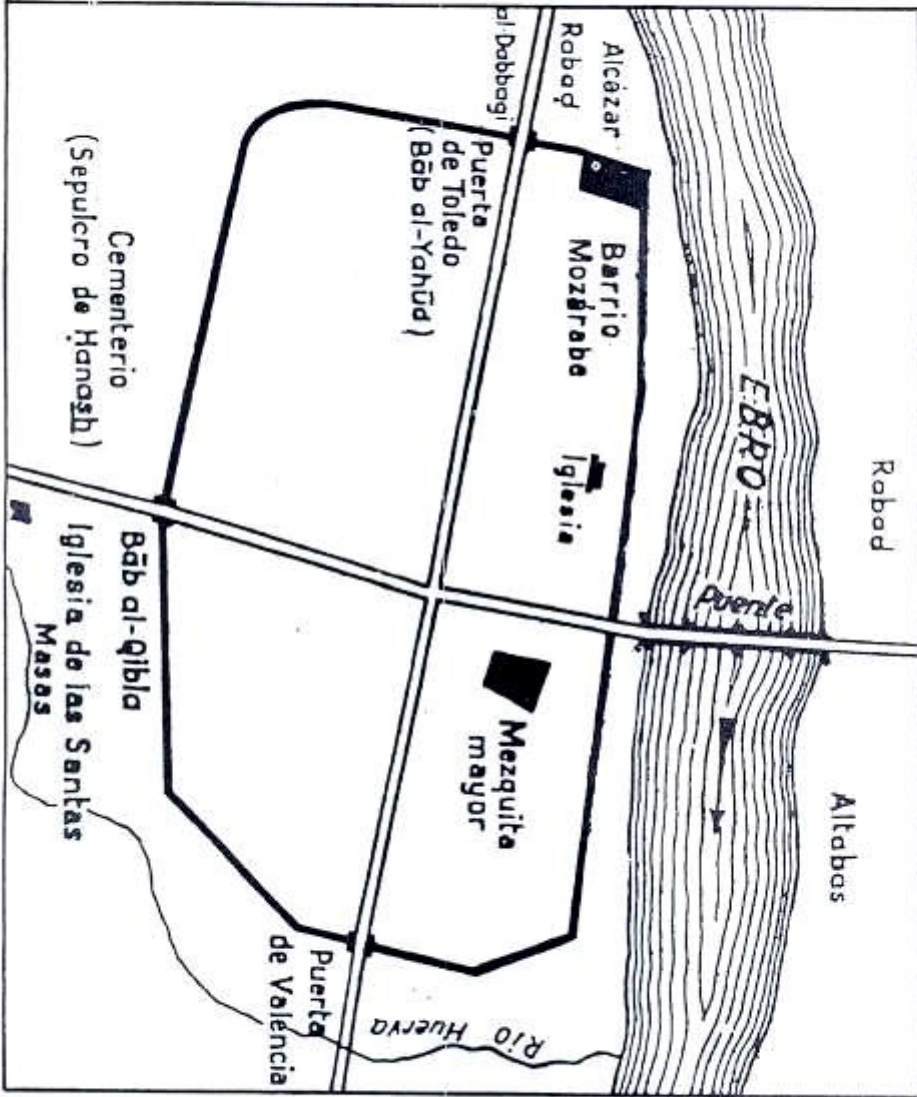
صفحة من جواب القاضي الباجي

هكذا ومن بعض بعضنا بعضاً أو تابل مردود في الغنم فإن قولوا بغيروا أسمى وأبينة فضابها
وكما الواضح اباننا واننا لم ونسأنا ما ونسأنا لم وانسنتنا وانفسك ثم بقتيل في جعل أحنه
الله على التاديس والله نسئله أن يمدنيث ويقدونيث فيزكنتك فيعوز ما تورد
وتتوب بسببنا استفادهم وأن بما بلعنه مضاع فيهم في نسله على من نبع انعموا

تروي: ما نفعينه بلنا: بقل بجره لاسم انسة نوا من
انما جمع رجمه لله وشخصونه وقصص رجمه
بمنه وكنه وجوده انعموهه وانعمه

الصفحة الأخيرة لجواب القاضي الباجي

الملحق التاسع



رسم تخطيطي لمدينة سرقسطة عن أبو يونس توماس بلطاس: المدن الأندلسية الإسلامية، ص 131.

الملحق الخامس عشر



Zaragoza. - El Arrabal desde los carros del Pilar. 1754. Jordán

سرقطة



Zaragoza. - Vista parcial. 1754. Jordán

سرقطة (منظر جزئي)



Zaragoza. - Puente de Piedra y el Arrabal. 1754. Jordán

سرقطة (جسر)

نقلًا عن محمد عبده حنابلة: موسوعة الديار الأندلسية ج ١ ص ٥٠٢-٥٠٤.

الملحق السادس عشر



وجه القطعة

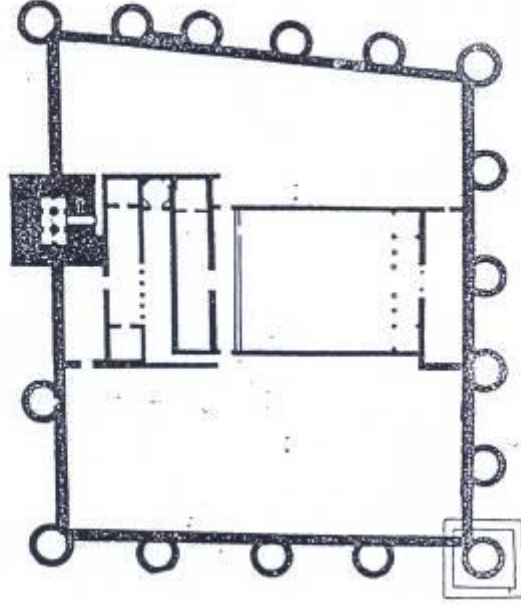


ظهر القطعة

نماذج للعملة في عهد بني هود في سرقسطة

نقلًا عن الإنترنت www.islamiccoins

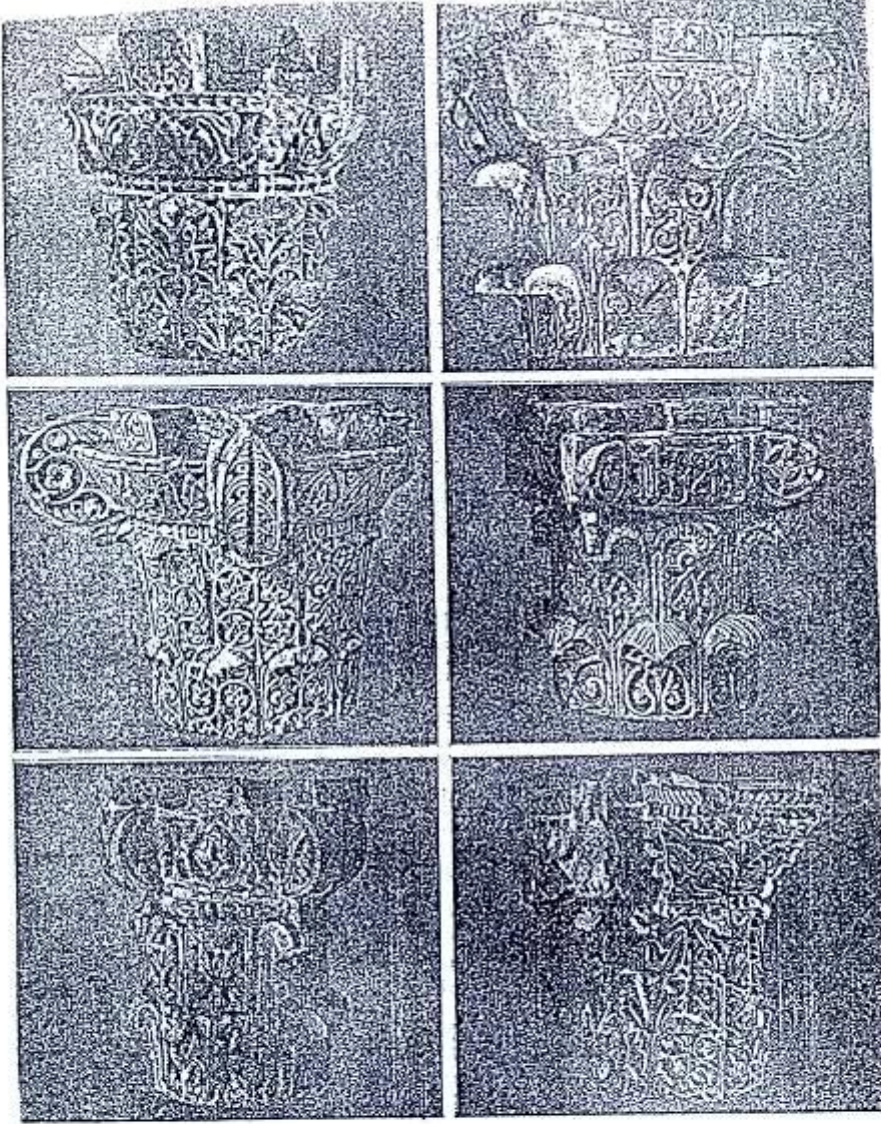
الملحق السابع عشر



تخطيط للطابق الأدنى من قصر الجعفرية

نقلًا عن مانويل: الفن الإسلامي، ص ٢٦٦.

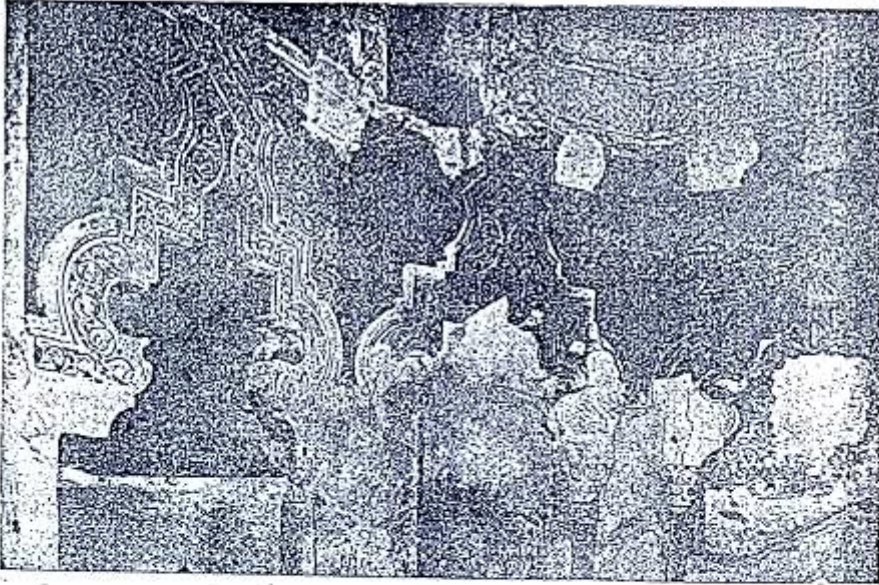
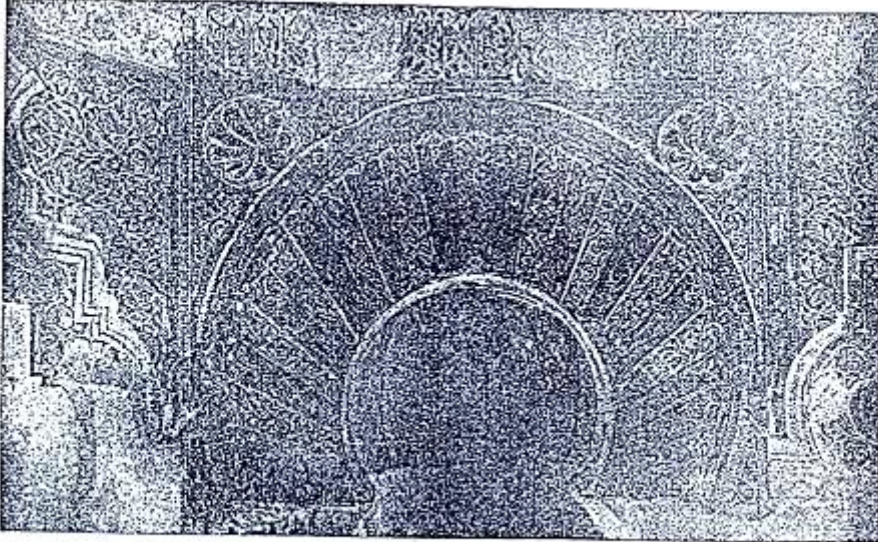
الملحق الثامن عشر



تيجان أعمدة بقصر الجعفرية بسرقسطة
(رقم ج) تاج يحمل اسم المقندر

نقلًا عن مانويل: الفن الإسلامي في أسبانيا، ص ٢٦٤.

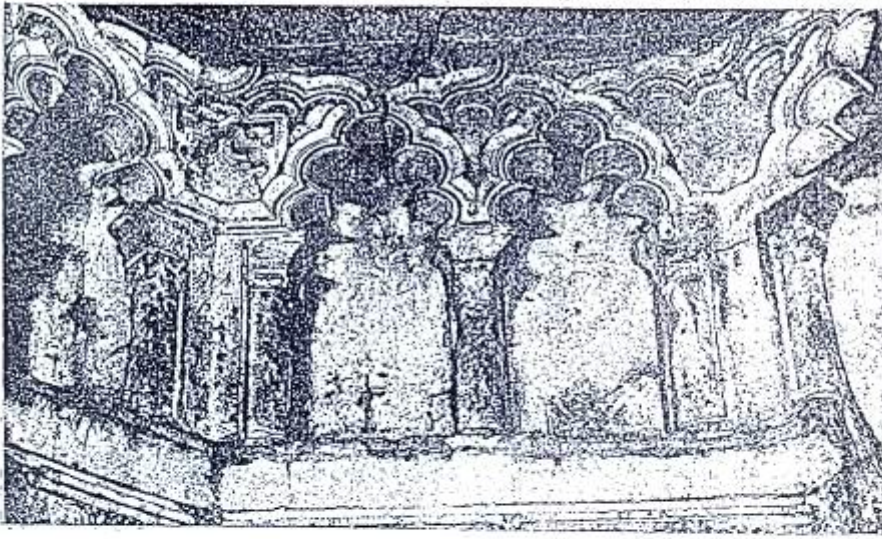
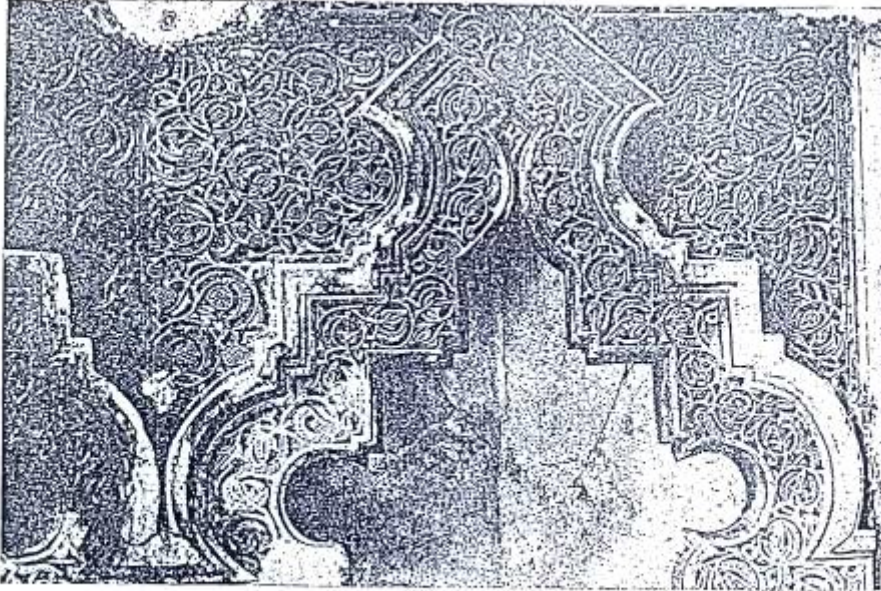
الملحق التاسع عشر



• مصلى قصر الجعفرية : عقود المخراب والواجهات الجانبية .

نقلًا عن مانويل: الفن الإسلامي، ص ٢٧٠.

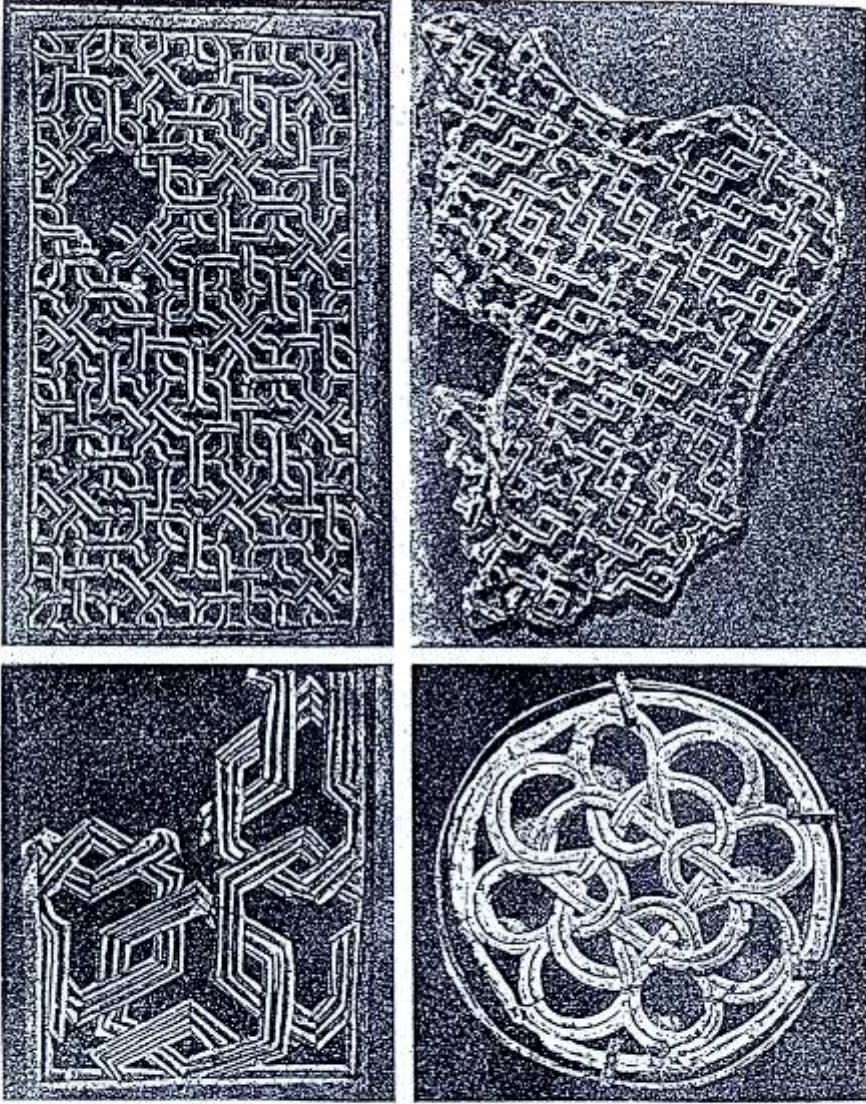
الملحق العشرون



مبنى قصر الجعفرية؛ زخارف الجدران بالقسم الأدنى
وبالتة زخرفية بالقسم الأعلى من الجدران

نقلًا عن مانويل: الفن الإسلامي، ص ٢٧١.

الملحق الحادي والعشرون



عناصر زخرفية من قصر الجعفرية محفوظة بمتحف سرقسطة

نقلاً عن مانويل: الفن الإسلامي، ص ٢٨٦.

فهرس الموضوعات

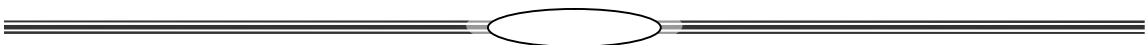
فهرس الموضوعات

- أ..... ملخص الرسالة
- ب..... The research
- ج..... آية
- د..... إهداء
- ه..... الشكر والتقدير
- و..... المقدمة
- ز..... أ- عرض عام لموضوع البحث
- ك..... ب- عرض لأهم المصادر والمراجع
- ١..... التمهيـد
- ٢..... أ - الموقع الجغرافي لمدينة سرقسطة
- ٦..... ١- السطح
- ٧..... ٢- المناخ
- ٨..... ب - مقدمة تاريخية عن مدينة سرقسطة منذ الفتح الإسلامي حتى عصر الخلافة
- ١٨..... الباب الأول: التاريخ السياسي
- ١٩..... الفصل الأول: سرقسطة في عصر الخلافة
- ٢٠..... المبحث الأول: سرقسطة في عصر الخليفة الناصر
- ٣٩..... المبحث الثاني: سرقسطة في عصر الحكم المستنصر
- ٤٥..... المبحث الثالث: سرقسطة في ظل (المنصور) محمد بن أبي عامر
- ٤٦..... محمد أبو عامر (نسبه ونشأته)

- ٤٩..... اتصال محمد بن أبي عامر بخدمة الحكم المستنصر
- ٦١..... المبحث الرابع: سرقسطة تحت حكم بني تجيب
- ٧٣..... الفصل الثاني: سرقسطة في عصر ملوك الطوائف وعصر المرابطين
- ٧٤..... المبحث الأول: زوال الخلافة الأموية وقيام ممالك الطوائف
- ٧٩..... أولاً: ملوك الطوائف العرب
- ٨٠..... ثانياً: البربر
- ٨٣..... الثأ: الفتيان العامريون
- ٨٧..... رابعاً: موالي بني أمية
- ٨٨..... المبحث الثاني: قيام مملكة بني هود في سرقسطة
- ١١٥..... المبحث الثالث: دخول سرقسطة تحت نفوذ المرابطين (٥٠٣هـ)
- ١١٩..... المبحث الرابع: سقوط سرقسطة (٥١٢هـ - ١١١٨م)
- ١٢٩..... الباب الثاني: التاريخ الحضاري
- ١٣٠..... الفصل الأول النواحي العمرانية
- ١٣١..... المبحث الأول: العمارة الدينية
- ١٣٢..... ١- المسجد الجامع بمدينة سرقسطة
- ١٣٤..... ٢- الأربطة
- ١٣٥..... ٣- المصلى أو الشريعة
- ١٣٦..... المبحث الثاني: العمارة المدنية
- ١٣٦..... تخطيط مدينة سرقسطة
- ١٣٨..... القصور والدور
- ١٣٨..... قصر الجعفرية (Pulacio AlJaferia)
- ١٣٩..... تخطيط وتصميم قصر الجعفرية

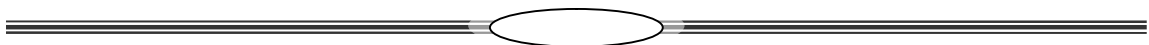


١٤١	الحمامات
١٤٣	القيسارية والأسواق
١٤٤	الفنادق
١٤٥	الأرباض
١٤٥	المقابر
١٤٦	الشوارع والرحبات
١٤٦	القناطر والجسور
١٤٧	القويسات
١٤٨	الفصل الثاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية
١٤٩	المبحث الأول: الحياة الاقتصادية
١٤٩	١- الزراعة
١٥٩	٢- الصناعة
١٦٢	٣- التجارة
١٦٨	المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية
١٦٨	١- عناصر السكان
١٧٨	٢- طبقات المجتمع
١٨١	أهم مظاهر الحياة الاجتماعية
١٨٤	وسائل اللهو والتسلية
١٨٦	الفصل الثالث: الحياة العلمية
١٨٧	المبحث الأول: الاتصال العلمي بين سرقسطة والمدن الإسلامية
١٩٧	المبحث الثاني: ازدهار العلوم والآداب في سرقسطة
١٩٧	العلوم الدينية
٢٠٩	علم الكلام





٢١٠	المبحث الثالث: علوم الأدب واللغة
٢١٠	علوم الأدب
٢١٠	اللغة والنحو
٢١٩	المبحث الرابع: العلوم الاجتماعية
٢١٩	التاريخ
٢٢٠	الجغرافيا
٢٢١	الفلسفة
٢٢٦	المبحث الخامس: العلوم التطبيقية والبحث
٢٢٦	الطب والصيدلة
٢٢٩	الرياضيات والفلك
٢٣١	الخاتمة
٢٣٤	المصادر والمراجع
٢٣٥	أولاً: المصادر
٢٤٤	ثانياً: المراجع
٢٥١	ثالثاً: المجلات والدوريات
٢٥٣	رابعاً: الرسائل العلمية والموسوعات
٢٥٤	الملاحق
٢٥٥	الملحق الأول
٢٥٦	الملحق الثاني
٢٥٧	الملحق الثالث
٢٥٨	الملحق الرابع



٢٥٩	الملحق الخامس
٢٦٠	الملحق السادس
٢٦١	الملحق السابع
٢٦٥	الملحق الثامن
٢٦٨	الملحق التاسع
٢٦٩	الملحق العاشر
٢٧٠	الملحق الحادي عشر
٢٧١	الملحق الثاني عشر
٢٧٢	الملحق الثالث عشر
٢٧٣	الملحق الرابع عشر
٢٧٤	الملحق الخامس عشر
٢٧٥	الملحق السادس عشر
٢٧٦	الملحق السابع عشر
٢٧٧	الملحق الثامن عشر
٢٧٨	الملحق التاسع عشر
٢٧٩	الملحق العشرون
٢٨٠	الملحق الحادي والعشرون
٢٨١	فهرس الموضوعات